

الدراستية

في إخبار السلك الأدرسية

تأليف

مولانا الأستاذ السيد محمد بن مولانا
السيد على السنوسى الخطاى الحسنى الأدرسى
المتوفى فى جفوب سنة ١٢٧٢ هـ
نفعنا الله به وبعلمه

طبع هذا الكتاب الجليل على نفقة حفيد المؤلف
السيد محمد أدرى المهدى السنوسى



(حقوق الطبع محفوظة لناشره حفيد المؤلف)

سنة ١٣٤٩ هـ

50010

بسم الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين

الحمد لله الواجب الوجود ، المسبب الفضل والجود ، المنزه عن الصاحبة والولد ، المنفرد في ملكه الواحد الاحد ، الذي اصطفى محمداً من خلاصة خلقه فكان فيهم أشرف نسبا واحقه ، فقد صح عنه في جميع الاخبار ، مما رواه الثقات الاخبار ان الله اصطفى من بنى آدم العرب ، واصطفى من العرب كنانة ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، فانما خيار من خيار من خيار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادات الابرار ، مظهرى دينه ومبلغه سائر الآفاق واقاصى الاقطار ، وخصوصا أهل بيته الفحول ، بنى على بضعة البتول ، ينابيع الدين ومنبع المكارم ، فاتحى قواعده وما نحى أفنائه المظالم . صلاة وسلاما دائماً متلازمين ما تعاقب اختلاف الملوك .

أما بعد ، فاعلم انه ورد في علم التاريخ المشتمل على علم الانساب آثار وآيات واخبار ، مما هو متعارف مشهور ، في كتبه مدون مسطور . قال المقرئ في كتابه قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان ، ما نصه : لا خفاء ان معرفة علم التاريخ المشتمل على علم الانساب من الامور المطلوبة ، والمعارف المندوبة ، لما يترتب عليه من الاحكام الشرعية والمعارف الدينية . فقد وردت الشريعة باعتبارها في مواضع منها العلم بنسب النبي صلى الله عليه وسلم وانه النبي القرشي الهاشمي الذي كان بمكة وهاجر منها الى المدينة وتوفي بها فانه لا بد لصحة الايمان من معرفة ذلك ولا يعذر مسلم في الجهل به ونأهيك بذلك ، ومنها التعارف بين الناس حتى لا ينسب أحد إلى غير آبائه ولا ينسب إلى سوى أجداده ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ولولا معرفة الانساب لفات ادراك ذلك وتعذر الوصول اليه . ومنها اعتبار النسب في الامامة التي هي الدعامة العظمى .

فقد حكى الماوردي في الاحكام السلطانية الاجماع على كون الامام قرشياً ثم قال ولا اعتبار بصران حيث شاع فجورها (١) في جميع الناس فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الائمة من قريش قال أصحابنا الشافعيون فان لم يوجد قرشي اعتبر كون الامام كنانياً من بني كنانة أو من خزيمية فان تعذر اعتبر كونه من بني اسماعيل عليه السلام فان تعذر اعتبر كونه من بني اسحاق فان تعذر اعتبر كونه من جرهم لشرفهم بصهارة اسماعيل عليه السلام فقد نصوا أن الهاشمي أولى بالامامة من غيره من قريش فلولا المعرفة بعلم الذنب ما ثبت وتعذر حكم الامامة العظمى التي بها عموم صلاح الامة وحماية البيضة وكف الفتنة وغير ذلك من المصالح

ومنها اعتبار النسب في الزوج والزوجة عند الشافعي حتى لا يكافي الهاشمية والمطلبية غيرها من قريش ولا يكافي القرشية غيرها من العرب ممن ليس بقرشي ولا يكافي القرشية والكنانية غيرها من العرب ممن ليس بكناني ولا قرشي على الاصح وفي اعتبار النسب في العجم أيضاً وجهان أحدهما الاعتبار فاذا لم يعرف النسب تعذرت هذه الاحكام ومنها مراعاة النسب الشريف في المرأة المنكوحة فقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لا ربيع لدينها وحسبها ومالها وجمالها فراعى النبي صلى الله عليه وسلم في المرأة الحسب وهو شرف الآباء ومنها جريان الرق على العرب في أحد قولي الشافعي رضي الله عنه وموافقته فاذا لم يعرف النسب تعذر ذلك الى غير ذلك من الاحكام الجارية هذا المجري ثم ليعلم انه قد ذهب كثير من أئمة المحدثين والفقهاء كالبخاري الى جواز الرفع في الانساب احتجاجاً بعمل السلف فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه في علم النسب بالمقام الارفع والجانب الاعلى وذلك أدل دليل وأعظم شاهد على شرف هذا العلم وجلالة قدره .

وقد حكى صاحب الريحان والريعيان عن أبي سليمان الخطابي أنه قال كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه نسابه فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فوقف على قوم من ربيعة فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال

(١) كذا في الاصل . والذي في نسخة الاحكام السلطانية المطبوعة بمصر سنة ١٣٢٧

« ولا اعتبار بصران حين شد فجورها في جميع الناس »

أى ربيعة أنتم من هامها أم من لهازمها قالوا بل من هامها العظمى قال أبو بكر الصديق من أيها قالوا من ذهل الأكبر قال أبو بكر فمنكم عوف الذى يقال لآخر بوادى عوف قالوا لا قال فمنكم بسطام بن قيس أبو القرى ومنتهى الاحياء قالوا لا قال فمنكم المزدلف الحر صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال فمنكم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فمنكم أصحاب الملوك من نجم قالوا لا قال فلستم بذهل الأكبر بل ذهل الأصغر فقام إليه غلام من شيان يقال له دغفل حين ثقل وجهه فقال إن على سائلنا أن نسأله يا هذا أنك قد سألت فأخبرناك ولم نكتحك شيئاً من خبرنا فمن الرجل قال أبو بكر أنا من قریش قال بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أى الفريقين أنت قال من ولد تيم بن مرة قال الفتى اسكت والله من سواء النمرة فمنكم قصى الذى جمع القبائل من فهر وكان يدعى بجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذى هشم الشريد لقومه قال لا قال فمن أهل الندوة أنت قال لا قال فمن أهل السقاية أنت قال لا قال فمن أهل الحجابة أنت قال لا . واجتذب أبو بكر زمام ناقته فقال الفتى بيتا (١)

صادف درء السيل درأ يدفعه يهيضه حيناً وحيناً يصدعه

أما والله يا أخا قریش لو ثبت لأخبرتكم أنكم من رعيان قریش ولست من الذوائب فأخبر رسول الله صلى عليه وسلم بذلك فتبسم فقال عليه السلام يا أبا بكر لقد وقعت من الغلام الاعرابى على باقة دال يا أبا الحسن ما من طامة الا فوقها طامة . ودغفل هذا هو دغفل بن حنظلة النسابة الذى يضرب به المثل فى معرفة النسب ؛ قدم مرة على معاوية بن أبى سفيان فى خلافته فاخبره فوجده رجلاً عالماً فقال بم نلت هذا يا دغفل فقال بقلب عاقل ولسان سؤول وآفة العلم النسيان .

ومن أشهر فى معرفة الانساب أيضا ابن الكيس من بنى عوف بن سعد ابن تغلب بن وائل وفيه يقول مسكين بن عامر :

فحكم دغفلا وارحل اليه * ولا تدع المطى الى الكلال
أو ابن الكيس النمرى زيدا * ولو أمسى بمنخرق السمال

(١) هنا فى الاصل بياض والقصة مروية فى كتاب « سبائك الذهب » المأطوخ ببغداد وعنه أخذنا البيت .

وقد صنف في علم الانساب جماعة من جلة العلماء وأعيانهم كآبي عبيد القاسم ابن سلام والبيهقي وابن عبد البر وابن حزم وغيرهم وذلك دليل شرف ورفعة قدره والحامل لأصل التاريخ ما قاله الشيخ جار الله المكي في تحقيق الصفا في تراجم بني الوفا مانصه : وقد ورد في الاثر عن سيد البشر أنه قال من أرخ مؤمنا فكأنما أحياه ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره ومن زاره استوجب رضوان الله وحق على المأزور أن يكرم زائره اه فماذا كان هذا في مطلق مؤمن فكيف بخاصة الخاصة وأهل الفضل والمزايا المتراسة فكيف بمن يتعلق بسفينة النجاة وهم البركات ومقاليد الشفاعات هذه الرسالة الموضوعية في نبذة سرية من أحوال بني صاحب الرسالة ذوى الفضل والخلافة والعلا حائزى قصب السبق في كل ملا المسماة «بالدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية» وما في حكمها من السادات العلوية فمن له ولاية ودولة في الاقطار المغربية مشتملة على مقدسة وست دول الدولة الاولى الفاسية وما في اياتها . الدولة الثانية التلمسانية وما في نواحيها الدولة الثالثة الغمارية وما في حكمها . الدولة الرابعة السبتية وما في حكمها الدولة الخامسة الاندلسية وما في حكمها . الدولة السادسة الصحراوية وما في حكمها وسترى لكل واحدة بياناً شافياً على ما عند صاحب القرطاس والمغرب وما في العبر لابن خلدون التونسي وما في سلاسل الفصول لابن خلدون التلمساني وما في عمدة الطالب في نسب علي بن أبي طالب لابن عتبة فالمقدمة وفيها فصلان

الفصل الاول : وفيه نوعان

الاول في أصل النسبة الادريسية وتنوع افنائها في أقطار الارض وانتشار سلطانها واختصاص كل باركانها قال في المغرب كصاحب العمدة مامعناه انه لما انتقلت الولاية من بني أمية لبني العباس ووصلت النوبة لهارون الرشيد حصل منه من الاذية في حق العلويين ما هو معلوم من العباسيين حيث جار الرشيد في حقهم جوراً عظيماً وأراد قطع دابرهم بالكلية فهربوا منه إلى الاراضي البعيدة من طاعته فممن هرب منه من الشرفاء إلى المغرب الاقصى مولانا ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن شهد مجامع الحسين بن علي العابد صاحب فخ

فلما قتل الحسين في جماعته بفتح فراديس وأخوه سليمان ومولاه راشد بن مرشد القرشي أخوه من الرضاة فلم يزل يجد السير حتى وصل مدينة تلسان فثبت أخوه سليمان وذهب معه الى تلسان وأقام بها وسيأتي خبره ، ثم انتقل مولانا ادريس الى طنجة فلم يجد ما يوافق به فرجع الى زرهون فوجد عبد المجيد بن مصعب سلطانا وكانت الخلافة له في قبائل البربر فقام فخلع عبد المجيد له الخلافة وترك له الحكم وعقد له البيعة وتركه حاكما وكان عنده ثلاثة من الوزراء عبد المجيد بن مصعب الاوربي وأخوه عمر بن مصعب الاوربي الزرهوني وراشد بن مرشد القرشي ثم تزوج مولاي ادريس بنت وزيره عبد المجيد واسمها كنز المراضية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال واعتدال فحملت منه بالنجل السعيد وهو مولاي ادريس الاصغر .

وسبب موت مولاي ادريس الا كبر أنه أتاه سليمان بن جرير النبري ثم الزميري من الشرق بأمر هارون الرشيد بقارورة من المسك مسمومة ولم يزل يجد السير حتى وصل اليه وفرح به ثم دفع له القارورة المسمومة فشمها فطلع السم في خياشمه فمات رحمة الله عليه عام سبعة وسبعين في القرن الثاني وفي العمدة أن الامام ادريس شهد بجامع الحسين بن علي العابد صاحب فتح فلما قتل الحسين انهزم حتى دخل المغرب فسم هناك بعد أن ملك وقد وصل الى زرهون وطنجة ومعه مولاه راشد ودعاهم الى الدين فاجابوه وملكوه فاغتم لذلك الرشيد حتى امتنع من النوم ودعا سليمان بن جرير الرقي متكلم الزيدية وأعطاه سيفا فورد سليمان بن جرير الى ادريس متوسما بالذهب فسر ادريس بن عبد الله ثم طلب غرة فوجد خلوة من مولاه راشد فسقاه السم وهرب فخرج راشد خلفه فضربه على وجهه ضربة منكرة وفاته وعاد وقد مضى ادريس لسبيله قال لما مات ادريس وضعت المغاربة التاج على بطن زوجته أم ادريس وولده بعد أربعة أشهر بعد موت أبيه قال وقد كان داوود بن القاسم الجعفرى أحد كبراء العلماء وممن له المعرفة بالنسب حاضرا قصة ادريس بن عبد الله وسمه وولادة ادريس بن ادريس قال كنت معه بالمغرب فما رأيت أشجع منه ولا أحسن وجها وقال علي الرضى بن موسى الكاظم رضى الله عنهما ادريس بن ادريس بن عبد الله من شجعان أهل البيت والله ما ترك فينا مثله وقال أبو هاشم

داود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر الطيار انشدني ادریس بن ادریس لنفسه شعراً

لو مال صبرى بصبر الناس كلهم لكل فى روعتى وظل فى جزعى
بان الاحبة واستبدلت بعدهم هما مقبلا وسلميا غير مجتمعا
كانى حين يجرى الهم ذكرهم على ضميرى مجبول على الفزع
تاوى الهموم اذا حركت ذكرهم الى جوارح جسم دائم الجزع
ثم بعد أن وضعت أمه حملها بعد تمامه سمته على اسم أبيه ادریس وقام به
وزراء أبيه وتكفل به راشد بن مرشد القرشى حتى اذا بلغ ثمانية أعوام وقيل
اثنتى عشرة سنة وبلغ الحلم وقرأ جميع العلوم وأمر بينان المدينة البيضاء وأعانه
الله على بنائها لقوله صلى الله عليه وسلم حين عرج على المعراج فرأى بقعة بيضاء
تتلا لا نورا فقال له يا حبيبى يا جبريل ما هذه البقعة البيضاء التى تتلا لا نورا
فى المغرب قال له جبريل عليه السلام هذه مدينة لا تمك فى آخر الزمان تسمى
بفاس ينبع العلم من صدور أهلها كما ينبع الماء من حيطانها ثم زوجته أمه الحسنى
ببت سليمان بن محمد النجاشى وكانت أمه كاملة العقل والحياء والدين تابعة للكتاب
والسنة وروى أن ادریس كان لا يفعل شيئا حتى توافقه الحسنى ثم توفى رحمة
الله عليه بعد ما استقر بمدينة وكان سبب موته حبة من العنب الزواعى وسيأتى
لذلك مزيد بيان وخلف اثنى عشر ولدا محمد وأحمد وقاسم وعمر وعمران وعلى
وعيسى ويحيى وحمزة وعبد الله وداود وكثير قال فى العمدة وأعقب ادریس
ابن ادریس بن عبد الله المحض عدة رجال منهم محمد وعمران والقاسم وأحمد وعيسى
وعمر وداود ويحيى وعبد الله وحمزة ويحيى وعلى وقيل انه أعقب من غير هؤلاء
أيضا ولكل منهم ممالك ببلاد المغرب هم فيها ملوك الى الآن

قال فى رفع التدليس فى ذرية الامام ادریس بعد أن ذكر الاثمة الاثنى
عشر ما نصه فتولى الامام محمد بن ادریس الخلافة بعد موت أبيه وبقى بوه
بفاس متوارثين المالك بعده كما سيأتى وقسم على اخوته المذكورين البلاد برأى
جدته كنهزة بنت عبد المجيد الاوربى فأعطى لعمران جبل الريف وبادس
وأحوازهما وأعطى لعمر رجس وأحوازه وأعطى لابی القاسم سبتة وطنجة
وأحوازهما ولاحمد الهبط وأحوازهما وأعطى لعيسى سلا وأحوازه وأعطى

لعبد الله قشتالة وتادلة وأحوازها وأعطى ليحيى غمارة وأحوازها وأعطى لداوود
تلسان وأحوازها وأعطى لاحمد الملقب بكثير ما لقة وغرناطة وطرفا من
جبل الفتح وأعطى لعلی سجلماسة وأحوازها

فهذه ساداتنا الاشراف الاثنا عشر فاوى كل واحد منهم الى بلدة وانتسل
بها وترك ذريته هناك فانتسلت ذرية عمران بجبل الريف وبادس وعد منهم
العلامة ابن خلدون التلمساني نحو العشرة وهم ما بين زين العابدين والذريان القصبي
الآتي ذكره وبين الامام عمران بن ادريس وهم يوسف بن حسين بن ادريس
ابن سعيد بن يعقوب بن داوود بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن علي بن عمران
وسياتي لذلك مزيد في فضلهم فراجعهم

وفي المرأة ما نصه : ولما قسم الامام محمد بن ادريس أعمال المغرب على
اخوته فولى تيساس وأقطارها أخاه عمر وتيساس هذه في شرق تطاون على مسيرة
يوم منها في موضع كثير الحجارة والصخر في سفح جبل في غربها تحتها في شمالها
جرف كثير الصخر عظيمه على مكسر موج البحر لها بحر بقاع يجلب لها منه
جدول ولها بسيط تركبه الجداول من كل جهة فتسقى الزرع والسكران والثمار
وأهلها في امن من القحط وهي قديمة العمران ولم تزل قائمة الى حدود ثمانماية
فجلا عنها أهلها بسبب جور فارح بن مهدي واليها من قبل بني مرين فخلت
من سكانها وانتقلوا الى القبائل وغيرها ولم يزل سورها ماثلا الى الآن قال
والقبيلة الحافة بها من جهاتها الثلاث هي قبيلة بني زيات بزاي ثم ياه مشاة تحتانية
خفيفة ثم الف مد ثم تاء مشاة فوقية من قبائل بني زيات ياه تحتانية فالف مد
فلام من بطون غمارة ويقال يال ونال بالنون مكان الياء اخوان ففرع يال
الى بني زيات وبني منصور وبني بوزوا وفرع نال بالنون الى بني خالد وبني ورزين
وبني قير بالقاف المعقودة وبني مسيح وبني جلاوهم بحيم مفتوحة ثم لام
مشددة بعدها الف

الفصل الثاني

فما يتعلق بأحوال فتح المغرب أدناه وأوسطه وأقصاه
والمراد منه ما وراء الاسكندرية غربا الى السوس الاقصى الموالي لساحل

البحر المحيط من المعمور والمقصود منه من افريقية الى آخر المعمور وأدناه افريقية وهي ما وراء ديار مصر غربا سميت باسم افريقش بن ابرهة ملك اليمن لانه غزاها فافتتحها فيما قبل الاسلام وبينها وبين مصر ممالك وأعمال كثيرة ينبغي ذكرها لتعلق أخبارها بها عند المؤرخين وفي ذلك أنواع

النوع الاول

في ذكر فتح انطابلس وهي برقة وأعمالها

قال ابن عبد الحكم كان البربر بفلسطين يعني في زمن داود عليه السلام فخرجوا منها متوجهين الى المغرب حتى انتهى الى لوية وقريبة وهما كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من ماء السماء ولا ينالها النيل ففترقا هنالك فتقدمت زناتة ومغيلة الى المغرب وسكنوا الجبال وتقدمت نواية وسكنت أرض انطابلس وهي برقة وتفرقت في هذا المغرب وانتشروا حتى بلغوا السوس الاقصى ونزلت هواره مدينة لبدة ونزلت بقوسة مدينة سبرة وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك وأقام الافارق وكانوا خدما للروم على صلح الى من غلب على بلادهم وهو بنو فارق بن بصر بن حام فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة آلاف دينار يؤدونها اليه جزية على أن يبيعوا من شاءوا من أبناءهم في جزيتهم ولم يكن يدخل برقة يومئذ جاني خراج انما كانوا يبعثون بالجزية اذا جاء وقتها ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة قال الطبري فافتتحها بصلح وصار ما بين برقة وزويلة سلما للمسلمين وقال أبو العالية الحضرمي سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول لاهل انطابلس عهد يوفى لهم به

النوع الثاني

في ذكر فتح طرابلس

قال ابن عبد الحكم ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل على طرابلس في سنة اثنين وعشرين فنزل القبة التي على الشرق من شرقها فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو في سبعة نفر فمضوا غرب المدينة حتى أمعنوا عن

العسكر ثم رجعوا فأصابهم الحر فأخذوا على ضفة البحر وكان البحر لاصقا بسور المدينة ولم يكن فيه ما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن الروم شارعة في مرساها الى بيوتهم فنظر المدلجى وأصحابه وإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ووجدوا مسلكا اليها من الموضع الذى حصر منه البحر فدخلوا حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن للروم مفزع الاسفنههم وأبصر عمرو وأصحابه السلة فى جوف المدينة فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم يفلت الروم الا بما خف لهم من مراكبهم وغنم عمرو ما كان فى المدينة من سيرة متحصنين وهى المدينة العظمى وسوقها السوق القديم فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة طرابلس وانه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة لهم به آمنوا فلما ظفر عمرو بمدينة طرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير فصبحت خيله مدينة سمرة وهم غافلون وقد فتحوا أبوابها لتسرح مواشيهم فدخلوها فلم ينبج منهم أحد واحتوى أصحاب عمرو على ما فيها ورجعوا الى عمرو قال ثم أراد عمرو أن يوجه الى المغرب فكتب الى عمر بن الخطاب إن الله عز وجل فتح علينا طرابلس وليس بيننا وبين افريقية الا تسعة أيام فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل فكتب اليه عمر لا انها ليست بافريقية ولكنها الفرقة غادرة مغدور بها لا يقر بها أحد ما بقيت وكأنه أشار رضى الله عنه بقوله الفرقة وغادرة مغدور بها متفرسا إلى ما يقع من النكت بعد الابرام والكفر بعد الاسلام المتكرر من أهل البربر والروم فقد ذكر ابن خلدون انهم ارتدوا بعد الاسلام ونقضوا بعد الابرام ما يزيد أو يقرب من اثني عشرة مرة فلذلك تكرر فتوحها وترجم لها بذلك وآخر من فتحها موسى بن نصير وطارق مولاه فى خلافة الوليد بن عبد الملك ابن مروان وأولها فتح عبد الله بن سعد بن أبي سرح فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهما

النوع الثالث

فى ذكر فتوح افريقية

وأولها كان فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى غزوة عبد الله بن سعد ابن أبى سرح أخ الامام عثمان رضاعة رضى الله عنهما قال فى الاكتفاء ما نصه

قال ابن عبد الحكيم ولما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وأمر عبد الله ابن سعد بن أبي سرح كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في إمرة عمرو بن العاص فيصيبون من اطراف افريقية ويغنمون فكتب عبد الله ابن سعد في ذلك الوقت الى عثمان وأخبره بقرتها من حوز المسلمين واستأذنه في غزوها فندب عثمان الناس الى ذلك بعد المشورة فيه فلما اجتمع الناس أمر عليهم الحارث بن الحكم أن يقدموا مصر على عبد الله بن سعد فيكون اليه الامر فخرج عبد الله بن سعد اليها وكان عليها ملك يقال له جرجير كان هرقل قد استخلفه فخلعه وخرج عنه وكان سلطان مابين طرابلس الغرب الى طنجة ثغر افريقية ومستقر سلطانه يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة الافريقية فلقى عبد الله جرجير فقاتله فقتله الله وولى قتله عبد الله بن الزبير فما يزعمون وهرب جيش جرجير وبث عبد الله السرايا وفرقها فأصابوا غنائم كثيرة فلما رأى ذلك رؤساء افريقية سألوه أن يأخذ منهم مالا على أن يخرج من بلادهم فقبل منهم ذلك ورجع الى مصر ولم يول على افريقية أحداً ولا اتخذ بها قيوماً

وفي كتاب سيف لما وجه عبد الله بن سعد الى افريقية قال له ان فتح الله عليك افريقية فلك مما أفاء الله عليك خمس الخمس فلما انتهى الى افريقية بمن معه لقيهم صاحبها فقاتلهم فقتله الله قتله عبد الله بن سعد وفتح افريقية سهلها وجبلها واجتمعوا على الاسلام وحسنت طاعتهم وقسم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليه بعد أن أخرج الخمس فعزل منه لنفسه خمسة وبعث بأربعة اخماسه الى عثمان وضرب فسطاطاً في موضع القيروان ووفد وفد الى عثمان فشكوه فيما أخذه من الخمس فقال أنا نقلته وإنما النفل تبصرة وتدريب للرجال ثم كتب الى عقبة بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين وأمرهما بالمسير الى الاندلس فيمن ندب معهما من الرجال وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب افريقية وبعد ذلك يسير الى الاندلس فلما كان الاستيلاء على صاحب افريقية سارا من فورهما الى الاندلس وأتيا من قبل البحر وكان عثمان رحمه الله قد كتب الى من انتدب الى الاندلس أما بعد فان القسطنطينية إنما تفتح من قبل الاندلس وانكم ان لم تفتحوها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام قال كعب بن الأشعث الى الاندلس اقوام يفتحونها يعرفون بنورهم الى

يوم القيامة قال ابن ناجي في معالم الايمان ما نصه ذكر من نزل القيروان من الصحابة رضي الله عنهم أول جيش نزل القيروان من جيوش المسلمين جيش عبد الله ابن أبي سرح القرشي العامري في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهما سنة سبع وعشرين ثم جيش معاوية بن خديج السكوني ثلاث مرات ولي ذلك سنة أربع وثلاثين في خلافة سيدنا عثمان أيضا ثم عقبة بن عامر الجهني ثم رويغ بن ثابت الانصاري سنة سبع وأربعين ثم عقبة بن نافع الفهري أيضا سنة خمسين وفيها اختط القيروان وفي كل جيش من هذه الجيوش تنزل طائفة من الصحابة بأرض القيروان قلت روى الواقدي عن ربيعة بن عباد الديلي قال أغزانا عثمان رضي الله عنه إفريقية فخرجنا مع الناس حتى قدمنا مصر فخرج عبد الله بن سعد وهو أمير الناس بمصر بمن كان معه وبمن قدم عليه المدينة فكانوا عشرين ألفا ونحن نريد بطريق الروم بإفريقية يقال له جرجير كان قد غلب على ما هنالك من أرض المغرب فلما وصل عبد الله من مصر كان يقدم الطلائع والمقدمات أمامه وكثيرا ما كنت أكون في الطلائع فوالله أنا بطرا بلس إذا مرا كب قد رست بالساحل فشددنا عليهم فأقاموا ساعة ثم أسرناهم فكتفناهم وهم مائة حتى لحقنا ابن أبي سرح فقتلهم وقد تحصن منا أهل طرا بلس ولم يتعرضوا لنا فأخذنا ما في السفينة فكانت هذه أول غنيمة أصبناها ونحن في وجهتنا ثم لحق بنا الناس وأقاموا أياما وكانت السرايا في كل وجهة تأتي بالبقر والشاء والعلف ثم تحادينا حتى وردنا إفريقية فأقمنا أياما بيننا وبين جرجير ملكهم ندعوه الى الاسلام وكلنا دعواناه الى الاسلام نفر ثم استطال وقال لا أقبل هذا ابدا فقلنا له تخرج لنا خراجا في كل عام فقال ولو سألتهموني درهما واحدا لم أفعل ثم إننا تهيأنا للقتال بعد الاعذار اليه منا فهبنا عبد الله بن سعد فجعل ميمنة وميسرة وقلبا وسار بأصحابه فقال له رجل من قبط مصر كان معه ان القوم لا يصافونك وهم يهزبون فاجعل لهم كميناً وفرقهم في أماكن ففعل ذلك عبد الله وغدا بنا على تعبيت (١) والروم قد رفعوا الصليب وعليهم من السلاح ما الله أعلم به ومعهم من الخيل ما لا يحصى فتصاولنا ساعة من النهار وصارت الشمس قدر ربحين أو أكثر ثم حمل عبد الله بالناس وحملا فكانت الهزيمة عليهم وكر السكمين عليهم من كل مكان فأكثروا

فيهم القتل والاسر فطلبوا الصلح فصالحهم عبد الله بن أبي سرح على خراج
وروى عن أسامة بن زيد الليثي أن الذي صالحهم عليه عبد الله بن سعد ألف
ألف دينار .

وذكر بعض المؤرخين أن عبد الله بن سعد غزا إفريقية في جماعة من
الصحابة فلقى جرجيرا وهو في مائة ألف وصالح بن أبي سرح في سيطرة وهي
مدينة على سبعين ميلا من القيروان فقتل جرجيرا وهو في مائة ألف وصالح ابن أبي
سرح أهل الحصون وأهل المدائن على مائة ألف رطل من الذهب قال أبو عثمان
سعيد بن عفير في تاريخه ولما سمعت الروم والازارقة بخروج عبد الله بن سعد
ووصوله إلى إفريقية خرجوا إليه ومعهم جرجير في جمع كثير من الروم فلما
التقى بهم المسلمون بادر جرجير بالبراز فبرز إليه عبد الله بن الزبير ومروان
ابن الحكم فقتله ابن الزبير ومنهم من قال قتل جميعا ثم كانت الهزيمة واتخذ
المسلمون ذلك المنزل معسكرا ومنزلا وأصابوا غنائم كثيرة وقسم عبد الله
الغني على الجيش فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف مثقال
وتولى قسم الغنيمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما ونقل عبد الله
ابن أبي سرح عبد الله بن الزبير ابنة جرجير لأنه قتل جرجيرا أباه وبلغ الخمس
أربعة دنانير قال عبد الله بن الزبير هجم علينا جرجير في عسكرنا في عشرين
ومائة ألف فاحاطوا بنا من كل مكان وسقط في يد المسلمين ونحن في عشرين
ألفا فاختلف الناس على ابن أبي سرح فدخل فسطاطا له ورأيت عورة من
جرجير نظرت بها خلف عسكره على بردون أشهب معه جاريتان له تظللان عليه
بريش الطواويس وبينه وبين جرجير أرض بيضاء ليس فيها أحد فخرجت أطلب
ابن أبي سرح فقبل قد خلا في فسطاطه فدخلت عليه فوجدته مستلقيا على ظهره
فلما دخلت عليه فزع فاستوى جالسا فقلت له أيه كل أزق يعوز فقال ما أدخلك
على يا ابن الزبير فقلت له أني رأيت عورة من العدو فخرج فاندب الناس قال وما هي
قال فأنخبرته فخرج معي سريعا فقال يا أيها الناس انتدبوا مع ابن الزبير فاخترت ثلاثين
فأرسلوا قلت لسائرهم أئبتوا على مصافكم وحملت في الوجه الذي رأيت فيه جرجيرا وقلت
لأصحابي أحموا ظهري فوالله ما نشبت أن خرقت الصف إليه فخرجت صابرا لله ولا يحسب

هو وأصحابه إلا أتى رسول الله حتى دفنوه منه فعرف الشر في وجهي فتنا
برذونه موليا فادررته بادرا فدفعنا بالسيف اليه فاصبت احدى الجاريتين فقطعتها
واحتزرت رأسه فنصبته في رمحي وكبرت وحمل المسلمون في الوجه الذي كنت
فيه وارفض العدو من كل وجه ومنع الله المسلمين اكتفاءهم فلما أراد ابن أبي سرح
أن يوجه بشيرا إلى عثمان أمير المؤمنين رضى الله عنه قال أنت أولى بمن هاهنا
بذلك انطلق إلى أمير المؤمنين وأخبره بالخبر فقدمت على عثمان فاخبرته بنصر
الله وفتحه ووصفت له أمرنا كما كان وروى عن عبد الله بن نافع وعبد الملك
ابن حبيب أن عبد الله بن الزبير وصل من افریقیة إلى المدينة في شهر و ذكر
الحسن بن سعيد الخراط أنه وصل إلى المدينة من سبیطلة في ثمانية عشر يوما
وكان يومئذ ابن بضع وعشرين سنة فلما وصل عبد الله بن الزبير إلى المدينة
وأخبر عثمان رضى الله عنه بما كان من الفتح أمره عثمان أن يقوم بذلك خطيبا
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا وهبت لك ذلك فقام أمير
المؤمنين عثمان خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن الله
فتح عليكم افریقیة وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله وكان عبد
الله رضى الله عنه إلى جانب المنبر فقام فقال الحمد لله الذي ألف بيننا بعد الفارقة
وجعلنا متحابين بعد البغضة الذي لا تجحد نعمائه ولا يزال ملكه له الحمد كما حمد
نفسه وكان هو أهله إلى آخر خطبته المشهورة قال وأقام ابن أبي سرح بسبیطلة
وهو الأمير على عسكره والحاكم بينهم فلما رأى الروم الذين بالساحل ما حل
بمخرجير وأهل سبیطلة غارت أنفسهم وتجمعوا وكاتب بعضهم بعضا واستقلوا
ضرب ابن أبي سرح فخاف منهم بما معه من الغنائم فكتب إلى خليفته بمصر
أن يتدب إليه مراكب في البحر ويجعل فيها غنائم المسلمين فوصل كتابه إلى
مصر وأخذ خليفته فيما أمره به واتصل بالروم قصد ابن أبي سرح إياهم واستقباله
حربهم فخافوه وراسلوه ودار بينهم تشاجر فجعلوا له جعلاً على أن يرحل بجيشه
ولا يتعرضوا لشيء معه فاجابهم إلى ذلك ووجهوا إليه مائة قنطار من الذهب
فقبضها منهم وانصرف عنهم راجعا إلى مصر بعد أن أقام بافریقیة سنة وشهرين
فلما وصل إلى طرابلس وافته المراكب فجعل فيها أثقال جيشه ونفذ هو ومن معه
إلى مصر سالمين ووجه إلى عثمان رضى الله عنه بالاموال التي معه من الخمس

وغيره ف وقعت الفتنة على أثر ذلك واستشهد عثمان رضى الله عنه وولى بعده على رضى الله عنه وبقيت افريقية على حالها الى ولاية معاوية فلما ولى معاوية عزل عبد الله بن أبى سرح عن مصر وافريقية وولى معاوية بن خديج الكندى وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك فى سنة أربعين فاراد معاوية غزو افريقية فأغزى معاوية بن خديج فخرج معاوية من مصر وهو عامل معاوية عليها سنة خمس وأربعين ومعه عبد الله بن الزبير وجماعة من الصحابة وغيرهم من التابعين وكان معه أيضا عبد الملك بن مروان ويحيى والا كدر بن حمام المنعمى وكريب بن ابزة بن الصماخ وخالد بن ثابت الفهرى وأشرف من جند مصر حتى وصل الى افريقية وقصد جلولا وعليها عامل لجرجير الرومى الذى كان ملك سيطرة فنزل بجيشه على قروية وهى قروان افريقية فدخل منها الى جبل يقال لها القرن قال فلما وصلوا اليها امتنعوا منه وتحصنوا فحاصروهم حتى فتحها فى قصصة طويلة فغنم كل ما كان فيها ثم أنفذ الغنائم الى معاوية بن أبى سفيان بالشام وقال أبو بكر المكي قال أبو العرب ان معاوية بن خديج غزا افريقية ثلاث غزوات أما الاولى فهى سنة أربع وثلاثين فى خلافة عثمان بن عفان وكانت تلك الغزوة لا يعرفها كثير من الناس وأما الثانية فهى فى سنة خمس وأربعين من الهجرة وقال محمد بن يوسف الوراق القيروانى ان معاوية بن خديج غزاها سنة أربع وثلاثين وهى أول غزواته ثم غزاها عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهرى سنة اثنين وأربعين ثم غزاها معاوية ابن خديج وهى خرب كلها وغزا معاوية جزيرة صقلية فى مائتى مراكب وأصاب بها غنائم كثيرة وانصرف الى قونية وقسم عليهم فبأهم وبعث بالجنس الى معاوية ابن أبى سفيان وهو اذ ذاك خليفة وهذه الغزوة هى غزوة معاوية بن خديج الثانية وكانت سنة خمس وأربعين وقيل سنة احدى وخمسين اه كلام الوراق قال المالكى لما وصلت الغنائم الى معاوية بن أبى سفيان أعاد عليها معاوية ابن خديج بجيوش الشام ومصر الى افريقية وكان ذلك سنة خمسين ومعه عبد الملك بن مروان فوصل الى افريقية واحتفر الآبار التى تسمى اليوم آبار خديج بباب تونس وإنما احتفرها اذ كان عسكره هناك ثم غزا منها وغنم غنائم كثيرة من واحيها ورجع قافلا الى قونية وبني بناحية القرن مساكن وسماها قير وانا وموضع

القيروان غير مسكون ولا معصور ثم رحل معاوية بن خديج من إفريقية الى معاوية بن أبي سفيان فرفع الغنائم اليه ثم عزله معاوية من مصر وولى عليها سلمة بن مخلد إلا أن أرى فوجه سلمة خالد بن ثابت الفهرى الى إفريقية وكان من التابعين فخرج في محرم سنة أربع وخمسين فأتته الى مواضع منها وأصاب غنائم كثيرة ثم عزله سلمة وولى عليها أبا المهاجر بجيش من قبله فوصل الى إفريقية فأخذ عقبة بن نافع الفهرى فحبسه وضيق عليه فبلغ خبره معاوية فكتب الى أبي المهاجر يأمره بتخليته ويمنعه فيما صنع فاطلقه أبو المهاجر وأرسله برسل من قبله حتى أخرجته من قابس فمضى وهو حنق على أبي المهاجر فدعا الله عز وجل أن يملكه منه فلم يزل أبو المهاجر خائفا من دعائه وقال هو عبد لا ترد له دعوة . ثم إن أبا المهاجر صالح بربر إفريقية وفيهم كسيلة الأوربي وأحسن اليه واتخذ صديقا وصالح عجم إفريقية وخرج بجيوش من العرب ففتح كل ما مر به حتى انتهى الى العميون التي تسمى اليوم عيون أبي المهاجر نحو تلمسان ولم يستخلف على القيروان أحدا ينظر فيها لأن أكثرهم خرج معه ولم يبق إلا شيوخ ونساء وأطفال ثم رجع اليها فأقام بها أهكلام المالكي : وقال محمد بن يوسف الوراق أن عقبة بن نافع الفهرى غزا إفريقية غزواته الثانية في سنة ست وأربعين من الهجرة فافتتح كثيرا من حصونها وأثنى في قتل الروم والبربر واخترق مدينة القيروان وتحول بها أياما ثم قدم أبو المهاجر مولى سلمة بن مخلد الانصارى الى إفريقية سنة خمس وخمسين فعزل عقبة وقيده وحبسه وأخرب ما كان اختطه وبناء بالقيروان واخترق مدينة تاكروب بحوف إفريقية سنة خمس وخمسين على نحو ميلين وجد في بنائها وتشيدتها ولم يزل عقبة في حبسه حتى أتاه كتاب الملك الخليفة معاوية بن أبي سفيان يأمره بإطلاقه .

قال المالكي ولما سرخ عقبة من وثاقه توجه الى معاوية بن أبي سفيان فوجده قد توفي وولى بعده يزيد فدخل وأخبره بما صنع أبو المهاجر بالقيروان وما حل به منه وقال فتحت إفريقية وبنيت مسجد الجامع فبعث عبيدا الانصارى فاهانتهم وأساء عزلتهم فغضب يزيد وقال ادركوها قبل أن يخربها . ورد عقبة اليها وأزال ولاية سلمة عنها وأقره بمصر وذلك في سنة اثنتين وستين من الهجرة فقدم عقبة عليها في عشرة آلاف فارس فوصل الى القيروان فأخذ أبا المهاجر وحبسه

بوقيده وأخذ منه ما وجد بيده من الاموال فبلغ ذلك مائة ألف دينار ذهباً وجد
بناء القيروان وشيدها ونقل اليها الناس فعمرت وعظم شأنها وعلا قدرها وأعز
الله بها الاسلام واقربها أعين الانام ثم ان عقبه خرج بأصحابه وبكثير من
أهل القيروان الى المغرب واستخلف عليها عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس
البلوي وأخرج بابي المهاجر معه موثقاً ولما خرج عقبه دعا بأولاده فقال لهم
اني بعث نفسي من الله ولا أدري ما يقضى علي في سفرى ثم قال يا بني اني أوصيكم
بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها اياكم أن تملاوا صدوركم شعراً وتتركوا
القرآن املاًوا صدوركم من كتاب الله فانه دليل على الله وخذوا من كلام العرب
ما تهذبون به السنتكم ويدلكم على مكارم الاخلاق ثم انتهوا عما وراءه وأوصيكم
ان لا تدانوا ولو لبستم العباء فأن الدين ذل بالنهار وهم بالليل فدعوه تسلم
لكم أقداركم وأعراضكم وتبقى لكم الحرمة مع الناس ما بقيتم ولا تقبلوا
العلم إمن المغرورين المرخصين يحملونكم دين الله ويفرقون بينكم وبين الله
ولا تأخذوا دينكم الا من أهل الورع والحيلة فانه أسلم لكم ومن احتاط سلم
ونجا فيمن نجا ثم قال عليكم سلام الله وأرى أن لا تروني بعد يومى هذا ثم
قال اللهم تقبل نفسي في رضاك واجعل الجهاد رحمتى من دار كرامتى عندك ثم
سار لا يدافعه أحد حتى انتهى الى باغى والروم يهربون من طريقه يمينا وشمالا
فحاصرها وقد اجتمع فيها الروم فقاتلهم وحاصرهم حصاراً شديداً ثم انهزم
عددهم فقتلهم قتلًا ذريعاً وغنم أموالهم ثم كره أن يقيم عليهم فرحل عنهم ونزل
على تلمسان وهي من أعظم مدائنهم وانضم اليها من حولها فخرجوا اليه في عدد
لا يعلمه الا الله تعالى فقاتلهم حتى ظن المسلمون انه الفناء ف ضرب الله في وجوه
الروم فقاتلهم الى باب الحصن وأصاب الناس منها غنائم كثيرة ثم ترك القيام
عليها فرحل يريد الزاب فسأل عن أعظم مدائنه ف قيل له مدينة يقال لها آدانه
وهي دار ملكهم وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية كلها عامرة فلما بلغهم
قدوم المسلمين عليهم هربوا الى حصنهم والى الجبال فلما قدم عقبه نزل على واد
منها على ثلاثة أميال أو أكثر قليلاً فبلغوه عند الوادى في وقت المساء وكان وقت
نزوله يكره قتالهم بالليل فتواقف القوم الليل كله لا راحة لهم ولا فترة
ولا نوم نمل الناس الى اليوم وادى السر لانهم سهروا فيه عليه فلما أصبح

عقبة صلى الصبح ثم أمر المسلمين بقتالهم فقاتلوه فقال ما رأى المسلمون قتالا مثله قط حتى يشس المسلمون من انفسهم ثم أعطاهم الله تعالى الظفر فانهمز الروم وقتل فرسانهم وأهل النكاية والبأس منهم واستولت الهزيمة على بقيتهم وفي هذه الغزوة ذهب الروم من الزاب وذلوا فكره عقبة المقام عليهم وقد تحصنوا فرحل منها يريد المغرب حتى نزل تاهرت فاستغاث الروم بالبربر فاجابوهم ونصروهم فقام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس ان أشرافكم وخياركم الذين رضى الله عنهم وانزل عليهم كتابه بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان على من كفر بالله الى يوم القيامة فهم أشرافكم والسابقون منكم للبيعة بايعوا انفسهم من رب العالمين بحجته بيعة رابحة وانتم اليوم في دار غربة وانما بايعتم رب العالمين فقد نظر اليكم في مكانكم هذا ولم تبلغوا هذه البلاد الا طلبا لرضاه واعزازا لدينه فابشروا فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل ان شاء الله تعالى، ربكم عز وجل لا يسلمكم فاصبروا والقوه بقلوب صادقة فان الله تعالى جعلكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه، فالتقى المسلمون معهم فاقتتلوا قتالا شديدا فلم يكن لهم بقتال العرب من طاقة فلولوا هاربين فقتلهم المسلمون قتلا ذريعا فأبادوا فرسان البربر وتفرق جمعهم وأقيالهم وقليل من نجا منهم.

ثم رجع حتى نزل طنجة فنزل على بحر وهو بحر الاندلس فقبل له ذاك بحر لا يرام وعليه ملك عظيم الشأن وما أظنك تقدر أن تجوز هذا البحر فقال لهم دلوني على رجال البربر والروم فقبل له قد تركت خلفك الروم وقد افنيتم وما أمامك الا البربر وهم في عدد لا يعلوه الا الله وهم انجاد البربر فسألهم عن موضعهم فقالوا له بالسوس الادنى فامر عقبة الجيش بالرحيل على بركة الله تعالى وعونه فرحل يريد السوس الادنى فلقى البربر في عدد لا يعلوه الا الله تعالى فانهزموا وقتلهم قتلا ذريعا وامنت خيل المسلمين في البلاد ثم رحل الى السوس الأقصى فاجتمع عليه البربر في عدد لا يحصى فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتلى من الفريقين ثم ان الله عز وجل منته وكرمه وفضله ضرب في وجوههم فنهزمهم المسلمون وقتلوهم وغنموا أموالهم وسبوا نساءهم فبلغنا أن الجارية منهم بلغت عنها بالشرق ألف دينار ثم هربوا بين يديه ثم رحل يريد البحر المحيط فاتته

اليه واقحم فيه فرسه لا يقف بين يديه أحد ولا يرومه بشيء ثم نادى يا على
صوته وهو يشير بسوطه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال بعض أصحابه على
من تسلّم يا ولي الله فقال على قوم يونس من وراء هذا البحر ولولا هذا لوقفت
بكم عليهم ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم اشهد اني قد بلغت المجهدة ولولا هذا
البحر لمضيت في البلاد اقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك ثم
انصرف راجعا يريد افرريقية وداخل البربر منه رعب عظيم وتفرقوا في الجبال
فلما دنا منهم أمر أصحابه أن يتفرقوا فوجا فوجا إلى افرريقية فلما انتهى إلى ثغر
افريقية وهي طنجة وبينها وبين القيروان ثمانية أيام أذن لمن بقي معه بالانصراف
إلى القيروان وقال هو متياسر عن طنجة فلما انتهى إليها نظره الروم في خيل
يسيرة فقرب إليها لينظر إليها ويعرف قدر ما يكفيها من الخيل فيقطع ذلك إليها
وخيوله متياسرة عن طنجة فلما انتهى إليها نظر الروم الى قلة من معه من الخيل
فقالوا في قلة هذه الخيل قتل أهل الأرض كلهم وظنوا ان ذلك كان هو عسكره
فاغلقوا باب حصنهم دونه واقبلوا يرمونه بالحجارة وهم مع ذلك يشتمونه وكل
ذلك وهو يدعوهم الى الله عز وجل وإلى رسوله فلما توسطت البلاد نزل وبعث
الروم الى كسيلة الاوربي فاعلموه بقلة من معه فخرج له جمع من الروم
والبربر وتسارعوا اليه، ثم زحف اليه ليلا حتى نزل بالقرب منه واختلط بعسكر
عقبة واقام كذلك حتى أصبح فلما رأى ذلك عقبة استعد له وأمر أصحابه أن
لا يركب منهم أحد ويؤس المسلمون من أنفسهم وقاتلوا المشركين قتالا شديدا
حتى بلغ البلاء وتكاثر فيهم الجراح وتكاثر عليهم العدو فاستشهد عقبة رضى
الله عنه وجميع من معه رضى الله عنهم واستشهد معه ابو المهاجر وكان موثوقا
في الحديد وقيل ان كسيلة الاوربي انما اتى قاصدا الى ابي المهاجر لانه كان
صديقا له فلما التحم القتال بين الفئتين قتل ابو المهاجر معهم ولم يعلم به وقيل إن
أبا المهاجر حارب كسيلة مع البربر حتى ظفّر به فعرض عليه الاسلام فاسلم
فأحسن اليه أبو المهاجر وكان في عسكر المسلمين حتى عزل ابو المهاجر وقدم عقبة
فلما أراد أن ينهض الى طنجة قال ابو المهاجر ليس بطنجة عدوك لان الناس
قد اسلموا وهذا رئيس البلاد يريد كسيلة فابعث معه واليا فابى عقبة الا أن يخرج
بنفسه فخرج فنزل ماسة بمكان من السوس الاقصى فبنى بها مسجدا ثم أتى

بذود ونغم للعسكر فذبح الذود فامر عقبة كسيلة أن يسلخ مع السلاخين فقال
له كسيلة أصلح الله حال الامير هؤلاء فتيانى وغلماي فقهره عقبة فقام كسيلة
مغضبا فكان كلما دحس في الشاة مسح لحيته بما علق بيده من بلل ذلك ،
وجعل العرب يمرون به وهو يمسح ويقولون له يا بربرى ما هذا الذى صنعت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف جبابرة العرب مثل الاقرع بن حابس
التميمي وعقبة بن زيد الفزاري وانت تجيء الى رجل من خيار قومه في دار عزه قريب
عهد بالكفر فتقسي قلبه توثق من الرجل وإلا أخيف فتكده فتهاون عقبة فلما
انصرف انكث البربرى ما كان عليه واقبلت النفرة الى عقبة فقال له ابو المهاجر
عاجله قبل أن يخرج يجمع امره فزحف الى عقبة فتنحى بين يديه وهو في خمسين
الفا ونحن في خمسة آلاف لان العسكر افرق فغشى كسيلة عقبة بقرب ثمودة
في كثرة لا يعلمها الا الله تعالى عز وجل فنزل عقبة عن فرسه فركع ركعتين وقال
اطلقوا ابا المهاجر ثم قال له عقبة قم بامر المسلمين وانا اغتيم الشهادة فقال له
ابو المهاجر وانا اغتيم ذلك فكسر كل واحد منهما غمد سيفه وكسر المسلمون
اغمد سيوفهم وقاتلوا حتى قتلوا رضى الله عنهم اجمعين وقيل إن عقبة امر
بتخيلة ابي المهاجر فاعجله القتال فقاتل وهو موثوق بالحديد وذكر أن ابا
المهاجر تمثل بقول ابي محجن حيث يقول

كفى حزنا أن تقنع الخيل بالقنا ۝ واترك مشدودا على وثاقيـا
إذا قتت عناني الحديد واغلقت ۝ مصارع أبواب تضم المناديا

وروى عن وهب بن منبه وشهر بن حوشب أن هذه البقعة التي يقال لها
ثمودة كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن سكنها وقال سوف يقتل بها
رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله تعالى ثوابهم وثواب أهل بدر واحد
واشوقاه اليهم منها يحشرون يوم القيامة وروى أن عقبة مر بعبد الله بن عمرو
ابن العاص وهو بمصر في وقت عودته الى افریقیة فقال له عبد الله لعلك من
الجيش الذين يدخلون الجنة برحائم قال قضى بجيشه حتى قاتل البربر وهم كفار
فقتلوا جميعا قال المالكى فلما استشهد عقبة وأصحابه جمع كسيلة أهل المغرب
وزحف بهم يريه القيروان فانقلبت افریقیة نارا وعظم البلاء على المسلمين
ومضى كسيلة بالعساكر حتى جاوز القيروان فخرجت العرب منها هاربة ولم يكن

لهم في حربه طاقة لعظم ما اجتمع عليه من الروم والبربر وأسلموا القيروان
وبقي بها أصحاب العيال ومن ثقل من التجار وأهل الذمة فحار الناس ولم
يدروا كيف يصنعون فأرسلوا الى كسيلة يسألونه الامان ووثقوا بدعوة عقبة
رضي الله عنه ، فاجابهم الى ذلك ودخل القيروان الى الموضع الذي كان فيه عقبة
فنزله وأقام بها أميرا و بقي المسلمون تحت يده ومضى الذين هربوا حتى قدموا
على يزيد فوجدوه قد مات

وذكر أبو العرب أن زهير بن قيس البلوي خليفة عقبة لما بلغه ما جرى
على عقبة رعب رعبا شديدا عظيما وأراد الانصراف الى مصر فأتاه ابن حيان
الحضرمي فقال له لا تفعل فانها هزيمة الى مصر فكان أول من برز وضرب
خباياه مبارزا للعدو فلما رأى زهير عزمه عزم معه وكان مع المسلمين في عسكرهم
تبيع بن امرءة لعب الاحبار فقال له زهير لمن تراها قال أراها لرجل من العرب
من غسان وأنت رجل من بلي فقال أنا والله من العرب وأنا والله من غسان جنى
جدي جناية في زمنه فلجأ الى بلي فغلب عليه نسبهم فقال عند ذلك لتبيع علامة
الفتح لنا فقال يطيش من أصحابك فيستشهد فلما تنادت الخيل طاش رجل من
موادى اليمن فقتل وكان اللقاء بنصر أبي عبيد ويقال ان تبعيا قال لزهير
علامة صاحب الفتح ان يفتض ذلك اليوم بكرا قال فأدنى اليه زهير رأسه وقال
انه لم يخف بعد وانا طهرت من افتضاض بكر الساعة فقل له تبع اخرج على
بركة الله وعونه فثبت زهير بالقيروان حتى زحف عليه كسيلة البربري وخرج
الروم من حصونهم ونقضوا العهد ووافق جمعهم عيد الاضحى فاعتد زهير
هو ومن معه وكانوا ستة آلاف من البربر وأربعة آلاف من العرب فلما رأى
زهير ما حل به من البربر والروم بعث اليهم وقال إنا وإياكم أهل كتاب وقد
حضرنا عيد نعظمه فأخروا حربنا حتى نقضى العيد فأجابوه الى ذلك فلما انقضى
العيد زحف كسيلة وقاتله قتالا شديدا فانهزم كسيلة وقتل من أصحابه ما لا يحصى
ومضى اليه تلك الجموع وهرب الروم وتفرقت جموعهم ، فأقام زهير يسيرا
بالقيروان ثم خرج الى مصر فوصل الى نوبيه ومراقية وذلك في سنة خمس وستين
فوجد يزيد قد مات وعبد الله بن الزبير خليفة بمكة ومروان بن الحكم أمير
بالشام فاجتمع المسلمون الى مروان بن الحكم فسألوه أن يبعث الجيوش الى

أفريقية لخلاص من فيها من المسلمين من يد كسيلة وأن يقرها للإسلام كما كانت في أيام عقبة فقال لهم ومن يوجد مثل عقبة فاتفق رأيهم ورأى المسلمين على زهير بن قيس البلوي رضي الله عنه وكان من رؤساء العابدين وأشرف المهاجرين فوجه إليه عبد الملك بن مروان يأمره بالخروج على أعنة الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو إفريقية حتى يعود إليها الإسلام كما كان فلما اتصل ذلك بزهير سره ذلك وسارع إلى الجهاد وكتب إلى عبد الملك يخبره بقلته من معه من الرجال وقلة الأموال فأرسل عبد الملك رجالا من العرب وأشرفهم يحشرون عليه الناس من مدائن الشام وأفرغ عليهم الأموال فتسارع الناس إلى الجهاد واجتمع منهم خلق كثير فأمرهم أن يلحقوا بزهير فلما وصلوا إليه خرج بهم إلى إفريقية فلما دنا من القيروان نزل بقرية يقال لها قلشانه وكان ذلك في سنة تسع وستين فبلغ ذلك كسيلة وكان في خلق عظيم من الروم والبربر فدعا كبارهم وأشرفهم وشاورهم في أمره وقال لهم اني رأيت أن أرحل إلى ممس فأنزل عليها لاني أخاف إذا التقينا مع القوم والتحم القتال أن يركبنا من في القيروان من المسلمين فنهلك ولكن ننزل بعسكرنا على ممس لان ماءها كثير وهو يحمل عسكرنا فان هزمناهم دخلنا معهم طراباس وان هزمونا كان الجبل منا قريبا فتحصنا به. فأجابه الناس إلى ذلك فرحل إلى ممس فنزل بها فبلغ ذلك زهيراً وكان ينتظره أن يخرج إليه من القيروان فلما نزل كسيلة ممس رحل زهير بعسكره فنزل القيروان وأقام بها ثلاثة أيام حتى استراح وأراح أصحابه خيائهم ونظروا إلى ما يعمل كسيلة فاذا به يريد قتالهم فزحف إليه زهير يوم الأربعاء صباحاً فصار نهاره أجمع حتى أشرف على عسكر كسيلة في آخر النهار فأمر الناس بالنزول فنزلوا وبات الناس على مصافهم فلما أصبح زهير صلى الصبح غلبا ثم زحف إليه بمن معه فالتقى الفريقان فاقتلوا قتالا شديدا حتى كثر البلاء في الفريقين جميعا فضرب في وجه كسيلة فانهزم هو وأصحابه وقتلوا قتلا ذريعا وأثنى العرب فيهم القتل وقتل كسيلة بممس ولم يجاوزها وتمادت العرب في طلب أصحابه حتى سقروا خيلهم من ملوية (واد بطنجة) وأفتوا رجال الروم وفتح سقنباريه وقلاعها ثم رحل إلى القيروان وقد فرغ منه جميع الروم والبربر ثم ان زهيراً رأى في إفريقية رفاهية الجيش وملاكا عظيما فأبى المقام وقال انما قدمت للجهاد ولم

أقدم لحب الدنيا وكان رضى الله عنه من رؤساء العابدين فراوده أصحابه على
المقام بأفريقية فأبى ورجع إلى المشرق ونزل ببرقة وكانت له بها وقائع كثيرة مع
المشركين وكان لما بلغهم أن زهيرا خرج غازيا إلى أفريقية لقتال الروم والبربر
وأيقنوا أنه خرج من برقة أمكنهم ما يريدون فخرجوا إليها في مراكب كثيرة
وقوة عظيمة فأغاروا على برقة فأصابوا منها سبيًا كثيرًا وقتلوا وافسدوا وذهبوا
فوافق ذلك قدوم زهير من أفريقية إلى برقة فاخبروه بالذي حل بهم من الروم
فأمر عسكره أن يمضى على الطريق وعدل هو إلى الساحل في خيل يسيرة من
فرسان أصحابه وأنجادهم وطمع أن يدرك شيئًا من سبي المسلمين فلما انتهى إلى
الساحل أشرف على الروم فاذا هم في خلق فلم يقدر أن يرجع واستغاثه ذراري
المسلمين وصاحوا والروم يدخلونهم في المراكب وعسكر الروم في البر
فنادى زهير في أصحابه انزلوا رحمكم الله فنزل المسلمون وبرز الروم لقتالهم
فالتقى الفريقان واقتتلوا قتالًا شديدًا حتى عانق بعضهم بعضًا وتكاثر عليهم الروم
فاستشهد زهير وكل من معه من المسلمين رضى الله عنهم ولم يقات منهم إلا رجل
واحد فأدخل الروم خيلهم وسلاحهم وسبيهم الذي كان معهم في المراكب

فلما وصل الخبر إلى عبد الملك بن مروان اشتد عليه وعلى المسلمين
ذلك وكانت المصيبة بزهير مثل المصيبة بعقبة بن نافع وأصحابه رضى الله عنهم
فسأل عبد الملك بن مروان أشراف المسلمين أن ينظروا إلى أفريقية من
يؤمنهم من عدوهم ويبعث الجيوش إليهم فقال عبد الملك ما أعلم أحدًا أكفي
بأفريقية من حسان بن النعمان الغساني فبعثه عبد الملك أميراً على أفريقية سنة
تسع وستين في جيش فيه ستة آلاف وهو أول من دخل أفريقية من أهل الشام
في زمن بني أمية فخرج حسان بجيوشه حتى وصل أفريقية فسأل أهل أفريقية
عن أعظم ملوك أفريقية فقالوا صاحب قرطاجنة فرحل إليه حسان وفي قرطاجنة
من الروم ما لا يعلمه إلا الله وهى على شاطئ البحر وتسمى ترشيش وهى من
مدينة القيروان على مئة ميل فسار حسان حتى نزل على مدينة ترشيش ووجه
خيله إلى قرطاجنة فلم يكن فيها بحر فضيق عليهم حسان وتواقف القوم فاقتتلوا
قتالًا شديدًا فقتل رجالهم وفرسانهم واجتمع رأى الروم أن يهربوا في البحر
وكانت لهم سفن كثيرة فتحملوا فيها فمنهم من هرب إلى صقلية ومنهم من هرب

إلى الإندلس فدخلها حسان بالسيف فسابها وغنم ما فيها وقتل الرجال وأرسل إلى ما حولها من العمران فاجتمعوا إليه مسرعين خوفاً منه فأمرهم بهدم قرطاجنة وقطع القناة عنها ثم اجتمع عليه الروم وعقدوا عليه عسكراً عظيماً لا يعلمه إلا الله تعالى وأمرؤهم البربر وذلك بموضع يسمى صقفورة فزحف إليهم حسان فقاتلهم قتالاً شديداً وأصيب من أصحابه رجال كثيرون رضى الله عنهم ثم إن الله تعالى بمنه وفضله وأحسانه ضرب في وجوه الروم والبربر فانهزموا بعد بلاء عظيم فقتلهم حسان قتلاً عظيماً واستأصلهم وحمل باعنة الخيل عليهم فما ترك في بلادهم موضعاً إلا وطئه بخيله ولجأ بقية الروم خائفين هاربين إلى مدينة باجة فتحصنوا فيها وهرب البربر إلى إقليم بونه وأتى حسان البحر فاحتفره وجعل دار الصناعة وأخرج إليها ثم انصرف إلى مدينة القيروان فأقام بها حتى برئت جراح أصحابه ثم سأل حسان عن أعظم ملك بأفريقية وعن إذا قتل خافت أفريقية لقتله فقيل له ليس بأفريقية أعظم قدراً ولا أبعد صيداً ولا أشد ضرباً من امرأة يقال لها الكاهنة وهي في جبل أوراس وجميع من بأفريقية بهاها الروم لها سامعون مطيعون فإن قتلها يثب الروم والبربر بأفريقية فأنها لهم ملجأ فلما سمع ذلك حسان عزم على غزوها فخرج إليها بجيوشه فلما بلغ موضعاً يقال له مجانة نزل به وكانت قلعة مجانة لم تفتح فتحصن بها الروم فمضى وتركهم وبلغ الكاهنة أمره فزحفت من جبل أوراس في عدة لا يعلمها إلا الله تعالى فنزلت بمدينة باغباي فأخرجت من بها وهدمتها وظنت أن حساناً يريد لها حصناً يتحصن به ثم أقبل حسان حين بلغه الخبر إلى واد يقال له مكناسة فقيل له إنها قد أقبلت في عدد لا يحصى فقال لهم دلوني على ما يسع العسكر الذي أنا فيه فقالوا به إلى نهر فنزل عليه ورجعت إليه الكاهنة حتى أتت إلى أسفل النهر فنزلت عليه فكان يشرب هو وأصحابه من أعلى النهر وتشرب هي من أسفله فلما دنا بعضهم من بعض وتوافقت الخيل أتى حسان أن يقاتلها بالليل فوقف كل فريق على مصافهم فلما أصبحوا زحف بعضهم إلى بعض واقتتلوا قتالاً شديداً فعمم البلاء وظن المسلمون الفناء وانهزم حسان بعد بلاء عظيم وقتل من العرب خلق كثير فسمى ذلك النهر نهر البلاء فاتبعته الكاهنة بمن معها حتى خرج من حد قابس فأسلم أفريقية ومضى على وجهه وأسرت من أصحابه ثمانية رجال وقيل أنها

اسرت ثمانين رجلا منهم يزيد بن خالد العبسي وكان رجلا مذكورا فلما فصل
حسان من قابس كتب الى امير المؤمنين بخبر ما نزل بالمسلمين وبخبر الكاهنة وطفق
يرقق في سيره طمعا فيمن نجح من أصحابه ان يلحقوا به ثم ان امير المؤمنين
عبد الملك كتب اليه بلغني أمرك وما لقيت ولقي المسلمون فحيث ما لقيك كتابي
هذا فاقم ولا تبرح حتى يأتيك أمرى فلقية كتابه وهو نازل بالموضع الذي يقال
له اليوم قصور حسان فابتنى هناك قصرا لنفسه وأقام بذلك الموضع هو ومن معه
ثلاث سنين وملك الكاهنة افرقية كلها

وكانت الكاهنة حين اسرت أصحاب حسان اساءت أسرهم الا رجلا
واحدا وهو يزيد بن خالد العبسي تبنته الكاهنة ثم عمدت الى دقيق شعير مفلق
فأمرت به فلت بزيت والبربر تسمى ذلك بسياسة ثم دعت يزيد بن خالد وابنين
لها فأمرتهم فاكل ثلثهم قالت لهم انتم الآن قد صرتم إخوة وذلك عند العرب
من أعظم العهد في جاهليتهم اذا فعلوه ثم ان حسانا بعث رسولا الى يزيد وهو
عند الكاهنة فاتاه فقال ان حسانا أرسلني اليك وهو يقول لك ما منعك من
الكتب الينا بخبر الكاهنة فكتب يزيد كتابا الى حسان مع رسوله في خبرة ملة
قد أنضجها ثم رفعها الى الرسول ليخفي الكتب وليظن ناظره انه زاد للرجل فلم
يغب شخص الرسول عنهم حتى خرجت الكاهنة ناشرة شعرها وهي تقول
يا معشر بني ذهب ملككم ودنا هلاككم فيما يأكل الناس فكررت ذلك ثلاث
مرات ومضى الرسول حتى قدم على حسان بالكتاب وفيه كل ما يحتاج اليه من
خبر الكاهنة يقول فيه ان البربر يعقدون عساكرهم بالنهار ويفترقون بالليل
وليس لهم حزم في الرأي وانما ابتلينا بأمر اراده الله واكرم به من أراد منا
بدرجة الشهادة فاذا نظرت في كتابي هذا فاطو المراحل وجد السير فان الامر
اليك ولست اسلمك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ثم ان يزيد كتب بعد ذلك الى حسان بخبر الكاهنة وعمد الى قربوص
فنقعه ووضع فيه الكتاب وطبق عليه القربوص وأخفى مكان النقير منه ثم حمل
رسولا على دابة بالكتاب فلما فصل الرسول خرجت الكاهنة ناشرة شعرها وهي
تقول قد دنا هلاككم في شيء من نبات الارض وهو بين خشبتين وكانت من أعلم
أهل زمانها بالكهانة ومضى الرسول حتى قدم على حسان فلما بلغ الكاهنة أن حسانا مقم

بقصوره لا يبرح قالت للبربر والروم انما طلب حسان من افريقية المدائن والذهب والفضة والشجر ونحن انما نريد المراعى والمزارع فما نرى لكم الا خراب افريقية ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة وقرى متصلة واخرت ذلك كله الكاهنة فخرج من النصارى ثلثمائة رجل يستغيثون بحسان فيما نزل بهم من خراب الحصون وقطم الشجر وكان قد وجه اليه عبد الملك بن مروان رسولا يأمره بالهوض الى افريقية قبل أن تخربها الكاهنة فوافق ذلك وصول الروم اليه وقدم رسول يزيد بن خالد اليه فخرج بجميع عسكره الى افريقية فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها فقالت يا بنى انظروا ماذا ترون فى السماء فقالوا نرى شيئا من سحاب أحمر فقالت لهم لا والله الا وهج خيل العرب أقبلت اليكم ثم قالت ليزيد بن خالد الذى كانت أسرته من المسلمين انما كنت تنبئتك لمثل هذا اليوم أما أنا فمقتولة ولكن أوصيك بأخويك هذين خيرا تريد ولديها فانطلق بهما الى العرب وخذلها امانا فانطلق بهما يزيد الى العرب ولقى حسانا وهو مقبل يريد الكاهنة فاخبره خبرهما وأخذلها امانا وكانت مع حسان جماعة من البربر فولى عليهم الاكبر من ولدى الكاهنة واكرمه وقربه

ثم مضى حسان ومن معه يريد الكاهنة فوصل الى قابس فلقىته الكاهنة فى جيوش عظيمة فقاتلهم حسان وهزمهم الله وهربت الكاهنة منهزمة تريد قلعة بشر تتحصن بها فاصبحت القلعة لاصقة بالارض فذهبت تريد جبل أوراس ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبد به فجعل بين يديها على جمل فتبعها حسان حتى قرب من موضعها فلما كان الليل قالت الكاهنة لابنها انى مقتولة وأرى رأسى تركض به الدواب يمضى به الى المشرق من حيث تطلع الشمس وأراه موضوعا بين يدى ملك العرب الذى بعث الينا بهذا الرجل فقال لها يزيد ابن خالد وولداها فاذا كان الامر هكذا فارحلى وخلي له البلاد فقالت وكيف أفر وأنا ملكة والملوك لا تفر من الموت فاقلد قومي عاراً الى آخر الدهر فقالوا لها ألا تخافين على قومك الموت فقالت اذا أنا مت فلا أبقى الله أحدا منهم فى الدنيا فقال لها يزيد بن خالد وولداها فما نحن صانعون فقالت اما انت يا يزيد فتتال ملكا عظيما مع الملك الذى يقتلى ثم قالت لهم اركبوا واستأمنوا فركب يزيد بن خالد وولداها بالليل متوجهين الى حسان فلما أصبح حسان زحف الى الكاهنة

واقبلت الكاهنة زاحفة اليه فلقيت أعنة الخيل يزيد وولديها فسلموا عليهم ومضوا بهم الى حسان فدخل يزيد بن خالد على حسان وأخبره بما قالت الكاهنة وانها وجهت ولديها فأمرهما حسان فأدخلهما عسكره ووكل بهما أقواما وقدم يزيد ابن خالد على أعنة الخيل فالتقى القوم ووضعوا السلاح ووقع الصبر حتى ظن المسلمون انه الفناء فانهمزمت الكاهنة وقتلت عند بئرسهاها الناس بئر الكاهنة فنزل حسان على القوم الذي قتلت فيه ويقال انها قتلت عند طبرقة فعجب الناس من خلقتها وكانت الا ترجة تجري فيما بين عجزنها واكتافها

ثم ان الروم تحزبوا على قتال حسان واجتمعوا اليه وقاتلوه فهزمهم الله تعالى فخافه البربر فلم يقبل امانتهم حتى يعطوه من جميع قبائلهم اثني عشر الف فارس تكون مع العرب برسم الجهاد فاجابوه الى ذلك واسلموا على يديه فعقد لولدى الكاهنة بعد اسلامها لكل واحد منهما ستة آلاف فارس من البربر واليا عليهم واخرجهم مع العرب يفتتحون افریقیة ويقتلون الروم ومن كفر من البربر فمن ذلك صارت الخطط بافریقیة للبربر فكان يقسم الفتي بينهم والاراضي فحسنت طاعتهم له ودانت له افریقیة ودون الدواوين ثم قدم القيروان فامر بتجديد بناء مسجد الجامع فبناه بناء حسنا وجدده وذلك في شهر رمضان المعظم من سنة أربع وثمانين من الهجرة ثم رحل يريد قرطاجنة فأتته الى طنجة فوجه أبا صالح مولاه الى قلعة زغوان فنزل بموضع فحص أبي صالح وبه سمى فقاتل أهلها ثلاثة أيام فدخل حسان عسكره بطنفزة ثم رحل الى زغوان في خيل مجردة فاقتحمها صلحا وانصرف الى طنفزة ثم سار الى قرطاجنة فنزل بموضع دار الصناعة وحسان هذا هو الذي خرق البحر اليها وجعلها دار صناعة فاخرج اليها الماء واجراه من البحر اليها فخرج الى حسان اهل قرطاجنة باجمعهم فخاربوه حربا شديدا فهزمهم الله عز وجل بين يديه وملك حسان رضي الله عنه حصن تونس وقرطاجنة فلما رأت الروم شدته وقهره لهم وعلوموا انهم لا قدرة لهم به ولا طاقة سأتوه الصلح وان يضع عليهم الخراج فاجابهم حسان الى ذلك ووافقهم عليهم فادخلوا عند ذلك ثقلهم في مراكب كانت معدة عندهم في البحر وهربوا ليلا باجمعهم من باب يقال له باب النساء وحسان رضي الله عنه لا علم عنده بما فعلوه من هروبهم وتركوا مدينتهم خالية

لأحد بها ونزلوا بجزيرة صقلية ومضى بعضهم إلى بلاد الأندلس؛ فدخل عند ذلك حسان إلى المدينة وبنى مسجداً وخرب بناءهم ورحل عنها راجعاً إلى مدينة القيروان حرسها الله تعالى وأقام بها وعمرها المسلمون وبنوا بها المساكن وانتشروا فيها وكثروا وأمنوا من أعدائهم وقطع الله شوكتهم وأقر الله تعالى بها أعينهم وعلموا أن الله عز وجل قبل دعوة عقبة بن نافع فيما دعا لها وولى حسان بن النعمان الغساني على صدقات الناس والسعي عليهم حنش بن عبد الله الصنعاني التابعي رضي الله عنه

ثم إن حسان بن النعمان لما تهدمت (١) بلاد إفريقية وأمن على أهلها رحل بمن معه من المسلمين والغنائم والأموال قاصداً عبد الملك بن مروان ومعه خمسة وثلاثون ألف فارس وكان معهم من الذهب ثمانون ألف دينار وقد جعلها حياطة عليها مع قرب الماء واستقامت إفريقية كلها وأمن أهلها وقطع الله عز وجل ملكة الكافرين فصارت القيروان دار اسلام وجميع من بإفريقية إلى وقتنا هذا وإلى آخر الدهر إن شاء الله تعالى وذلك ببركة من أدخلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم أجمعين

ذكر فتح موسى بن نصير

وهو آخرها وأثبتها الموالي لفتح الامام ادريس الأكبر رضي الله عنه واليه الإشارة بقول الامام ابن غازي

وفتح الغرب لسوس الاقصي * موسى وطارق بما لا يحصى
وجاءنا ادريس عام قعب * وبنيت فاس في عام قضب
والفاتح المذكور هو ابو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي بالولاء صاحب فتح الأندلس كان من التابعين رضي الله عنهم وروى عن نعيم الداري رضي الله عنه وكان عاقلاً كيساً شجاعاً ورعاً تقياً لله تعالى لم يهزم له جيش قط وكان والده نصير على حرس معاوية بن أبي سفيان وكانت منزلته عنده مكيمة ولما خرج معاوية لقتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يخرج معه فقال له معاوية ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئي عليها فقال لم يمكنني ان اشرك

بكفر من هو اولى بشكرى فقال ومن هو فقال الله عز وجل فقال وكيف لام لك فقال وكيف لا أعلمك هذا فاغضض وامض قال فاطرق معاوية مليا ثم قال استغفر الله ورضي عنه. وكان عبد الله بن مروان أخو عبد الملك بن مروان واليا على مصر وأفريقية فبعث اليه ابن أخيه الوليد بن عبد الملك أيام خلافته يقول له ارسل موسى بن نصير الى افريقية وذلك سنة تسع وثمانين من الهجرة.

وقال أبو عبد الله الحافظ عبد الحميد في كتاب جذوة المقتبس ان موسى بن نصير تولى افريقية سنة سبع وتسعين فارسله اليها فلما قدمها ومعه جماعة من الجند بلغه ان بخارج البلاد جماعة خارجين فوجه اليهم ولده عبد الله فاتاه بمائة الف رأس من السبايا ثم وجه ولده مروان الى جهة اخرى فاتاه بمائة الف رأس قال الليث بن سعد فبلغ الخمس ستين الف رأس وقال أبو شعيب الصديقي لم يسمع في الاسلام بمثل سبايا موسى بن نصير ووجد اكثر مدن افريقية خالية لاختلاف الايدي وكانت البلاد في قحط شديد فأمر الناس بالصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين اولادها ووقع البكاء والضجيج فأقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب بالناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك فقبل له الا تدعو لامير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه الا لله عز وجل فسقوا حتى رووا

ثم خرج موسى غازيا وتبع البربر وقتل منهم قتلا ذريعا وسبا سبايا عظيمة وسار حتى انتهى الى السوس الاذنى لا يدافعه أحد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا اليه وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم واليا واستعمل على طنجة وأعمالها مولاة طارق بن زياد البربري ويقال انه من الصدف وترك عنده تسعة عشر ألف فارس من البربر بالاسلحة والعدد الكاملة وكانوا قد أسلموا وحسن اسلامهم وترك موسى خلقا يسيرا من العرب لتعليم البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية ولم يبق في البلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم فلما استقرت له القوا ^{كتب} طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الاندلس في جيش من البربر ليس فيه من العرب الا نذر يسير فامثل طارق أمره وركب البحر من سبتة الى الجزيرة الخضراء من بلاد الاندلس وصعد الى جبل يعرف اليوم بجبل طارق نسب اليه لما حصل عليه وكان صعوده

اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنين وتسعين للهجرة في اثني عشر
الف فارس من البربر خلا اثني عشر رجلا وذكر عن طارق أنه كان نائما في
المركب وقت التغذية وانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة
رضي الله عنهم يمشون على الماء حتى مروا به فبشره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ذكر ذلك ابن بشكوال المقدم
ذكره في حرف الحاء في تاريخ الاندلس . وكان صاحب طليطلة ومعظم بلاد
الاندلس ملك يقال له لدريق

ولما احتل طارق الجبل المذكور كتب الى موسى بن نصير اني فعلت
ما أمرتني به وسهل الله سبحانه في الدخول . فلما وصل الكتاب الى موسى ندم
على تأخره وعلم أنه إن فتح نسب الفتح اليه دونه فأخذ في جمع العساكر وولى على
القيروان ولده عبد الله وتبعه فلم يدركه الا بعد الفتح وكان لدريق المذكور قد
قصد عدوا له واستخلف في المملكة شخصا يقال له تدمير والى هذا الشخص
تنسب بلاد تدمير بالاندلس فلما نزل طارق بالجبل الذي فتحه كتب تدمير الى
لدريق الملك أنه وقع بأرضنا قوم لا ندري من السماء هم أم من الارض فلما
بلغ ذلك لدريق رجع عن مقصوده في سبعين الف فارس ومعه العجل يحمل
الاموال والمتاع وهو على سريريه بين دابتين عليه قبة مكللة بالدر والياقوت
والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوه قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم
حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال أيها الناس أين المفر والبحر
من ورائكم والعدو أمامكم فليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم
في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مآدب اللثام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه
واسلحته واقواته موفورة واتم لا وزر لكم غير سيوفكم ولا أقوات الا ما
تستخلصونه من أيدي أعدائكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا
لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن
أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد القت به إليكم
مدينته المحصنة وان انتهز الفرصة به لممكن لكم ان سمحتم بأنفسكم للموت
واني لم أحذركم أمرا انا عنه بنجوة ولا أحلنكم على خطة أرخص متاع نبيها النفوس
الا ابدأ فيها بنفسي واعلموا انكم اذا صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالأرفه

الا لذ طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه أوفر من حظى وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الخور الحسان من بنات اليونان والرافلات فى الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات فى قصور الملوك ذوى التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظهم منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصا لكم من دون المسامين سواكم والله تعالى ولى انجادكم على ما يكون لكم ذكر فى الدارين واعلموا أنى أول مجيب الى ما دعوتكم اليه وانى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لدريق فقائل ان شاء الله تعالى فاحملوا معى فان هلكت بعده فقد كفيت أمره ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم اليه وان هلكت قبل وصولى اليه فاخلفوني فى عزمى هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون (١) فلما فرغ طارق من تحريض أصحابه على الصبر فى قتال لدريق وأصحابه وما وعدهم من النيل الجزيل انبسطت قواهم وتحققت آمالهم وهبت ريح النصر عليهم وقالوا لقد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمنا عليه فاحضر اليه فاننا معك وبين يديك فركب طارق وركبوا وقصدوا مناخ لدريق وكان قد برز بمتسع من الارض فلما تراءى الجمعان نزل طارق وأصحابه فباتوا ليلتهم فى حرس الى الصبح فلما أصبح الفريقان ركبوا وعبروا كتائبهم وحمل لدريق على سريريه وقد رفع على رأسه رواق ديباج يظله وهو مقبل فى غابة من البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة والسلاح وأقبل طارق وأصحابه عليهم الزرد ومن فوق رؤوسهم العائم البيض وبأيديهم القسي العربية وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لدريق قال أما والله ان هذه الصور التى رأيناها فى بيت الحكمة ببلدنا فداخله منهم رعب ونحن نتكلم عن بيت الحكمة آخر فلما رأى طارق لدريقا قال لأصحابه هذا طاغية القوم وحمل أصحابه معه ففرقت المقاتلة بين يدي لدريق فخلص اليه طارق وضربه بالسيف على رأسه فقتله على سريريه فلما رأى

(١) فى الأصل تحريف كثير فى هذه الخطبة . وقد أصلناها بالمقابلة على ما فى

أصحابه مصرع ملكهم اقتحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة
اليونان على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا ومعقلا معقلا فلما سمع بذلك
موسى بن نصير المذكور أولا عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاه طارق فقال له
يا طارق إنه لن يحازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يسبحك
بالاندلس فاستبجها هنيئا مريئا فقال له طارق أيها الأمير والله لا أرجع عن
قصدى هذا ما لم أنته إلى البحر المحيط وأخض فيه بفرسى فلم يزل طارق
يفتح وموسى معه إلى أن بلغ جليقية وهى على ساحل البحر المحيط

وقال الحميدى فى جذوة المقتبس ان موسى نقم على طارق اذ غزا بغير اذنه
وسجنه وهم بقتله ثم ررد عليه كتاب الوليد باطلاقة فأطلقه وخرج معه إلى الشام
وكان خروج موسى من الاندلس وافدا على الوليد يخبره بما فتح الله سبحانه
وتعالى على يديه وما معه من الاموال فى سنة أربع وتسعين للهجرة وكانت معه
مائة سليمان بن داود التى وجدت فى طليطلة على ما حكاه بعض المؤرخين
فقال كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت
وطوق زمرد وكانت عظيمة بحيث أنها حملت على بعير قوى فاسار إلا قليلا
حتى تفسخت قوائمه وكان معه تيجان الملوك الذين تقدموا من اليونان وكلها
مكحلة بالجواهر واستصحب ثلاثين الف فارس ويقال إن الوليد نقم عليه أمرا
فلما وصل اليه بدمشق أقامه فى الشمس يوما كاملا فى يوم صائف حتى خرمغشيا
عليه. وقد أطلنا هذه الترجمة كثيرا لكن الكلام انتشر فلم يمكن قطعه . مع انى
تركت الاكثر واتيت بالمقصود، ولما وصل موسى إلى الشام ومات الوليد بن
عبد الملك وقام من بعده سليمان أخوه وحج فى سنة سبع وتسعين للهجرة وقيل
سنة تسع وتسعين فحج معه موسى بن نصير ومات فى الطريق بوادى القرى
وقيل بمر الظهران على اختلاف فيه وكانت ولادته فى خلافة عمر بن الخطاب
رضى الله عنه

قال ابن خلكان وأصل بيت الحكمة ان اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكمة
كانوا يسكنون بلاد الشرق قبل عهد الإسكندر فلما ظهرت الفرس واستولت
على البلاد وزاحت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك انتقل اليونان إلى
جزيرة الاندلس لكونها طرفا فى آخر العمارة ولم يكن لها ذكر يوم زال ولا

ملكها أحد من الملوك ولا كانت عامرة وكان أول من عمر فيها وخطها
اندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد
الطوفان كانت صورة المعمور عندهم على شكل طائر رأسه المشرق والجنوب
والشمال رجله وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه فكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى
أخس اجزاء الطائر وكانت اليونان لا ترى اشتغال الامم بالحروب لما فيها من
الاضرار والاشتغال عن العلوم التي كان أمرها عندهم أهم الامور. فلذلك انحازوا
من بين يدي الفرس الى الاندلس فلما ساروا اليها اقبلوا على عمارتها بشق الانهار
وبنو المعازل وغرسوا الحباب والسكر وموشيدوا الامصار وملاؤها حرثا ونسلا
وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما رأوا بهجتها ان الطائر الذي صورة
العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاووسا معظم جماله في ذنبه فانغبطوا
بها أم اغتباط واتخذوا دار الملك والحكمة بها مدينة طليطلة لانها وسط البلاد
وكان أهم الامور عندهم تحصينها عن متصل به خبرها من الامم فنظروا
فاذا ليس ثم من يحسده على رغد العيش الا ارباب الشظف والسقا (؟) وهم
طائفتان العرب والبربر يخافوهم على جزيرتهم المعمورة فعزموا ان يتخذوا
لدفع هذين الجنسيتين من الناس طلسم فرصدوا لذلك ارسادا. ولما كان البربر
بالقرب منهم وليس بينهم الا تعدية البحر ويرد عليهم منهم طوائف منحرفة
الطباع خارجة عن الاوضاع ازدادوا نفورا وكثر تحذرهم من مخالطتهم في نسل
أو في مجاورة حتى أثبت ذلك في طبائعهم وصار بعضهم مركبا في غرائزهم فلما
علم البربر عداوة الاندلس لهم أبغضوهم وحسدوهم فلا تجد اندلسيا الا مبغضا
بربريا ولا بربريا الا مبغضا اندلسيا الا ان البربر أحوج إلى أهل الاندلس من
أهل الاندلس الى البربر لكثرة وجود الاشياء بالاندلس وعدسها ببلاد البربر
وكان بنواحي غرب جزيرة الاندلس ملك يوناني بجزيرة يقال لها
قادوس وكانت له ابنة في غاية الجمال فتسامع بها ملوك الاندلس وكانت
جزيرة الاندلس كثيرة الملوك لكل بلدة أو اثنين ملك فخطبها كل منهم
ولكن خاف أبوها من تزويجها لواحد من إسقاط الباقين فتخير في
أمره واحضر ابنته المذكورة وكانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكرهم
وانشاهم وكذلك قيل إن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء من أهل الارض

على أدمغة اليونان وأيدي أهل الصين وألسنة العرب فلما حضرت بين يديه قال يا بنية انى قد أصبحت فى حيرة من أمرى. قالت وما حيرك ؟ قال خطبك جميع ملوك الاندلس وهى رضىت واحداً أسخطت الباقين فقالت اجعل الامر الى تخلص من اللوم فقال وما تصنعين قالت أقترح لنفسى أمراً فمن فعله كنت زوجته ومن عجز عنه فليس يحسن به السخط قال وما الذى تقترحين قالت اقترح أن يكون ملكاً حكيماً قال نعم الذى اخترته لنفسك وكتب فى أجوبة الملوك الخطاب « انى قد جعلت الامر اليها فاخترت من الازواج الملك الحكيم فلما وقفوا على الاجوبة سكت عنها كل من لم يكن حكيماً . وكان فى الملوك رجلان حكيمان فكتب كل منهما اليه أنى أنا الملك الحكيم فلما وقف على كتابيهما قال يا بنية بقى الامر على اشكاله وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيته أسخطت الآخر قالت سأقترح على كل واحد منهما أمراً يأتى به فايهما سبق الى الفراغ مما التمسته تزوجت به قال وما الذى تقترحين عليهما قالت إنا ساكنون هذه الجزيرة وانا محتاجون الى ربحى تدويرها وانى مقترحة على أحدهما ادارتها بالماء العذب الجارى اليها من ذلك البر ومقترحة على الآخر ان يتخذ له طلسماً يحصن به جزيرة الاندلس من البربر فاستطرف أبوها اقتراحها وكتب الى الملكين بما قالته ابنته فاجابا الى ذلك وتقاسما على ما اختارا وشرع كل واحد فى عمل ما اليه من ذلك

فاما صاحب الربحى فانه عمد الى خرز عظام اتخذها من الحجارة ونضد بعضها الى بعض فى البحر المالح الذى بين جزيرة الاندلس والبر الكبير فى الموضع المعروف بزقاق سبته وسدد الفروج التى بين الحجارة مما اقتضته حكمته واكمل تلك الحجارة من البر الى الجزيرة وآثاره باقية الى اليوم فى الزقاق الذى بين سبته والجزيرة الخضراء وأكثر أهل الاندلس يزعمون أن هذا أثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها يجر الناس عليها من سبته الى الجزيرة والله أعلم أى القولين اصح فلما صح تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب عليها الماء العذب من موضع عال فى الجبل بالبر الكبير وسلطه على ساقية محكمة البناء وبني بجزيرة الاندلس ربحى على هذه الساقية وأما صاحب الطلسم فانه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله

غير أنه عمل أمرا وأحكمه وأبنتى بنيانا مربعا من حجر أبيض على ساحل البحر في رمل حفر أساسه الى أن يجعله تحت الارض بمقدار وارتفاعه فوق الارض ليثبت ، فلما انتهى البناء المربع الى حيث اختار صور من النحاس الاحمر والحديد المصنفي المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجل بربرى له لحية وفي رأسه ذؤابة من شعر قائم في رأسه جعودة متأبط صورة كساء جمع طرفيه على يده اليسرى بأرطب تصوير وأحكمه وفي رجله نعل وهو قائم من رأس البناء بمقدار رجله فقط وهو شاهق في الهواء طوله ينيف عن ستين وهو مجرد الاعلى الى أن ينتهى الى ماسعته قدر ذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابضا عليه كأنه يقول لا عبور. وكان من تأثير هذا الطلسم في البحر الذي تجاهه أنه لم يرقط ساكنا ولا كانت تجرى فيه قط سفينة بربرى حتى سقط المفتاح من يده وكان الملسكان العاملين للرحى والطلسم يتسابقان الى التمام من عملهما اذ كان بالسبق يستحق التزويج. كان صاحب الرchy قد فرغ لكنه يخفى أمره عن صاحب الطلسم حتى لا يعلم به فيبطل الطلسم وكان يود عمل الطلسم حتى يحظى بالمرأة والرحى والطلسم فلما علم باليوم الذي يفرغ فيه صاحب الطلسم في آخره أجرى الماء بالجزيرة من أوله وادار الرchy واشهر ذلك فاتهصل الخبر بصاحب الطلسم وهو في أعلاه يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبا فلما تحقق أنه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من أعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرchy على المرأة والرحى والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على جزيرة الاندلس من البربر للسبب الذي قدمنا ذكره فاتفقوا وعملوا طلسمات في أوراق اختاروا ارضادها وأودعوا تلك الطلسمات تابوتا من الرخام وتركوه في بيت بمدينة طليطلة وركبوا على ذلك البيت بابا واقفلوه وتقدموا الى كل ملك منهم أن يعد صاحبه أن يلقى على ذلك الباب قفلا تا كيدا لحفظ ذلك البيت فاستمر امرهم على ذلك.

ولما حان وقت انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر الى جزيرة الاندلس وذلك بعد مضي ستة وعشرين ملكا من ملوك اليونان من يوم عملهم الطلسمات بمدينة طليطلة وكان الملك لدريق المذكور السابع والعشرين من ملوكهم فلما جلس في ملكه قال لوزرائه وأهل الرأي من دولته قد وقع في نفسي من أهل هذا البيت الذي عليه ستة وعشرون قفلا وأريد أن أفتحه لا نظرا ما فيه

فكانه لم يعمل عبثا قالوا أيها الملك صدقت انه لم يعمل عبثا ولا أقفل سدي بل
المصلحة أن تلقى أنت عليه قفلا أسوة بمن تقدمك من الملوك وكانوا آباءك
وأجدادك فلم يهملوه فلا تهمله وسر سيرهم فقال ان نفسى تنازعنى الى فتحه ولا
بدلى منه فقالوا أن كنت تظن فيه مالا فقدره ونحن نجتمع لك من اموالنا نظيره
ولا تحدث علينا بفتحه حادثا لا نعرف عاقبته فاصر على ذلك وكان رجلا
مهابا فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه
معلقا فلما فتح الباب لم ير فى البيت شيئا سوى مائدة عظيمة من ذهب وفضة
مكحلة بالجواهر وعليها مكتوب هذه مائدة سليمان بن داود عليها الصلاة والسلام،
ورأى فى ذلك البيت تابوتا وعليه قفل ومفتاحه معاق ففتحه فلم يجد فيه سوى
رق وفى جانب التابوت صور فرسان مصورة باسماع (كذا) بحكمة التصوير على
أشكال العرب ومن تحتهم الخيل العربية وبأيديهم القسي العربية وهم متقلدو
السيوف المحلاة معتقلو الرماح فامر بنشر ذلك الرق فاذا فيه متى فتح هذا البيت
وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم فى التابوت الى
جزيرة الاندلس وذهب ملك اليونان من أيديهم ودرست حكمتهم . فهذا بيت
الحكمة المقدم ذكره فلما سمع لدريق مافى الرق ندم على ما فعل وتحقق انقراض
دولتهم فلم يلبث الا قليلا حتى سمع أن جيشا وصل من المشرق جهره ملك
العرب ليفتح بلاد الاندلس انتهى .

الدولة الاولى الدولة الادريسية

الزهرونية والعباسية

وقد علمت مما تقوم فى المقدمة أن أول هذه الدول الشريفة كان مقدم
الامام ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن على
وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول ملوكها وقام من بعده
خلفاؤه الثلاثة مولاة راشد بن مرشد الزبيدى وأخوه من الرضاعة وصهره
عبد المجيد الأوربى وأخوه عمر ال أن استحق القيام بها ولده مولانا ادريس
الاصغر فولياها وهو نانى الخلفاء وتولى الخلافة من بعده ولده الامام محمد بن
ادريس وهو ثالث الخلفاء وتولى الخلافة من بعده ولده مولانا على وهو

رابع الخلفاء . قال العلامة العراقي في سياق كلام له ما نصه وذلك أن سيدي محمد بن مولانا إدريس بنى فاس هو أكبر أولاده الاثنى عشر هو الخليفة من بعده وكان استيظانه بفاس الى أن توفي بها ودفن مع أبيه وأخيه بشرقي جامع الشرفاء من حضرة فاس في شهر ربيع الثاني سنة احدى وعشرين ومائتين واستخلف ولده عليا في مرضه الذي توفي فيه وهو الملقب بحيدرة وأمه حمدة واسمها رقية بنت اسماعيل بن منصور بن مصعب . وسنه يوم بويص تسعة أعوام وأربعة أشهر . فسار في الناس بسيرة آباءه الكرام في تلك الايام الى أن توفي بها في شهر رجب من سنة أربع وثلاثين ومائتين ودفن مع أبيه محمد وجده إدريس وعمه عمر في الموضع المذكور واستخلف أخاه يحيى وأعقبهم أولاد عمه بفاس وأولاد القاسم وما زالوا يتداولون الخلافة الى أن جاء من أخرجهم منها أوائل المائة الرابعة زمن ابن أبي العافية . وقال في المغرب مانصه ولما دخل مولانا إدريس الأكبر المغرب الاقصى وجد أهله على ثلاث فرق يهود ونصارى ومجوس ودعاهم الى دين الله وعبادته وسنته وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاجابوه لذلك واتبعوه خفافا وثقالا الى أن بويص له بالسمع والطاعة واتباع الكتاب والسنة وذلك يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان من سنة اثنين وسبعين ومائة فكثرت اتباعه وظهر دين الله واغزى من القبائل من لم يحبه الى الاسلام فعظم أمره وبلغ خبره الى هارون الرشيد فبعث اليه من بغداد سليمان بن جرير ليخدمه وينسب اليه لكونه من وطنه وأهل بلده فحن اليه إدريس وأقبل عليه وقربه لاجل ذلك وصار ابن جرير المذكور يعرف الاوطان وصار يعرف الناس من أنه في العراق سيد وفاضل وماجد وانه كان عند أهل العراق في شأن عظيم ودرجة رفيعة ومقام كريم فاستحسن منه السيد إدريس فعله وادبه فادناه وقربه فكان يخنو معه الى أن وجد فيه الفرصة فسمه في تفاحة كان استعدله بها من عند هارون الرشيد مدبرة فمات السيد ادريس حين شتمها وخرج هاربا فقتله راشد فلحق به فضربه ومنع منه ونجا الى أن وصل بغداد وقد رآه رجل من فاس في حمام بغداد وهو مقطوع اليد وفي رأسه شجة . قال والسيد إدريس توفي في أوائل شهر ربيع الاول سنة سبعة وسبعين ومائة فكانت أمارته خمس سنين وستة أشهر بعد سبعين ومائة وترك زوجته حاملا فاجتمعت القبائل وأعيان القوم على عبده راشد وأمرود أن

يتصرف على حاله كيف كان في حياة سيده الى أن تضع الزوجة حملها فأجابهم لذلك الى أن وضعت الزوجة حملها فزاد عندها ولد فتسمى على اسم والده مولانا ادريس وبقى راشد يدبر أمره مع أشياخ القبائل الى أن وصل من السنين احدى عشرة سنة وحفظ كتاب الله العزيز فأمر راشد باحضار أهل المغرب وأعيان القبائل فحضر الناس بكثرة فاتفقوا على بيعه مولانا ادريس بن ادريس .

وكان ذلك في عام ثمانية وثمانين ومائة ؛ وفي تلك السنة أسس السيد ادريس مدينة فاس وانجلبت اليها الناس من كل مكان فأول من عمر فيها من أحوازها أهل زرهون ومغيلة وأهل سائس وأهل المطاوسدنية ولواقت وسفرو وابن يارغة وهوارة وغيرهم من القبائل والجيال فأنت الناس اليها من كل ناحية ومكان وكانت أيامه نفعا الله به أيام هدنة ورخاء وخصب وفرح وسرور وكان مسددا في أموره وأحواله وكان حاراً لا يغفل عن مصالح الدين والدنيا وكان يأمر الناس بهما ويحضهم على العماراة وانجلبت اليه الناس من مشرق ومغرب وانزعت في قلوب الناس محبته من نسبه ومسيره الى أن توفي رحمه الله ودفن في زرهون بازاء أبيه في ويلي اسم البقعة التي دفن فيها وذلك في سنة ثلاث عشرة ومايتين فكانت أيامه وعدة سنينه ستة وثلاثين سنة وكان سبب موته غلبة شرقت له في حلقه فمات من حينه فكفن وحملوه إلى زرهون فدفن بوليلى بازاء أبيه وأما القبر الذي هنا في فاس في مسجد الشرفاء فهو قبر السيد محمد بن ادريس الاصغر رحمه الله . وخلف رحمه الله اثني عشر من الاولاد وتولى بعده ولده محمد وقسم لاخوانه البلاد وكانوا تحت طوعه وكان هو اكبرهم ومن بعد ما فرقتهم اختل أمرهم وقاموا على بعضهم بعضا وكثر الهرج وقتل بعضهم بعضا وتفصيل ذلك في كتاب القرطاس ثم توفي الامام محمد في ربيع الثاني سنة احدى وعشرين ومايتين فكانت أيامه بعد أبيه ثمانية أعوام ثم تولى بعده ولده علي من تسع سنين فكانت أيامه صغيرة وتوفي عام أربع وثلاثين فكانت أيامه ثلاث عشرة سنة وتولى أخوه يحيى وهو الذي أمر ببناء القرويين وأمر ببناء الحمامات ثم ولي الملك علي بعد وفاة يحيى ثم قام عليه عبد الرزاق الخارجي الاندلسي من ناحية غياثة وتبعه أناس من البربر كثيرة وأخذ مواطن وقرى فخرج اليه على الادريسي فقاتله فانهزم علي ودخل عبد الرزاق إلى فاس

فملك عدوتها وكان أكثر أهل الأندلس الذين خرجوا من أرضهم ونفاهم بنو أمية
وكانوا في العدو منهم ثمانية آلاف رجل فاستصحب بها عبد الرزاق فرجع إليه
يحيى الأندلسي بعد ما انهزم على وقاتل معه وحدثت بعد قتله حروب
كثيرة اختصرنا على ذكرها وتولى ملك فاس يحيى وقتل من الأندلس أقواما
كانوا في عصبة عبد الرزاق الخارجي وكان السيد يحيى المذكور ملك فاسا واحوازا
وكان حاذقا شجاعا كريما غالبا عادلا وكان أفضل الإدارة إلى أن قام عليه أبو
مصلحة المكناسي وهو قائد عبد الله الشيعي القائم بأمر إفريقية وذلك في سنة خمس
وثلاثمائة فخرج يحيى لقتاله فالتقي الجمعان فهزم يحيى ودخل لفاس مهزوما وانحصر
فيها و طال حصاره إلى أن صالحه يحيى وبايع لعبد الله الشيعي صاحب إفريقية
فارتحل عن فاس أبو مصلحة قائد الشيعي ورجع إلى القيروان فلما عزم على
الرجوع أرسل إلى موسى بن أبي العافية وكان ذا مال وجاه وماشية وكان نازلا على
حوزة تازة وصنع مع قائد الشيعي ابن مصلحة خيرا كثيرا وقاتل معه يحيى فلما
ارتحل أبو مصلحة عن فاس أرسل إلى موسى بن أبي العافية وقدمه على أمور المغرب
كلها وعمالة الغرب كلها تحت يديه وأما السيد يحيى فلما بايع الشيعي صاحب إفريقية
اشترط عليه قعوده في فاس فقط ولا له أمر ولا نهى على غيرها في عمالة أهل
المغرب لاجل خدمته وقاتله مع صاحب إفريقية فصار يتصرف في المغرب ويجمع
خراجه وصار السيد يحيى يحضر أحواله ويضرب على يده فكتب به إلى أبي
مصلحة وأعلمه بفعل يحيى فتحرك إليه ثانية أخرى من إفريقية وذلك في سنة
تسع وثلاثمائة فخرج إليه يحيى ليلتقاه مع جموعه فقبضه أبو مصلحة وأوثقه في
الحديد ودخل به مقيدا لفاس وأخذ ما عنده من الذخائر والأموال ولما أخذ
ما عنده سرحه وأنبذه إلى أزيلان وكان فيها ابن عم له يعيش فيها فارسله إليه واقتطعه
عن جموعه واقتصرنا عن حديث طويل ثم أراد الرجوع إلى إفريقية ليشككي
ما أصابه من أبي مصلحة وما فعل به موسى بن أبي العافية وسجنه ثم هرب
إلى إفريقية ومات فيها جوعا بعد حديث طويل فعند ذلك قدم أبو مصلحة على
موسى بن أبي العافية وصار يتصرف في أسرار المغرب ثم إن السيد الحسن دخل
لفاس مع بعض رجاله مستخفيا وهو من الإدارة وقام فيها وذلك في سنة عشر
وثلاثمائة فبايعه فيها نفر من أصحاب موسى بن أبي العافية فكانت بينهم حروب

فمات بين الفريقين نحو أربعة آلاف وانهزم ابن أبي العافية ورجع السيد الحسن
لناس دون عسكره فقبضه عامل إفريقية كان مضروبا على يده حين دخل الحسن
دون عسكره لانه مبنى في القتال مع ابن أبي العافية وقبضه العامل وأوثقه في
الحديد وأرسل موسى بن أبي العافية فاصبح بفاس وأرسل الى العامل ليمكنه
من الحسن ليقتله فابى العامل فاطلقه بالليل ليهرب الى الغد ويختفي فطاح من
السور وانكسر ومات بعد ثلاثة. وبعد أن مات الحسن تولى ابن أبي العافية فاسا
وذلك سنة ثلاثة عشر وثلاثمائة فصار يبحث عن الادارسة ليقتلهم فهربوا منه
وانجلوا الى كل جبل وصار يتصرف في أوامر المغرب باديه وحاضره وبايع
صاحب إفريقية . أرسل اليه قائده حمدان ثم مات ثم أرسل موسى الى صاحب
قرطبة أسير المؤمنين الناصر لدين الله وبقي على أمره عاملا على فاس واختصرنا
على كلام طويل الى أن مات ابن أبي العافية وتولى أولاده بعده شيئا بعد شيء
على اذن الشيعة لانهم نقضوا بعد ابيهم بيعة الناصر لدين الله صاحب قرطبة
وصار الادارسة الذين تبقوا بعد وفاة الحسن بايعوا الشيعة صاحب إفريقية
وانحزموا الى قتال ابن أبي العافية وكانت بينهم حروب كثيرة ووقائع يطول
ذكرها الى أن تولى فاس من تحت الشيعة صاحب إفريقية وهو من الادارسة السيد
القاسم وتولى أيضا بعده من الادارسة أبو العيش وبعده الحسن وهو آخرهم
هاقتصرنا في حديثهم والبقاء لله الواحد القهار انتهى .

وقد أشار الى مضمون هذا في الاقنوم بقوله « ذكر دولة الادارسة ،

قد جاء راشد بادريس الامام . وفي ويلي عام فعب قد أقام

وامتد ملكه الى أن وصلا . الى الرشيد فلذاك ارسلنا

من ستمه فمات عام زعق . وقام راشد بأمر الخلق

وكان قد ترك حملا وضعا . ولده ادريس منه بويعا

وهو ابن احدى عشرة من السنين . واختط عام قطب فاس المعين

ومات في ريب وبعده وليا . ولده محمد توفيا

سنة ركا ثم بعده علي . ومات في ولد وبعده ولي

يحيى الجعيد بعده أو الحسن . وقام موسى عام سبيع فامتسن

محمد احسنهم من بعده . وعام حص اختي في الحده

وعادت الدولة للادارسة * من بعد أن قد صيروها دارسة
بعد محمد تولى القاسم * ثم أبو العيش الاخير منهم
وهو ابنه فانقرضت في الدولة * في عسه فمن بهم للمله
هذا اجماله وأما تفصيله فينبغى أن يذكر ذلك على وجه يستدعى بيان سبب
قدومه وما لقي في قدومه وبيعته وغزواته وفتوحاته الى وفاته وسبب موته وقيام
خلفائه من بعده وبيان سيرته الحميدة وأوصافه الجزيلة المجيدة وقيام جعيده من
بعده على سنن أبيه وجده رضى الله عنهم أجمعين وعناهم آهين على فصول مرتبة
بنقول مهذبة . اهـ

الفصل الاول

في سبب قدومه وما لقي فيه وبيعته وغزواته الى وفاته
فاعلم أنه قد قال أبو الحسن ابن أبي زرع في كتابه الانيس المطرب روض
القرطاس في سبب اتيان مولانا ادريس للمغرب ان أخاه النفس الزكية
محمد بن عبد الله الكامل قام بالهجاز على أبي جعفر المنصور عام خمس
وأربعين ومائة منكرًا عليه فارسل اليه ابو جعفر جيشًا عظيمًا فهزم النفس الزكية
وقبض على جماعة من أصحابه وفروا الى بلد النوبة الى أن قام المهدي بعد موت
المنصور فارسل اليه فظهر النفس الزكية بمكة فبويع بالموسم وتبعه أهل مكة
والمدينة وأهل الحجاز وكان له ستة أخوة وهم يحيى وسليمان وابراهيم وعيسى وعلى
وادريس فبعث عليا الى افريقية فاجابه بها خلق كثير من البربر وبقي هناك الى
أن توفي وبعث يحيى الى خراسان فاقام بها ان قتل أخوه محمد ففر الى الديلم
فاسلم على يديه خاق كثير ودعا لنفسه فبايعه خلق كثير وقوى أمره وذلك في
خلافة الرشيد فلم يزل يبعث اليه الرشيد بالجيش ويحتال حتى أتاه بالامان
فاقام عنده الى أن مات مسمومًا في زمن الرشيد وبعث سليمان الى مصر داعيًا
فلما اتصل به قتل أخيه محمد سار الى بلاد النوبة ثم الى السودان ثم وصل الى
تلمسان من بلاد المغرب فنزلها واستوطنها في أيام أخيه ادريس فكان له بها اولاد
كثيرون فكل حسي هناك من نسل سليمان بن عبد الله وقد دخل أكثر اولاده الى
المغرب والسوس والاقصى. وأما النفس الزكية فلما قويت شوكته بمكة قاتل المهدي في

عسكر عظيم من الحجاز واليمن وغيرها على ستة أميال من مكة فقتل النفس الزكية بعد قتال شديد وانهمزم جيشه وقتل منهم كثير في يوم السبت في ذى الحجة سنة تسع وستين ومائة وفر أخوه ابراهيم إلى البصرة فأقام بها ولم يزل يحارب أعداءه حتى قتل وفر أخوه مولانا ادریس مستسراً من مكة حتى وصل مصر مع مولاه راشد فلقياهما رجل من أهل الخير والدين والمحبة لأهل البيت فاستأمناهما على سرهما فأعطاهما الأمان فأخبراهما فآكرمهما وأقاما عنده مدة وأخبره راشد بأنه يريد المغرب بلاد البربر قائلاً أنه بلدنا لعله يأمن فيه وهذا يدل على أن أصل راشد من المغرب وقد قال صاحب الاستبصار راشد أصله من البربر قبيلة أوريداه قيل أنه سبي مع أبيه في غزوة موسى بن نصير ثم قفل مع أبيه إلى المشرق وهو صغير ثم أتى مع ادریس ودله على المغرب ثم اتصل خبرهما بعامل مصر علي بن سليمان الهاشمي فبعث إلى الرجل فقال إنه قد رفع إلى خبر الرجلين الذين عندك وإن أمير المؤمنين قد كتب إلى في طلب الحسينيين والبحث عن وجد منهم وقد بعث عيونهم على الطرقات وجعل الرصاد في أطراف البلاد فلا يمر أحد منهم حتى يعرف ويعرف صحبة نسبه وحاله ومن أين قدم وإلى أين يسير وإلى أكره أن يتعرض لدماء أهل البيت وأن ينالها أذى بسببي فلك ولها الأمان سر إليهما وأعلمهما بمقالى وقل لهما يخرجان من عملي لئلا يصل خبرهما إلى المهدي فيخرجكم من يدي وقد أجملت لكم في الخروج ثلاثة أيام. فسار الرجل وأعلمهما فعزما على الخروج إلى المغرب فاشترى الرجل لهما راحلتين ولنفسه أخرى وصنع لهما زادا يبلغهما إلى إفريقية وقال لراشد أخرج مع الرفقة على الجادة وأخرج أنا مع مولانا ادریس على طريق غائض أعرفه لا تسلكه الرفاق وموعداً مدينة برقة انتظرك حيث آمن عليك من الطالب فقال الرأي ما رأيت. فخرج راشد مع الرفقة على الجادة في زى التجار وخرج مولانا ادریس مع الرجل في البرية حتى وصل مدينة برقة فقعدا فيها حتى وصل راشد ثم جدد الرجل لهما هنالك زادا يبلغهما وودعهما وأنصرفا راجعا إلى مصر. وقال التنسي إنه أتى مصر مع مولاه راشد فأقام مستخفياً بها فأنهى خبره إلى صاحب البربر بها وهو واضح مولى صالح ابن منصور الحميري وكان متشيعاً فأتى الموضع الذي كان فيه مختفياً فلم ير أصلاً له من أن يحمله على البربر إلى المغرب ففعل فبلغ ذلك هارون الرشيد فأخبر أن

الذي أجازته الى المغرب واضح المذكور فامر به فضرب عنقه وصلب . قال في
الانيس وسار ادريس مع مولاه راشد إلى افريقية يحد السمر حتى وصلا الى
القيروان فاقاما بها مدة قال وكان راشد من أهل النجدة والشجاعة والحزم والقوة
والعقل والدين والنصيحة لامل البيت رضى الله عنهم فعمد الى ادريس حين
خرج من القيروان والبسه مدرعة صوف خشينة وعمامة غليظة وصيره
كالخادم له يأمره وينهاه كل ذلك خوفا عليه وحيطة . فلم يزل على ذلك حتى وصل
مدينة تلمسان فاستراحا بها أياما ثم ارتحل منها نحو بلاد طنجة فسارا حتى عبرا
وادي ملوية ودخلا السوس الاذني حده من وادي ملوية الى وادي أم الربيع وهو
أخصب بلاد المغرب وأعظمها بركة فدخلا طنجة واقاما مدة فلم يجد مولانا
ادريس بها مراده فخرج مع مولاه راشد حتى نزلا بمدينة وليلي قاعدة جبل
زرهون وكانت وليلي متوسطة خصيبة كثيرة المياه والغراس والزيتون وكان لها
سور عظيم وهي بلدة قديمة البناء ويذكر أنها من بنيان القبط وهي معروفة الآن
بقصر فرعون ولما وصل مولانا ادريس اليها نزل على صاحبها الامير اسحاق
ابن محمد بن عبد المجيد الاوربي المعزل فاقبل على مولانا ادريس واكرمه وبالغ
في بره فظهر له ادريس امره وعرفه نسبه فوافقه على حاله وانزله معه بداره
فتولى خدمته والقيام بشئونه وكان دخول مولانا ادريس المغرب ونزوله على
عبد المجيد في غرة ربيع أول سنة اثنين وسبعين ومائة فأقام عنده ستة أشهر .

وأما بيعته وغزواته فانه لما دخل شهر رمضان من السنة المذكورة جمع
عبد المجيد اخوته قبائل أوربة فعرفهم بنسب ادريس وفضله وقرابته من مولانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرفه وعلمه ودينه والفضائل المجتمعة فيه فقالوا
الحمد لله الذي أتانا به وشرفنا بجواره ورؤيته فهو سيدنا ونحن سيده نموت بين
يديه فما تريد منا ؟ قال تبايعونه فقالوا سمعنا وطاعة ما منا من يتوقف عن بيعته
وما يريد فبايعته قبائل أوربة وكانوا في ذلك الوقت أعظم قبائل المغرب
وأكثرها عددا وأشدّها قوة وبأسا وأحدّها شهرة فكانوا هم أنصاره الارلين
ثم بعد ذلك قبائل زناته واصناف قبائل البرابرة من أهل المغرب منهم زواغة
وزرارة ولماية وسدراته وغياثه ونفزة ومكناسة وغمارة فبايعوه ودخلوا في
طاعته ولما استقام أمره أخذ جيشا عظيما من وجوه قبائل زناته وأوربة

وصنهاجة وهوارة وغيرهم فخرج غازيا الى بلاد تامسنا كما يأتي بيان ذلك وذكر بعض أهل العلم أن عبد المجيد تاب من اعتزاله على يده وحسنت توبته وفي تاريخ دخوله المغرب يقول الامام ابن غازي رحمه الله تعالى

وجاءنا ادريس عام تعب الى وليلى بأقصى المغرب
اذ قام مدة على المهدي الخ

وما زال رضى الله عنه يدعو الى الله عز وجل ويقاتل على إعلاء كلمة الله الى أن طهر الله المغرب من أنواع الكفر والضلال كما يتبين بعد ثم أنه لما استتم أمر مولانا ادريس رضى الله عنه تبحر غازيا الى بلاد تامسنا فنزل أولا مدينة شالة ففتحها ثم فتح بعدها مدائن سائر بلاد تامسنا ثم سار الى بلاد تارلا ففتح معاقلها وحصونها وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية ودين اليهودية والمجوسية والاسلام بها قليل فأسلم جميعهم على يديه ثم رجع الى مدينة وليلى فدخلها في آخر شهر ذي الحجة من سنة اثنين وسبعين ومائة فأقام شهر المحرم مفتوح سنة ثلاث وسبعين ومائة واستراح الناس ثم خرج برسم غزو من بقى بالمغرب من البربر على دين النصرانية واليهودية والمجوسية وكان قد بقى منهم بقية متحصنون في المعقل والجبال والحصون المنيعة فلم يجادهم ويستنزلهم حتى دخلوا في الاسلام طوعا وكرها وفتح بلادهم ومعاقلهم واباد من ابى الاسلام منهم بالقتل والسبى ودمر بلادهم ومعاقلهم منها حصون مندلاوة وحصون مديونة وبطلولة وقلاع ضيائة وبلاد بارز ثم رجع من هذه الغزوات الى مدينة وليلى فدخلها في النصف من جمادى الاخرة سنة ثلاث وسبعين المذكورة فأقام النصف من رجب حتى استراح الناس ثم خرج في النصف الاخير من رجب المذكور برسم غزو مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوه وبنى يفرن فوصل مدينة تلمسان ونزل بخارجها فأتاه اميرها محمد بن حرز المغراوي فطلب أمانه فأمنه وبأبىه محمد بن حرز وجميع من معه بمدينة تلمسان فدخلها ادريس صلحا فأمن أهلها وبنى مسجدها وأتقنها وصنع بها منبرا وكتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة ثم رجع الى وليلى وتوفي بها كما يأتي بيانه ان شاء الله تعالى فاستبان من هذا أنه على يديه

أسلم أهل المغرب وانه هو الذى أتاهم بالإيمان وقد علم أنه رضى الله عنه توفرت فيه شروط الخلافة علما ونسبا

أما الشرط الاول الذى هو العلم فقال الامام زكريا في همزيته

كان بحرا من العلوم فحققت منه فينا خلافة ودعاء
قال في شرحها يأتي بعد هذا البيت دليل عليه تفصيلا وأما الدليل الجلى فهو رضى الله عنه من تابع التابعين مع شدة قربيه من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علم أن اماء الصحابة والتابعين أعلم من أكابر علماء من تأخر عنهم من العصور كما قال الشيخ السنوسى وغيره فما بالك بمن كان منهم من أبناء مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك تعلم أنه قد توفرت فيه شروط الخلافة ولا يرد عليه أصلا خلع بنى العباس والخروج عليهم فإنه عهد اليه أخوه محمد النفس الزكية بالامامة كما عهد الى اخوته سليمان وابراهيم ويحيى والنفس الزكية انعقدت له الامامة قبل بنى العباس فقد ذكر غير واحد أنه لما تزلزلت قواعد ملك بنى أمية وضعف أمرهم اجتمع أهل البيت بالمدينة وبايعوا بالخلافة للنفس الزكية وحضر هذا العقد أبو جعفر المنصور العباس قال فى كتاب ترجمان العبر فبايع المنصور فيمن بايع من أهل البيت وأجمعوا على ذلك لتقدمه فيهم بما علموا له من الفضل عليهم ولهذا كان مالك وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى ورضى عنهما يحتجان اليه ويرجحان امامته على بنى العباس لأن بيعته النفس الزكية كانت فى عنق أبى جعفر بالحجاز ويريان امامته أصح من امامة أبى جعفر لانعقاد هذه البيعة من قبله . وقد قيل إن سبب ضرب أبى جعفر للامام مالك أنه أفتى بأن بيعته أبى جعفر لا تلزم لأنها على الاكراه وهذه رواية الألبانى وانظر الخطاب فى شرح ديباجة المختصر . وقال حذاق المالكية الامامة تنعقد بعد الامام الاول وإن لم يشاور أهل الحل والعقد وإن ذلك حكم ماض حكم به على المسلمين على أن الامام مولانا اذريس رضى الله عنه من أئمة الاجتهاد فقد فعل ما أداه اليه اجتهاده فهو مأجور على كل حال . وقد تقدم عن سيدى موسى الزياتى انه من التابعين وليس يبعدو عليه جزاء بعض القدماء من أهل العلم الذين مدحوه حيث قال

زهون أشرف ما فى الارض من يقع * أذفيه قبر عظيم من ذوى كرم
وذاك قبر الامام التابعى الذى * من آل بيت الرسول سيد الامم

ادريس أجمل خلق الله فيه اذن . وهو الامام لهم في الحشر بالعلم
ومن قال بتفضيل زرهون لدفن مولانا ادريس وثوى فيه حيا وميتا
فجاوز زرهون التفضيل من أجله فكما طابت طيبة بحلول رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيا وميتا كذلك طاب زرهون ايضا بحلول ادريس حيا وميتا
ومن قال بتفضيله العلامة الكبير سيدى محمد السبتي رحمه الله تعالى
وأما الدليل التفصيلي فقد قال الامام زكرياء في شرح قوله من همزيتة
« نفع مولاه راشد لابنه ادريس فيه اماء »

ما نصه : —

هذا دليل علم سيدنا ومولانا ادريس بن عبد الله على سبيل التفصيل وبيانه
أنه لما شئت ولده مولانا ادريس الاصغر رضى الله عنه علمه مولى أبيه راشد
العلوم العقلية والنقلية من فقه وحديث وتفسير ولغة وبلاغة وغيرها حتى
علوم السياسة الى ان تمهر فيها فاذا كان هذا علم المولى التابع الخادم فما ظنك
بعلم السيد المتبوع المخذوم وما استفاد ذلك راشد إلا منه ولا أخذ الا عنه وقد
تقدم أن منشأ راشد وأصله من المغرب من البربر وهو راشد بن منصت الاوربي
وانه سبي مع أبيه في غزوة موسى بن نصير وقفل مع أبيه الى المشرق وهو
صغير ثم أتى مع مولانا ادريس ودله على المغرب

وأما الشرط الثاني الذي هو النسب فقد بلغ العلم بشرفه وصحة نسبه وانه
ادريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي رضى
الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مبالغ التواتر المفيد
للقطع واليقين واستفاض على السنة الخاصة والعامة استفاضه بلغت اعلى مراتب
الاستفاضة واقرى أنواع التواتر انعقد على ذلك الاجماع وذكر ذلك وصرح
به جماعة من فحول أهل العلم واكابرهم كمصعب بن ثابت بن عبد الله الزبير بن
العوام ثقي مالكا وروى عنه كتاب الموطأ وغيره وخرج له النسائي وابن
ماجه وغيرهما فانه ذكر ادريس بن عبد الله وقدمه المغرب وذكر ولده
مولانا ادريس قبل وفاة مصعب هذا بسبع وعشرين سنة وعاش مصعب ثمانين
سنة أو ما يقرب منها والحافظ ابن حزم والقاضي عياض في المدارك حين ذكر
الحمودية والامام النجيبى ذكر ادريس وولده واخبارهما والامام الجزنائي في

كتابه والامام العارف بالله سيدى الشيخ زروق فى كناشته فانه ذكره وذكر آباءه ورفع نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم والامام الولي الصالح موسى بن عبد الله الزياتى والامام التنيسى فى كتابه الدر والعقيان والامام الكبير العلامة الشهير ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون والامام المسعودى وابن الخطيب التلمسانى وابن السكالك المكناسى والامام العلامة أبو العباس احمد الوشرى والامام ابن غازى وقد سبق شئ من نظمه والامام الشاطبى وشيخ الجماعة الامام ابن القصار والامام النوزرى المصرى فى شرح الشقراطة وغيرهم ويكفى فى القطع بصحة هذا النسب الكريم انتساب القطبين الكريمين والغوثين الجامعين الشهيرين امامى طريقة الفتح ، الموصول الى انقراض الدنيا مولانا عبد السلام بن مشيش ومولانا أبى الحسن الشاذلى نفعنا الله بهما واعتماديهما عليه

الفصل الثانى

فى سبب وفاة سيدنا ومولانا ادريس رضى الله عنه

وذلك انه لما اشتهر ذكره وعلا صيته وامره وفشا خبر غزواته وفتوحاته ودخول الناس فى طاعته واستجابتهم لدعوته طوعا وكرها وتسخير القلوب له ، خاف الرشيد ان يعظم امره حتى يصل اليه لما يعلم من كماله وفضله وحب الناس له فاغتم لذلك غما شديدا فبعث الى وزيره المدبر لملكته يحيى بن خالد البرمكى يستشيريه فيه وقال انه من ولد على بن ابى طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قوى سلطانه وكثرت جيوشه وعلا شأنه واشتهر اسمه وظهرت فتوحاته وقد فتح تلمسان وهى باب افريقية ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار وقد عزم ان ابعث له جيشا عظيما لقتاله ثم تفكرت فى بعد البلاد وطول المسافة وتنافى المغرب عن المشرق ولا طاقة لجيوش العراق الى الوصول الى السوس من ارض المغرب فرجعت عن ذلك وقد هالى امره فاشير على برأيك ، فقال يحيى بن خالد يا امير المؤمنين من رأى ان تبعث اليه رجلا ذا حزم ومكر ولسان واقدام وجراة يقتله وتستريح منه ، فقال الراى ما رأيت فمن يكون الرجل ؟ قال يا امير المؤمنين اعرف فى جيشى رجلا اسمه سليمان ابن جرير من اهل الحزم والاقدام والفتك والشجاعة والعلم بالجدل والدهاء

تبعته اليه فقال اسرع بذلك فخرج الوزير الى سليمان بن جرير فعرفه المتصور
وما يراد منه ووعدته على ذلك الرفعة والمنزلة العالية فاعطاه أموالاً جليلة وتحفاً
مستطرفة وجهازه بما يحتاج اليه فخرج من بغداد بجند السير مظهراً النزوع الى
ادريس فيمن نزع متبرئاً من الدعوة العباسية ومنتحلاً للطلب حتى وصل الى
المغرب فقدم على مولانا ادريس بمدينة ويلي بعد رجوعه من تلمسان فسلم عليه
فسأله الامام مولانا ادريس عن اسمه ونسبه ومن أي البلاد قدم وما سبب قدومه
الى المغرب فذكر له أنه من بعض موالى أبيه وأنه اتصل به خبره فاتاه برسم خدمته
لاجل محبته وولايته لاهل البيت فانس به مولانا ادريس وسكن الى قوله وسر
به سروراً عظيماً وحل من قلبه بمنزلة رفيعة فكان لا يقدر أن يأكل الا معه
لأنه لم يجد في بلاد المغرب من يأنس به ويستريح اليه غيره وذلك لجهل أهل
المغرب وجفاء طباعهم ولما ظهر له في سليمان المذكور من النبل والادب والنصاحة
والبلاغة قال في المسالك سليمان الجريري رجل من ربيعة كان متكلماً يرى رأى
الزيدية وكان حلواً شجاعاً أحد شياطين الانس فكان اذا جلس مع الامام
مولانا ادريس بين رؤساء البرابر ووجوههم يذكر فضائل أهل البيت وعظيم
بركاتهم ويقدم الدليل على إمامة مولانا ادريس ويأبى في ذلك بالحجج البينة والبراهين
القاطعة وباحاديث وأخبار فأحبه ادريس وكان لا يأكل ولا يشرب الا معه
فلم يزل يرتقب الفرصة ويعمل في قتله الخيلة فلا يجد الى ذلك سبيلاً من أجل
مولانا راشد الذي لا يزايله ولا يفارقه الى أن قدر الله تعالى أن غاب راشد
ذات يوم في بعض شئونه فدخل عليه سليمان بن جرير فوجده وحده فجلس
بين يديه على عادته يتحدث معه ملياً فلم ير راشداً فاتهن الفرصة فقال يا سيدى
جعلت فداك إني جئت من المشرق بقارورة طيب أنطيب بها ثم أنى لما رأيت
هذه البلاد ليس بها طيب رأيت أن الامام أولى بها فخذها فتطيب بها فقد أثرتك
بها على نفسى وهى من بعض ما يجب لك على ثم أخرجها من وعاء ووضعها بين
يديه فشكوه مولانا ادريس ثم أخذ القارورة ففتحها وشمها ولما تحصل مراده منه
وتمت حيلته فيه جعل يده في الأرض وخرج كأنه يريد قضاء حاجة الإنسان فسار
الى منزله وركب فرساً من عتاق الخيل وسابقها كان قد أعدها لذلك وخرج يطلب
النجاة وكانت القارورة مسمومة فلما استشعها مولانا ادريس ضعف السم

إلى دماغه فغشى عليه وسقط في الأرض على وجهه لا يفهم ولا يعقل ولا يعلم
أحد ما به ولا ما أصابه واتصل خبر غشيته بمولاه راشد فأقبل مسرعا فدخل
عليه ووجده يجود بنفسه وقد أشرف على الموت وهو لا يقدر بين الكلام
فقعد عند رأسه متحيرا في أمره لا يعلم ما به حتى قطع سليمان بن جرير مسافة
من الأرض وأقام مولانا أدريس في غشيته إلى آخر النهار وتوفي رحمة الله
عليه وكانت وفاته مفتتح شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائة فكانت
إمارته خمسة أعوام وسبعة أشهر . وقال النوفلي ثلاثة أعوام وستة أشهر فلما توفي
نظر راشد إلى سليمان بن جرير فلم يحده فاخبر أنه لقي على أميال كثيرة فعلم أنه
سماه فركب في جمع كثير من البربر وخرج في طلبه وجد السبيل طول ليله وتقطعت
الخيال في أثره فلم يلحقه من القوم إلا راشد وحده أدركه وهو يحوز وادي ملوبة
فصاح به راشد وشد عليه بالسيف فقطع يده اليمنى وشججه في رأسه ثلاث
شجرات وجرحه في جسده ولا يصيب له مقتلا وكى جواد راشد فقر سليمان
ابن جرير حتى وصل العراق فاخبر بعض الناس أنه لقيه ببغداد مشلول يده
اليمنى وبرأسه وجسده أثر الجراحات وقد برئت . قال النوفلي حدثني من رآه
بعد قدومه العراق مكنعا (« والمكنع » كمعظم المقطوع اليد) وقال لما أتى سليمان
الرشيد ولاه يريد مصرهم وما ظنك برجل تجاسر على جانب النبوة وتجرأ على حرمة
مولانا علي وسيدتنا فاطمة والحسن وقتل امام المسلمين وخليفة سيد المرسلين
لأجل حظ دنيوي وقدر الله نافذ لا محالة والويل كل الويل لمن قدر الشر على
يديه ورجع راشد إلى وليي فأخذ في جهاز مولانا أدريس فغسله وكفنه وصلى
عليه ودفنه بصحن رابطة باب وليي ليتبرك الناس بقبره وزيارة تربته وأما
عبي بن خالد صاحب هذا الرأي الفاسد قال أمره إلى أن سجن طويلا وقتل
شر قتلة وشتت شمل جميع أقاربه وفرق جمعهم وسبي نساؤهم وذرائعهم ودار
عليهم الزمان بضروب الامتحان إلى أن القوا على المزابيل كالحمامات وهكذا
عاده الله فيمن أذى أهل البيت وقصد نكائهم ينعكس وباله عليه
وقد علم ما وقع بقاتلي الحسين رضي الله عنه واجمال قصته أنه لما سالت
معاوية وأفضت الخلافة إلى يزيد ووردت بيعته على الوليد بن عتبة وكان الوليد
عاملا لمعاوية على المدينة أرسل الوليد إلى الحسين وإلى عبد الله الزبير ليلا

فأتى بهما فقال بايعا فقالا لاشئت يمينك لانايع سراً ولكننا نبايع على رؤوس
الناس اذا أصبحنا فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة وذلك ليلة
الاحد لليلتين بقيتا من رجب وعزل يزيد الوليد بسبب ذلك حيث كف عن
الحسين وابن الزبير وأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوال وذا القعدة
وخرج يوم التروية يريد الكوفة وذلك أن أهل الكوفة أرسلوا إليه ليبايعوه
ويعمى عنهم ما هم فيه من الجور فهاء ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لايه
وخذلانهم لآخيه وقال فأن أبيت فلا تذهب بأهلك فأبى فبكى ابن عباس وقال
واحبياه وقال له ابن عمر نحو ذلك فبكى ابن عمر وقبله ما بين عينيه وقال
استودعك الله من قتيل ونهائ ابن الزبير أيضا وكان أخوه الحسن قد قال
له عند احتضاره إياك وسفهاء الكوفة ان يستخونوك فيخرجوك ويسلموك
فتندم ولات حين مناص وكان أمر الله قدراً مقدورا .

وقد أخرج البغوي في معجمه من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال استأذن ملك القطر ربه أنه يزور النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام
سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل
أحد فبينما هي على الباب إذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له
الملك أتجبه قال نعم قال إن أمتك ستقتله وإن شئت أريك المكان الذي يقتل
به فأراه فجاء بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها . قال ثابت
كنا نقول انها كربلا وأخرجه أيضا أبو حاتم في صحيحه وروى احمد نحوه
وروى عبد بن حميد وابن احمد نحوه أيضا لكن فيه أن الملك جبريل فان صح
فهما واقعتان وزاد الثاني أنه صلى الله عليه وسلم شمها وقال ريح كربلا (والسهلة
بكسر أوله رمل حسن ليس بالرقاق الناعم) وفي رواية الملا وابن احمد في زيادة
المسند قالت ثم ناولني كفا من تراب أحمر وقال ان هذا من تربة الأرض التي
يقتل بها فتى صار دما فأعلمي أنه قد قتل قالت أم سلمة فوضعت في قارورة
عندي وكنت أقول إن يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم وفي رواية عنها فاصبته
يوم قتل الحسين وقد صار دما وفي رواية أخرى ثم قال يعني جبريل إلا أريك
تربة مقتله فجاء بمحصات فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قارورة

قالت أم سلمة فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول
 أيها القاتلون جهلاً حسينا ۞ فابشروا بالعذاب والتذليل
 قد لعنتم على لسان ابن داود ۞ وموسى وحامل الإنجيل
 قالت فبكيت وفتحت القارورة فاذا الحصيات قد جرت دماً واخرج ابن
 سعد عن الشعبي قال مر على رضى الله عنه بكر بلا عند مسيره إلى صفين وحاذى
 قرية على الفرات وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل كربلاء فبكى حتى بل الأرض
 من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت
 ما يبكيك قال كان عندى جبريل آنفاً وأخبرنى أن ولدى الحسين يقتل بشاطئ
 الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب شمنى إياه فلم
 أملك عيني أن فاضت ورواه أحمد مختصراً عن علي وروى الملا أن علياً مر
 بموضع قبر الحسين فقال هاهنا مناخ ركبهم وهاهنا موضع رحالهم وهاهنا مهراق
 دمائهم فتية من آل محمد يقتلون شهداء تبكى عليهم السماء والأرض وكان مما
 بعثه على الخروج مخافة أن يستباح حرم مكة بسببه فلما نهاه ابن عباس قال لأن
 أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن يستحل الحرم بنى قال ابن عباس فذلك
 الذى سلى نفسى عنه ولما نهاه ابن الزبير قال له مثل ذلك وفى رواية أنه قال لابن
 الزبير إن أبى حدثنى أن لمكة كبشا تستحل به حرمتها فما أحب أن أكون أنا ذلك
 الكبش ولا أقتل خارجها بشيرين أحب إلى من أن أقتل خارجها بشير واحد ولما
 سار الحسين لقي فى مسيره الفرزدق الشاعر مقبلاً من الكوفة فقال له بين لى
 خبر الناس فقال اجل على الخير سقطت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل
 ما يشاء. وروى ان الحسين رضى الله عنه انشده

وإن تكن الدنيا تعد نفيسة ۞ فإن ثواب الله اعلى وانبل
 وإن تكن الأبدان للموت انشئت ۞ فقتل أمرىء فى الله بالسيف افضل
 وإن تكن الأرزاق قسماً مقدرأ ۞ فقلة حرم المرء فى الكسب اجمل
 وإن تكن الأموال للترك جميعا ۞ فما بال متروك به المرء يبخل
 ولما بلغ كربلاء والتقى الجمعان حمل عليهم فسيفه مصلت فى يده وانشأ يقول
 أنا ابن على الخبر من آل هاشم ۞ كفىنى به فخراً إذا حين افخر

وجدى رسول الله أفضل من مشى • ونحن سراج الله فى الناس يزهر
 وفاطمة أمى سلاله أحمد • وعمى يدعى ذا الجناحين جعفر
 وفينا كتاب الله أنزل صادقاً • وفينا الهدى والوحى بالخير يذكر
 وقد وافق رضى الله عنه بهذه الايات ما أتى عليه به رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقد أخرج أبو الشيخ بن حبان فى كتاب السنة الكبير عن ربيعة السعدى
 قال أتيت حذيفة رضى الله عنه فسألته عن أشياء فقال اسمع منى وعد وابلغ الناس
 انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ترانى وسمعت بهاذنى هاتين وقد جاء
 الحسين بن على رضى الله عنهما فجعله على منكبه وجعل الحسين يغمز بعقبه فى
 سرة النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الطيبة وقد وضعها على ظهر قدم الحسين وهو يغمز بها سرة نفسه لئلا ينهر
 وينقطع نفسه من الكلام ثم قال : أيها الناس هذا الحسين بن على خير الناس
 جداً وخير الناس جدة ، جده رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم وجدته
 خديجة سابقة نساء العالمين الى الايمان وهذا الحسين بن على خير الناس خلا
 وخير الناس خالة ، خاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته زينب
 بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضعه على منكبه فدرج بين يديه ثم قال
 صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس هذا الحسين بن على جداه فى الجنة وأبوه فى الجنة
 وأمه فى الجنة وأخوه فى الجنة وعمه فى الجنة وعمته فى الجنة وخاله فى الجنة
 وخالته فى الجنة ثم قال أيها الناس انه لم يعط أحد من ورثة الانبياء الماضين
 ما أعطى الحسين بن على خلا يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا أيها الناس
 إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته
 فلا تذهبن بكم الا باطيل • وكان معه فى ذلك الموقف نيف وثمانون نفساً وكان
 معه أربعون فارساً ومائة راجل وأعداؤه عشرون ألفاً قُتبت ثباتاً باهراً وقاتل
 قتالاً لم يسمع بمثله وقتل عدداً كثيراً من ابطالهم وشجعانهم ثم قتل رحمه الله
 تعالى ورضى عنه وقتل معه من اخوته وبنيه وبنى أخيه الحسن ومن أولاد جعفر
 وعقيل تسعة عشر رجلاً وقيل احدى وعشرون قال الحسن البصرى ما كان على
 وجه الا أرض يومئذ لهم شبيهه ولو لا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء
 لم يقدروا عليه. وكان موته فى يوم عاشوراء عام احدى وستين ، أخرج أبو الشيخ

عن يعقوب بن عثمان قال كنت في ضيعتي فصليت العتمة ثم جالسنا جماعة ثم ذكروا الحسين فقال رجل ما أعان على قتله أحد الا أصابه قبل أن يموت بلاء ومعنا شيخ كبير فقال أنا من شهدته وما أصابني أمر أكرهه الى ساعتى هذه قال فأطفيء السراج فقام ليصلحه فأخذته النار فجعل ينادى النار وألقى نفسه في الفرات ينغمس فيه فأخذته النار حتى مات . وقال السدى أنا والله رأيته كأنه حممة وأخرج منصور بن عمار عن أبي محمد الهلالي قال اشترك منا رجلان في قتل الحسين فابتلى أحدهما بالعطش فكان لو شرب راوية ماروى وابتلى الآخر بطول ذكره فكان إذا ركب الفرس يلويه على عنقه كأنه حبل . ونقل سبط ابن الجوزي عن الواقدي عن ابن الرماح قال كان بالكوفة شيخ أعمى قد شهد قتل الحسين فسألناه عن ذهاب بصره فقال كنت في القوم وكنا عشرة غير أني لم أضرب بسيف ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم فلما قتل الحسين رجعت الى منزلي وأنا صحيح وعيناي كأنهما كوكبان فنمت تلك الليلة فأتاني آت في منامي فقال أجب رسول الله صلى عليه وسلم فقلت مالي ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذني وانطلق بي الى مكان فيه جماعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حاسر عن ذراعيه ويده سيف وبين يديه نطع وإذا اصحابه العشرة مذبوجون بين يديه فسلمت عليه فقال لا سلم الله عليك ولا حياك يا عدو الله الملعون أما استحييت مني تهتك حرمتي وتقتل عشيرتي ولم ترع حقى قلت يا رسول الله ما قاتلت قال نعم ولكنك كثرت السواد وإذا بطست عن يمينه فيه دم الحسين فقال أقعد فجثوت بين يديه فاخذ مروءة احماه ثم كحل به عيني فأصبحت أعمى كما ترون . وحكى هشام بن محمد عن القاسم بن الاصبغ قال لما جرى برأس الحسين وأصحابه الى الكوفة اذا بفارس من أحسن الناس وجها قد علق في لبب فرسه رأس غلام كأنه القمر ليلة تمامه والفارس يمرح فاذا طأ طأ رأسه لحق الرأس بالارض فقلت له رأس من هذا قال رأس العباس بن علي قلت وانت من ؟ قال حرملة بن السكاهن الاسدى قال فلبثت اياما وإذا بحرملة ووجهه أسود من النار فقلت رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب انضر وجها منك وما أرى اليوم أقبح ولا أسود وجها منك فبكى وقال منذ حملت الرأس الى اليوم ماتم على ليلة الا واثنان ياخذان بضبعي ثم ينتهيان بي الى نار تأجج فيدفعاني فيها

وأنا انكسر فتسفعني كما ترى ثم مات على أقبح حال . والعباس هذا قتل مع الحسين هو وشقيقه عثمان وجعفر وعبد الله أمه أم البنين بنت حزام بن خالد الوحيدية ثم السكلاية وقتل معه أيضا أبو بكر بن علي أمه ليلى بنت معود بن خالد النهشلي ومحمد بن علي قتل معه أيضا أمه أم ولد

وبيان القضية ان المختار بن أبي عبيد تبعته طائفة من الشيعة وقتل من شهد قتل الحسين بأقبح القتلات ولم يبق واحد من الستة الاف الذين قاتلوا الحسين مع عمر بن سعد بن أبي وقاص وقتل عمر بن سعد وخص شمر بن ذي الجوشن بمزيد نكال وأوطئت الخيل صدره وظهره وذلك ان شمر هذا قبحه الله هو الذي تولى قتل الحسين وجراهم على ذلك وذلك أن عمر بن سعد كان عاملا لابن زياد فوجهه ابن زياد لقتل الحسين ومعه ستة الاف فبعث عمر للحسين يطلب الاجتماع به في خلوة الكراهية قتاله فاجتمعا فقال عمر ما جاء بك فقال أهل الكوفة فقال اما عرفت ما فعلوا معكم فقال من خدعنا في الله انخدعنا له فقال فما ترى الآن قال دعوني أرجع فأقيم بمكة أو آتي المدينة أو أقيم ببعض الثغور فقال أكتب الى ابن زياد فكتب اليه فهم باجابه لذلك فقال شمر بن ذي الجوشن الكلام لا يقبل منه حتى ينزل على حكمك فقال ابن زياد نعم ما رأيت وكتب الى ابن سعد اني لم ابعثك لتكون شفيعا عندي فان نزل على حكمي ووضع يده في يدي فابعث به الى وان أبي فاقتله واصحابه وأوطىء الخيل صدره وظهره ومثله وان ابئت فاعتزل علينا وسلمه إلى شمر بن ذي الجوشن ودفع الكتاب الى شمر وقال ان فعل ما أمر به وإلا اضرب عنقه وانت الادير على الناس فلما وصل شمر قال له ابن سعد لا إهلا بك والله ولا سهلا يا ابرص لقد رددته عما كان في عزمه وبعث الى الحسين فاخبره فقال والله لا وضعت يدي في يد ابن مرجانة أبدا فقاتلوه وناداه شمر الساعة ترى الهاوية فقال الحسين الله أكبر أخبرني جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت كأن كلبا ابقع ولغ في دماء أهل بيتي وما اخالك الا آياه ثم ان سنان بن أنس النخعي وشمر بن ذي الجوشن اشتراكا في قتل الحسين وكان شمر ابرص فاما سنان فجاء الى ابن زياد وقال

أوقر ركابي فضة وذهبا ۞ اني قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا ۞ وخيرهم اذ ينسبون نسباً

فقال حيث علمته كذلك فلم قتله وأما تسمي ففعل به المختار ما سبق وقد شكر
الناس أولا للمختار انتصاره لأهل البيت لكنه أنبأ في الأخير عن خبث وكذب
على أهل البيت فزعم أنه يوحى إليه وكان على بن الحسين يلغنه ويقول كذب
على الله وعلينا . وإليه تنسب الطائفة الكيسانية فإنه كان يلقب بكيسان وكان
يزعم أن محمد بن الحنفية هو المهدي وكان سليمان بن صرد وهو من الصحابة
من كاتب الحسين في القدوم إلى الكوفة فيما ذكره ابن عبيد البر ثم أنه لم
يقاتل معه فندم هو ومن معه بعد موت الحسين على خلافه وقالوا ما لنا توبة
إلا أن نقتل أنفسنا في الطلب بدمه فخرجوا إلى الشام وولوا أمرهم سليمان بن
صرد وسموه أمير التوايين وإنما قصدوا الشام لأن ابن زياد الأمر بقتل الحسين
لما بلغه موت يزيد هرب من الكوفة إلى الشام فأنتهى إلى مروان بن الحكم
فخرج إليهم ابن زياد المذكور في ثلاثين الفا وكان أصحاب سليمان أربعة آلاف
فاقتلوا أياما ثم التقوا يوما فكان النصر لسليمان في أول النهار ولا بن زياد في
آخره ثم قتل سليمان وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وافترقوا ثم مات مروان ثم
نزل ابن زياد الموصل في ثلاثين الفا فجهز إليه المختار إبراهيم بن الأشتر في
صائفة سنة تسع وستين فالتقى بابن زياد فقتل ابن زياد على الفرات في يوم
عاشوراء وكان من غرق من أصحابه أكثر ممن قتل وبعث الأشتر برأس ابن
زياد مع رؤوس أصحابه إلى المختار فالتقيت في موضع رأس الحسين وأصحابه
ونصب رأس ابن زياد في المكان الذي نصب فيه رأس الحسين ثم ألقاها في اليوم
الثاني في الرحبة وروى الترمذي عن عقبة عن عمارة بن عمير قال لما جرى برؤوس
عبد الله بن زياد وأصحابه نصبت في المسجد فانتبهت والناس يقولون قد جاءت
فاذا حية قد جاءت تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخر عبد الله بن زياد ثم
مكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا قد جاءت ففعلت ذلك
مرتين أو ثلاثا وروى الحافظ محمد بن اسحق بن منده عن عبد الملك بن عمير
قال لقد رأيت في هذا القصر عجبا ، يعني قصر الأمارة بالكوفة ، دخلت على
عبد الله بن زياد وهو على سرير والناس عنده سباطان وعلى يمينه ترس
عليه رأس الحسين ثم دخلت على المختار في ذلك السرير والناس عنده سباطان

وعلى يمينه ترس عليه رأس عبد الله بن زياد ثم دخلت على مصعب بن الزبير
في ذلك الموضع على ذلك السرير والناس عنده سباطان وعلى يمينه ترس عليه
رأس المختار ثم دخلت على عبد الملك بن مروان في ذلك الموضع على ذلك
السرير والناس عنده سباطان وعلى يمينه ترس عليه رأس مصعب . هذا
بعض ما حصل لهم في الدنيا وأما ما يحصل لهم في الآخرة من العذاب وعظيم
عقابه مالا يحويه ولا يحصيه فقد قال سليمان بن يسار وجد حجر مكتوب عليه

لا بد أن ترد القيامة فاطم . وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفاعؤه خصماؤه . والصور في يوم القيامة ينفخ

قال السهمودي وهو شاهد لما أخرجه ابن الأثير في العترة الطاهرة من حديث
علي الرضى عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر
عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه علي بن أبي طالب رضى الله عنهم قال قال
رسول الله صلى عليه وسلم تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم
فتتعلق بقائمة من قوائم العرش فتقول يا عدل احكم بيني وبين قاتل ولدى
فيحكم لابنتي ورب الكعبة وعن محمد بن سيرين قال وجد حجر قبل مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثمائة سنة مكتوب عليه بالسريانية فنقلوه
للعربية فإذا هو

أترجو أمة قتلت حسينا . شفاعته جده يوم الحساب
وأخرج ابن الجراح من طريق أبي لهيعة عن أبي قتيل قال لما قتل الحسين
بعث برأسه إلى يزيد فنزلوا أول مرحلة فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم
حديد فكتبت سطرًا بدم (أترجو أمة قتلت حسينا الخ) البيت المتقدم فهربوا
وتركوا الرأس .

الفصل الثالث في نشأة نجله البدر المنير

وتربيته بأتم أدب وأوفى توفير وقيام وزرائه به من بعده إلى استكمال
قيامه بأعباء الخلافة وجميعته واستكمال متابعة أبيه في علومه وتعرفاته وسنته
ففي المطرب الانيس قال محمد بن عبد الملك الوراق في كتابه المقياس والبكرى

والبرنسي وغيرهم ممن اعتنى بتاريخ الادارسة ان الامام ادريس بن عبد الله لما
توفي لم يترك ولدا مولودا الا انه ترك جارية من البربر اسمها كنزة حاملا منه
في الشهر السابع من حملها فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس بعد فراغه
من دفن مولانا ادريس فأخبرهم ان ادريس لم يترك ولدا الاحملا بجاريته كنزة
وهي في الشهر السابع من حملها وقال لهم فان رأيتم أن تصبروا حتى تضع حملها
فان كان ذكرا ريئنا فاذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تبركا بأهل البيت وذرية رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان كان جارية نظرتكم لانفسكم من ترضونه لذلك قالوا
أيها الشيخ المبارك ما لنا رأى الا ما رأيت فانك عندنا عوض من ادريس تقوم
بأمرنا كما كان مولانا ادريس وتصلى بنا وتحكم بيننا بما يقتضيه الكتاب والسنة
حتى تضع الجارية فان وضعت غلاما ريئنا وبايعناه وان وضعت جارية نظرنا
في أمرنا على أنك أحق الناس به لفضلك ودينك وعلمك فشكرهم راشد على
ذلك ودعاهم وانصرفوا فقام بأمر البربر حتى تمت للجارية أشهر حملها فوضعت
غلاما أشبه الناس بوالده ادريس فأخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا
اليه فقالوا هذا ادريس بعينه كانه لم يمت فسماه ادريس باسم أبيه وقام بأمره وأمر
البرابرة وكفله حتى فطم وشب وادبه أحسن أدب واقراه القرآن فحفظه وله
من السنين ثمانية أعوام ثم علمه العلم كما يأتي قلت في هذا دليل على نصيح راشد
رضي الله عنه للامة ولذرية مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته فجزاه الله
أحسن الجزاء

وولد سيدنا ادريس رضي الله عنه في يوم الاثنين من شهر رجب الفرد
الحرام عام سبعة وسبعين ومائة وكانت صفته الخلقية صفة والده رضي الله
عنه كانه هو قال في الانيس كانت صفة ادريس بن ادريس كصفة أبيه كان
أبيض اللون مشربا بحمرة تام القد جميل الوجه اقنى الانف مليح العيشين واسع
المنكبين شثن الكفين أفلج أبلج أدعج فصيحاً بليغاً أدبياً عالماً بكتاب الله قائماً
بحدود الله راوياً للحديث عارفاً بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصل الاحكام
ورعاً تقياً جواداً كريماً حازماً بطلا شجاعاً شهياً مقداماً له غسل راجح وذهن
راشح واقدام في مهمات الامور اهـ (البياض المشرب بحمرة هو الذي مارجه

الحمرة وهو لون جده صلى الله عليه وسلم كما سبق والدعج شدة سواد العين مع سعتها والقنا ارتفاع قصبة الأنف مع احديداب في وسطه والقذ القامة والبهجة الحسن والاستواء الاعتدال والبلج عرف ما بين الحاجبين من الشعر والفاج في الاسنان انفراج ما بين الثنايا وهو من أوصاف الملاحنة وأسباب الفصاحة والحيا الوجه والصولة القوة والتمكن والاعتلاء والظهور

ومن شجاعته رضى الله عنه ما ذكر في روض القرطاس قال داود بن القاسم ابن عبد الله بن جعفر الاوربي شهدت ادريس بن ادريس رضى الله عنه في بعض غزواته للخوارج الصفريه من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا فلما تقارب الجمعان نزل مولانا ادريس فتوضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للقتال فقاتلناهم قتالا شديدا فكان مولانا ادريس يضرب في الجانب مرة ثم يكر الى الجانب الثانى فلم يزل كذلك حتى ارتفع النهار فرجع إلى رايته ووقف بازائها والناس يقاتلون بين يديه فطفقت انظر له وادم الالتفات اليه وهو تحت ظلال البنود يحرض الناس ويشجعهم فاعجبني ما رأيت من شجاعته وقوة جاشه فالتفت الى وقال يا داود ما لي أراك تديم النظر الى فقلت أيها الامام أعجبني منك خصال ما رأيته لغيرك قال ما هي يا داود قلت أولها ما رأيت من حسنك وجمالك وثبات قلبك وطلاقة وجهك وما خصصت به من البشر عند لقاء عدوك قال ذلك بركة جدنا صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا وراثته عن أبينا على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قلت وارك تبصق بصاقا مجتمعا وأنا اطلب قليل الريق في فمى فلا أجده قال يا داود ذلك لاجتماع عظمى وقوة جاشى عند الحرب وعدم ريقك من طيش لك وافتراق عقلك ولما خامرك من الرعب قال داود فقلت أيها الامير وأنا أيضا أتعجب من كثرة تقلبك في سرجك وقلة قرارك في منامك قال ذلك ظنى (كذا) زعم إلى القتال وعزم وصدقة وهو أحسن في الحرب ثم أنشأ يقول

أليس أبو نا هاشم شه أزره ۞ وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلما نزل الحرب حتى تمنا ۞ ولا نشتكى مما يؤول الى النصب
فتعجب الناظر إليه رضى الله عنه من طلاقته وبشره وعدم تغير حسنه
وتأثر جماله عند محاربة أعدائه وقتالهم قبل ظهور انارات الفتح وبشائر الظفر

وانه لخلق بالتعجب فان ذلك من المواطن التي تتقبض فيها النفوس وتشمز
القلوب وتضيق الصدور وتبدل الاخلاق لا سيما رئيس القوم وكبير الجيش
الذي عليه المدار وإليه الملاجأ والفرار ومن ثم أجاب رضى الله عنه بأن ذلك
ليس من طرق البشر ومما يتعارفه الناس أهل القوى والقدر وإنما هو مدد جاء من
حضرة الرسالة وهو معنى قوله ذلك بركة جدنا صلى الله عليه وسلم وما أجاب به
في مسألة الريق هو عين الحق فقد قال السهيلي في الروض قلة الريق من الحصر
وهو ضيق الصدر وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش قال العلامة ابن زكري
في شرح همزيته مانصه ولما تمهر مولانا ادريس في العلوم وبلغ احدى عشرة
سنة وبلغ في هذا السن مبلغ الرجال تأهل بذلك للخلافة واستوفى فيها الشروط قال
البكري والبرنسي وغيرهما لما كمل لادريس من العمر احدى عشرة سنة ظهر
من ذكائه ونبله وعقله وفصاحته ما اذهل عقول الخاصة والعامة فاخذله راشد
البيعة على سائر البرابر ثم لما توفي راشد باشر ادريس القضاء والفصل بين الناس
بنفسه وقام بأمور باقى الاحكام والشرائع حتى قدم اليه عامر بن سعيد القيسى
فاستقضاه كما يأتى وكان لما بويع قام باشرط البيعة وصعد المنبر وخطب فقال
الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوكل عليه . وأعوذ به من شر نفسه
ومن شر كل ذي شر . واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً
رسوله . المبعوث الى الثقلين بشيراً ونذيراً . وداعياً الى الله باذنه
سراجاً منيراً . صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته الطاهرين الذين اذهب الله
عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . ايها الناس أنا الذى قد وليت هذا الامر . الذى
يضاعف للمحسنين فيه الاجر . وللمسيئين الوزر ونحن والحمد لله على قصد جميل
فلا تمد الاعناق الى غيرنا . فان الذى تطلبونه من الحق اما تجدونه عندنا .
فمن تأمل هذه الخطبة واعطاها حقها من النظر ظهر له من فصاحة الامام
ادريس وبلاغته ومعرفة بطرق الوعد والوعيد وقصده النصيح للأمة
وذكر الامر والنهي وإيثاره رضى الله على هوى النفس ما يبهر العقول ويحير
الباب الفحول هذا كله وهو ابن احدى عشرة سنة وأشار بقوله ولينا الى أنه لا رغباً
له في ذلك ولا شره منه اليه وأشار بقوله الذى يضاعف الخ الى ما ورد في

الاحاديث من نواب أئمة العدل ومضاغفة أجورهم لما يقومون به من حفظ
الامة وكف شر الفتنة عنهم واعانتهم على المصالح الدينية والدنيوية ومن
وزر أهل الجور ومضاغفة العقوبة لهم لما يترتب على جورهم من المفساد الدينية
والدنيوية في حق الخاصة والعامة والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وأشار بقوله
ونحن الخ الى تطيب نفوس المؤمنين وادخال السرور عليهم بتعريفهم بقصده
وطويته أنه لم يضم لهم الا الخير ولم يسع لهم إلا في الصلاح ثم عن التشويق
إلى الغير لئلا تفترق كلمتهم ويختل أمرهم وليكونوا من المؤثرين لذرية مولانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستحقون رضاه ووجه رجحان التمسك بهم
والاهتداء بهديهم بقوله فان الذي تطلبونه من الحق الخ قال ذلك لما عليه من
نفسه من التصميم على المبالغة في النصح للخلق والعزم على بذل السعي لهم في
المصالح مع ما عنده من العلم بذلك وقد سبقه إلى مثل هذه المقالة والده فانه
لما يبيع بالمغرب خطب الناس وقد قال أيها الناس لا تمد الاعناق إلى غيرنا
فان الذي تجدون من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ثم قال ذكر غير
واحد أن راشداً لم يمت حتى أخذ البيعة للامام مولانا إدريس بالمغرب وأن
الامام مولانا إدريس لما كمل له من العمر إحدى عشرة سنة ظهر من ذكائه
ونبله وقوة جأشه وثبات جنانه على صغر سنه فأسارع الناس إلى بيعته
وازدحموا عليه يقبلون يده فبايعه كافة قبائل أهل المغرب فاتصل خبره بإبراهيم
ابن الاغلب عامل افريقية فحاول قتل راشد وذلك سنة ثمان وثمانين ومائة
فقام بأمر إدريس بعده أبو خالد بن يزيد بن الياس العبدى فأخذله البيعة على جميع
قبائل البربر بعد قتل راشد بعشرين يوماً وسار رضى الله عنه بسيرة سلفه
الصالح بنشر العدل وإظهار الحق والتزام الاستبانة وأقام السنة ونصر الشريعة
والنصح لله ولرسوله وللمؤمنين وأعلى منار الدين وشهر شرائع الاسلام فاستقام
أمره وتمهد له الملك وعظم سلطانه وقويت جنوده واتباعه ووفدت عليه الوفود
من البلدان وقصده الناس من كل ناحية ومكان فأقام بقية سنة ثمان وثمانين
التي يبيع فيها يعطى الاموال ويصل الوفود ويستميل الرؤساء والاشياخ وفي سنة
تسع وثمانين ومائة وفد عليه وفود العرب من افريقية وبلاد الاندلس في نحو
خمسة فارس فسر بوقادتهم واجزل صلاتهم ورفع منازلهم واستوزر

منهم عمير بن مصعب الازدي وكان من فرسان العرب وساداتها ولمصعب آثار عظيمة في الاندلس ومشاهد في غزو الروم كثيرة واستقضى منهم عامر بن سعيد بن محمد القيسي وكان رجلا صالحا ورعا سمع مالكا وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا ثم خرج الى الاندلس برسم الجهاد ثم جاز الى العدو فوفد منها على ادريس فيمن وفد عليه من العرب ولم تزل الوفود ترد عليه من العرب والبربر من جميع الآفاق وفي سنة اثنين وتسعين ومائة وفد عليه جماعة من الفرس من العراق فأنزلهم بناحية عين علون وكانت اذ ذاك أرضا ذات ماء وكلخ وبسباس وأشجار برية وكان بها عبد اسود يقطع الطريق هنالك قبل بناء مدينة فاس وكان الناس يتحامونها ولا يمرون بها ولا يسلكونها من أجل علون المذكور والتفاف الاشجار وهدر المياه والأنهار وكثرة الوحوش المؤذية فكان الرعاة يتحامونها بمواشيهم ولا يسلكها إلا الجماعة من الناس فعرف الامام مولانا ادريس بن خنبر علون حين شرع في بناء عدوة الاندلس فأمر بالقبض عليه فخرجت الخيل في طلبه فقبض عليه فأتى به اليه فأمر بقتله وصلبه على شجرة هنالك كانت على رأس العين وكان رضى الله عنه ملازما للحق في تصرفاته جاريا على قانون الشريعة في أحكامه لا يعدل عن الحق ولا ينحرف عن السنة فألف الناس منه ذلك حتى عمهم الهناء وأمنوا الجور فكان يأخذ الجزية وزكاة الاموال على منهاج الحق ثم يصرف ذلك إلى مستحقه وكانت تأتية الغنائم في غزوات أصحابه فيقسم الاربعة الاخماس على المجاهدين ويصرف الخمس في مصارفه . وفي عام سبع وتسعين ومائة خرج إلى بلد نفيس وبلد المصامدة فوصل اليهما فدخل مدينة نفيس ومدينة اغمات وفتح بلاد سائر المصامدة وأسلم على يديه خلق كثير كانت بقيت بعد أبيه اخترمته المنية قبل أن يصل اليها وحصلت له منها غنائم كثيرة ففرقها ولا أبقى منها قليلا ولا كثيرا الا قدر الكفاف لاهله وقد تقدم قوله أن الذي تجددونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا (تنبيه) تقدم أن قاضيه كان ممن قرأ على مالك بن أنس وسفيان الثوري فالظاهر أنه كان على مذهب أحدهما ويحتمل أنه كان على مذهب الاوزاعي لقول القاضي عياض في المدارك ان أهل المغرب والاندلس كانوا قبل أن يصل اليهم مذهب مالك على مذهب الاوزاعي

ورأى الكفيين فلما أتى أصحاب مالك بمذهبه رفع ذلك من المغرب اه ويحتمل أنه كان مجتهدا مستقلا لم يتقيد بمذهب احدهما وكان كذلك جماعة من الاكابر ثم بعد ذلك وقع التقيد بالمذاهب

ثم انه رضى الله عنه بعد ان غزا ما لم يصله ابو من بلدان المغرب وعمرانه واسلم بدعوته من بقى من اهل الشرك بالمغرب ولا بقى الا من رضى بدمية المسلمين واداء الجزية لهم نشر العلوم واوضح الحق ببيان الشريعة والحقيقة ومهد الجمع بينهما حتى عرفت أصول الدين وفروعه وتبين كلام الايمان على ما هو عليه فثبت الدين في المغرب وتقرر وصارت شجرته فيه أصلا ثابت وفرعها في السماء فعلم ببركته أهل المغرب بعد أن جهلوا وعملوا بعد ما ضيعوا وأقبلوا بعد ما عرضوا واتصلوا بعد ما انفصلوا وقرّبوا بعد ما انقطعوا واستأنسوا بعد ما استوحشوا وعزّوا بعد ما ذلّوا وغلّوا بعد ما رخصوا وعلّوا بعد ما سفلوا فسبحان من أحيا به وبأبيه بعد الموت وتداركهم ببركاتهما قبل الفوت. ولما تمهد ملك مولانا ادریس بن مولانا ادریس جدد من معالم الدين ما بلى وأظهر ما خفي وأحضر ما غاب وغبر واحيا ما درس واندثر فكان رضى الله عنه بشارة جده صلى الله عليه وسلم في قوله لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله أو الى قيام الساعة وهم بالمغرب أو المغرب على اختلاف رواياته كما سيأتى ولا ظهر حصول هذه المزية العظمى الا بعد وروده رضى الله عنه أرض المغرب ومن يوم سطع نوره بالمغرب لا يزيد الدين به إلا ظهورا واتضاحا فصار بحلوله شمسا مشرقة وغرب منه به سائر غياهب الجهل والضلالات لشروق الدين والعبادات قال العلامة ابن زكري في شرح قوله من همزته

زال عن غروبها لما أشرقت فيه منكم الاضواء
مانسه انما سمي الغرب غرباً ومغرباً لأن الشمس تغرب في ناحيته وجهته
كما قال سيدنا كعب الاحبار رضى الله عنه مخبرا بذلك ابن عباس لما سأله عن مغرب الشمس قال أجدها تغرب في ماء وطين بالمغرب وسمى الشرق شرقاً ومشرقاً لأن الشمس تشرق من ناحيته وجهته ولذا قال الشاعر:
ففي الغرق من أجل الشروق مسرة وفي العرب من أجل الغروب كرب

ولما كان المغرب في زمن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين مملوئاً ~~بكفر~~ ومعموراً جهلاً لم يدخله الايمان ولم يبلغ الفتح كان كأنه قد غرب وفقد واضمحل بالغروب المعنوي الذي هو غيبة شمس الايمان والمعرفة وهو أقوى من الحس فلما من الله على أهله بقدم مولانا ادریس رضی الله عنه ونفعنا به آمین ففتحته ودعا أهله إلى الله وهداهم الله على يديه وبركته زال عنه ذلك الغروب والفقر فاحياه الله بالايمان وفتح بصائر أهله وأشرق فيهم شمس المعارف والعلوم كما سيأتي فتبدل غروبه بالشروق وخنأوه بالظهور ونكارتة بالمعرفة وذلك مدد منه صلى الله عليه وسلم وفيض من بحر فضله واشراق من عظيم نوره وبين الغرب والغروب التجنيس الناقص وبين الغروب والاشراق الطباق ثم قال

لا غرابة أن هذا الغرب شرقاً (١) لشموس المعاني فيه ضياء

ولما قدم مولانا ادریس رضی الله عنه المغرب ودعا أهله إلى الله وأرشدتهم إلى دينه فاستجابوا له وحبيب الله لهم الايمان على يده خرجت ظلمة الكفر واشرق فيه نور الايمان وتجلت شمس المعرفة فصار الغرب شرقاً لشروق شمس المعاني بطلوها فيه وعم شعاعها ولا غرابة في ذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فكم من موضع عبد الله فيه بعد الاشراك وكم محل رحم الله أهله بعد الغضب وقربهم بعد البعد ورضى الله عنهم بعد السخط وفرج عنهم بعد الشدة ووصلهم بعد القطع وانظر مسجد سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان موضعه مقبرة للبشر كين فنبشها وجعل فيها مسجده ولا غرابة أيضاً في صيرورته شرقاً بقدم سيدنا ومولانا ادریس لشدة قربهم من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة بسنته وإرثه آياه في الدعاء إلى الله والدلالة عليه وبين غرابة وغرب التجنيس الناقص وبين غرب وشرق الطباق ثم قال أيضاً

وفشا الحق فيه بعد اغتراب ولا هليه فيه كان البقاء

(١) كذا في الاصل ، وهو غير مستقيم . ولعل الصواب : « ليس بدعاً ان عاد ذا الغرب شرقاً » إلا ان قول مؤلف الكتاب بعد أحد عشر سطراً « وبين غرابة وغرب التجنيس » يدل على ان أصل البيت كما هو هنا ، فتأمل .

إشارة لما ذكر الشيخ زروق في شرح الرسالة بالتعريف بالاسام مالك رضى الله عنه حيث قال ويسكنى في ارجحيته كونه امام دار الهجرة في خير القرون ومتبوع اهل المغرب الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة كماصح في الحديث وإن اختلفت روايته ثم وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر باسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قال المناوى زاد في رواية من أهل المغرب ه وما ذكر الشيخ زروق ظاهر من لفظ الحديث وقال صاحب المشارق في قوله لا يزال أهل المغرب بعين الرواية التي ذكرت في بعض طرق مسلم ذكر يعقوب بن شيبه عن يحيى ابن المدينى قال المراد بالغرب الدلو وعنا الغرب لانهم أصحابها لا يستقى بها أحد غيرهم وفي حديث معاذ وهم أهل الشام والغرب المكان والشام غربى الحجاز وقال المراد أهل الحدة قال أهل اللغة يقال فى لسان فلان حدة . وزاد فى حديث أنى أمانة قال يا رسول الله واين هم قال بيت المقدس قال ويمكن الجمع بين الاخبار بأن المراد قوم بيت المقدس وهى شامية ويستقون بالدلو وتكون لهم حدة فى قتال العدو اه كلام ابن حجر وعلى حمل الشيخ زروق رضى الله عنه ونقله غير واحد واقره فهما طائفتان الطائفة التى فى الشام هم الذين يقتلون الدجال مع سيدنا عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام واليه الاشارة بما فى الحديث الاخير والذي نفسى بيده ليجدن ابن مريم فى أمى - الحديث - والله تعالى أعلم. وهذه الطائفة الجليلة نفعا الله بهم فى صحيفة سيدنا ادريس رضى الله عنه اذ سببه وصل الايمان واليقين وبين الضمير المجرور يعنى باعتبار معاده واغترابه التجنيس الناقص ثم قال أيضا :

أخصب الدين فيه من بعد جذب ه اذ غدا له من نذاك ارتواء
ويمكن منه حتى اتقى أهـ ه ل الابتداء وماتت الاهواء (كذا)
ذكر أهل العلم من فضائل المغرب ان الله حماه من فرق أهل المبتدعة كالمتزلة والرافضة والخبرية وغيرهم وقد كان أهل المغرب على أديان مختلفة وآراء فاسدة فلما كانت ولاية يزيد بن معاوية ولى عقبة بن نافع الفهرى على بلاد المغرب فى سنة اثنين وستين من الهجرة وقدمت من ولايته سنتان فاستفتح عقبة الى أن بلغ البحر الاعظم فى بلاد ماسية وأدخل فيه قوائم فرسه ثم جعل يقول وعليكم السلام

فقال له أصحابه على من تسلم يا ولي الله فقال ان قوم يونس عليه السلام سلبوا على وسلمت عليهم ولولا البحر لاريتكم اياهم فاسلم على يديه بعض من بالمغرب وحين رجع منه ارتد بعض من أسلم . ثم لما ولي الوليد بن عبد الملك بن مروان ولي موسى بن نصير على المغرب سنة اثنين وسبعين فصار حتى بلغ طنجة وسبته وجاز فيه برالاندلس وافتتحه مع مولاة طارق بن زياد وأسلم على يديه بعض اهل المغرب وحين رجع عنه ارتد أيضا بعض من أسلم . قال الشيخ ابن أبي زياد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده . أي مدة مولانا إدريس . وقال في كتاب العبر ارتد أهل المغرب مرات الى أن طهرهم من ذلك موسى بن نصير ومولانا إدريس وفي بعض التواريخ أهل المغرب ارتدوا اثنتي عشرة مرة الى أن فتح الله عليهم بقدم إدريس فمن بركته تقرر اسلامهم وزاد خيرهم وغاض شرهم هـ وكان عقبة بن نافع ولي أمر المغرب قبل ولاية يزيد قال في الاستيعاب عقبة بن نافع ولد على عهد مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصح له صحبة كان ابن خالة عمرو بن العاص ولأه عمرو بن العاص إفريقية وهو على مصر فأنهى الى لواتة ومزانة فطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سبته فقتل وسبا وذلك سنة احدى وأربعين وافتتح في سنة اثنين وأربعين غدامس فقتل وسبا وافتتح سنة ثلاث وأربعين كورة من كور السودان وافتتح ودان وهي من حيز برقة من بلاد إفريقية وافتتح عامة البرابر وهو الذي اختط القيروان فنهب الى عقبة فلم يعجبه فركب بالناس الى موضع القيروان اليوم وكان واديا كثيرا الاشجار غيضة مأوى الوحوش والحيات فأمر بقطع ذلك واحرقه واخطت القيروان وأقام بها ثلاث سنين وروى أنه لما وقف على القيروان قال يا أهل الوادي أنا (١) ان شاء الله فاطعنوا ثلاثا قال الراوى فما رأينا حجرا ولا شجرا الا يخرج من تحته حية حتى هبطوا بطن الوادي ثم قال انزلوا بسم الله وقتل عقبة بن نافع سنة ثلاث وستين بعد أن غزا السوس الاقصى قتله كسيلة بن محرم الأوربي وكان نصرانيا ثم قتل كسيلة في ذلك العام قتله قيس بن زهير البلوى ويقولون أن عقبة بن نافع مستجاب الدعوة والله أعلم هـ هذا ما يتعلق بعقبة بن نافع

وأما موسى بن نصير فهو الامام الكبير فاتح الاندلس قال الامام ابن اسحق في كتابه مزارع الاشواق الى مزارع العشاق قال كان موسى بن نصير مهابا ذا رأي وحزم وشجاعة قال له سليمان بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين ما كنت تفزع اليه عند الحرب قال الدعاء والصبر قال فأى الخيل رأيت أصبر قال الشقر قال أخبرنا عن الروم قال هم اسد في حصونهم نساء في مرا كبهم ان رأوا فرصة انتهزوها فان رأوا غلبة فاورعوا تذهب في الجبال قال كيف قتلك للعدو قال ما هزمت لي راية قط ولا رد لي جمع ولا نكب المسلمون منذ اقتحمت الاربعين إلى أن بلغت الثمانين ولما فتح الاندلس جرت لديها عجائب وأمر طويلة وانتهى الى آخر حصن من حصون الاندلس فاجتمع الروم لحربه فكانت بينهم وقعة مبهولة وطال القتال وجال المسلمون جولة بالمدينة فامر موسى بن نصير بسر اذقه فكشف عن بناته وحرمه حتى يروه ويبرزن بين الصفوف حتى يراهن الناس ثم رفع يديه بالتضرع والبكاء فاطال فكسرت بين يديه اغصان السيوف وصدقوا اللقاء ففتح عليهم ثم قدموا الى مصر في سنة خمس وتسعين وتوجه الى الوليد بن عبد الملك بما معه من السبي والغنائم وقال الليث بن سعد ان موسى بن نصير بعث ابنه مروان على جيش فاصاب من السبي مائة الف آخرها ولما افتتح الاندلس جاءه رجل فقال ابعت معي رجالا أدلك على كنز فبعث معه رجالا فقال لهم انزعوا ما هاهنا فنزعوا فسال عليهم من الياقوت والزبرجد ما سال قال الليث بن سعد ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بتفضيان الذهب بنظم سلسلة الذهب باللؤلؤ والياقوت فكان الرجلان ربما وجداهما فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفارس فيقسماها . ولما افتتح الاندلس رجع الى افريقية وله نيف وستون سنة وهو يجر الدنيا بين يديه جرا أمر بالعجول (١) وقال الذهب والجواهر والتيجان والثياب الفاخرة وفي ذلك مائة سليمان قومت بمائة الف دينار . وذكر الطرطوشي في سراج الملوك والقرطبي في تاريخه ان طارقا مولى موسى بن نصير دخل الى الاندلس في الف وسبع مائة رجل وكان هناك تدرس نائبا عن لدرى فقاتلهم ثلاثة ايام ثم كتب الى لدرى ان قوما وصلوا الينا ما أعلم من الأرض هم أم من السماء وقد قاتلناهم ولا طاقة لنا بهم

فما دركنا بنفسك فاتاه لدريق في تسعين الف فارس فقاتلهم ثلاثة أيام واشتد
بالمسلمين البلاء فقال لهم طارق انه لا ملجأ لكم غير سيوفكم أين تذهبون وانتم
في وسط بلادهم والبحر من ورائكم محيط وانا فاعل بكم شيئاً إما النصر وإما
الموت فقالوا ما هو قال اقصدوا طاغيتهم فاذا حملت فاحملوا باجمعكم ففعلوا ذلك
فقتل لدريق وجمع كثير من أصحابه وهزمهم الله وتبعهم المسلمون ثلاثة أيام
يقتلونهم قتلاً ذريعاً ولم يقتل من المسلمين إلا نفر يسير وبعث برأس لدريق
الى سيدنا موسى بن نصير بافريقية فبعث به موسى الى الوليد بن عبد الملك بدمشق
ثم سار طارق الى طليطلة ومغيث الرومي مولى الوليد الى قرطبة ففتحوها
ووجدوا ذخائر وأموالاً لا تحصى منها مائة سليمان عليه السلام قومت بمائة
الف دينار لكثرة ما عليها من الجواهر ومن هنا يظهر أن قول الشيخ سيدي
موسى الزياتي افتح صحابي وتابعيان عقبة بن نافع وموسى بن نصير والامام
ادريس لكن لم يستقر إسلام أهل المغرب الا من ادريس ه فيه نظر فان عقبة
صحابي وكذا في عده سيدنا ومولانا ادريس تابعيا فانه من تابع التابعين كما عند
غيره وتقدم أن أباه كان من صغار التابعين وروى عن عبد الرحمن بن زياد
ابن أنعم رحمه الله تعالى أنه كانت افريقية من طرابلس الى طنجة ظلاً واحداً
وقرى متصلة عامرة فخربت وقال الامام العلامة التوزري سمعت من يقول انه
كان بافريقية من القديم مائة الف حصن بين قصر ومدينة وان ملكها كان اذا
أراد الغزو بعث الى كل حصن فيأتيه منه فارس ودينار فجمع له مائة الف فارس
ومائة الف دينار لا ينقص من بلاد شيء ثم قال من تأمل آثار المدن والقصور
الخربة بافريقية وتداني بعضها من بعض رأى ذلك ما يقضى منه العجب ويستدل
منه على كثرة عمارتها فيما سلف

وفي المعيار سئل القاضي عن العاقلة الذين يؤدون فأجاب هم العصابة ومن
يقرب منها الاقرب فالاقرب الى أن قال وما ذكر أيتكون في أهل الكورة
الواحدة وافريقية كورة واحدة من طرابلس الى طنجة وفي تكميل التقييد
قال سحنون في افريقية يضم عقل أهل افريقية بعضهم الى بعض من طرابلس
الى طنجة قال وفي بعض نسخ اللخمي طنجة مكان طنبه وفي المنونة ومن غاب
عن البكر غيبة أنقطاع كمن خرج الى المغازي الى مثل افريقية والاندلس وطنجة

قال عليه في تكميل التقييد طنجة كانت قاعدة المغرب الاقصى في زمن مالك وابن القاسم فقبل انها طنجة المعروفة اليوم بهذا الاسم وقيل انها مدينة ويلي التي تعرف اليوم بقصر فرعون عند جبل زرهون اهـ. والجذب بالدال المهملة ضد الخصب بكسر الخاء المعجمة بينهما الطباق والمعنى أنه لما قدم المغرب سيدنا ادريس رضى الله عنه استقام الدين فيه ببركته وأخصب أي قوى ظهوره فما زال يدعو أهله الى الله تعالى حتى تمكن غاية التمكن وثبت كل الثبوت وأما طرق الابتداع والضلال والحمد لله على ذلك .

الفصل الرابع

في بناء مدينة فاس والسبب الحامل له على بنائها

وذلك أنه لما تمهد ملك مولانا ادريس وكثرت عليه الوفود وعظمت جنوده وقوى جيشه وضائق بهم مدينة ويلي عزم على الانتقال عنها وأراد أن يبنى مدينة يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته فركب في خاصته وخرج يتخير البقاع في سنة تسعين ومائة فوصل الى جبل زالنخ فأعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه وكثرة محارثه فاخط مدينة بسنده مما يلي الجرف وشرع في بنائها فبنى جزءاً من سورها فأتى سيل من أعلى الجبل فهدم ما كان بناه من السور المذكور وحمل ما كان حوله من خيام العرب وأفسد كثيراً من الزرع فلما رأى ذلك مولانا ادريس رفع يده من البناء وأقام الى أن دخل شهر المحرم مفتتح احدى و تسعين ومائة ثم خرج ينظر أيضاً فيها فوصل الى وادى سبوا فأعجبه موضعه فعزم على البناء هناك ثم نظر الى كثرة الماء الذي فيه فخاف على الناس منه فرجع الى ويلي وبعث وزيره عمير بن مصعب الازدي فنظر له موضعاً فخرج وسار في جهات شتى يختبر الارض والمياه حتى وصل الى فحس وأبائس فوجد فحصة الارض واعتدالها وكثرة المياه فيها فأعجبه ذلك فقل هنالك على عين غزيرة مطردة في مروج مخضرة فتوضاً منها ومن معه وصلى صلاة الظهر حولها ثم دعا الله أن يهون عليه مطلبه وأن يبداء على موضع يرتضيه لعباده ثم ركب وأمر قومه بأن ينتظروه عند تلك العين حتى يعود إليهم

فنسبت العين اليه وسميت بعين عمير الى الآن فرأى عيوناً كثيرة تزيد على ستين
عنصاراً ومياهاها تطرد في فسيح الارض وحول العيون شجر من الطرفي
والعرعار وغير ذلك فشرب من الماء واستطابه وقال هذا ماء عذب معتدل وهو أقل
ضرراً وأكثر منفعة وحوله مزارع كثيرة ثم سار مع سيل الوادي حتى
وصل الى موضع مدينة فاس فنظر الى مابين الجباين فاذا غيطة ملتفة الاشجار
مطرودة بالعيون والانهار في بعض مواضع منها خيام من شعر يسكنها قبائل من
زناتة يعرفون بزواغة وبنى بزغة فرجع عمر الى ادريس فأخبره بجميع ذلك
فأعجبه وسأل عن مالك الأرض فقيل له قوم من زواغة يعرفون بني الخير
فقال مولانا ادريس هذا قال حسن فبعث إليهم واشترى منهم موضع
المدينة ستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك وشرع في بناء
المدينة وقيل غير هذا وسيأتي وجه تسميتها بفاس . قال في الانيس
لما أراد الشروع في بنائها رفع يديه وقال اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك
وتقام بها حدودك واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما ابقيتها ثم أخذ
المعول بيده فابتدأ يحفر الاساس فلم تزل منذ بنيت دار علم وفقه وسنة والجماعة
بها قائمة قال وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والاطباء
وغيرهم فهي في القديم دار فقه وعلم وحديث وعربية وفقهاؤها هم الذين يقتدى
بهم جميع فقهاء المغرب لم يزل ذلك كذلك على ممر الزمان ببركة بانيها مولانا
ادريس رضي الله عنه وسكانها أهل المغرب أذهانا وأشد هم فطنة وأرجحهم عقلا
وألينهم قلوبا وأكثرهم صدقة وأعزهم نفوسا والطفهم شمائل وأقلهم خلافا على
الملك وأكثرهم طاعة لولااتهم وحكامهم وكيف تقلبت الاحوال بهم يسمون
على سائر بلاد المغرب علما وفقها ودينا

وذكر ابن الاغلب في تاريخه أن الامام مولانا ادريس لما فرغ من بناء
المدينة وحضرت الجمعة صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يديه في آخر خطبته
فقال : اللهم إنك تعلم أني ما أردت بناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة
ولا مكابرة وانما أردت أن تعبد بها وتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع
دينك وسنة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما ابقيت الدنيا اللهم وفق
سكانها وقطانها إلى الخير وأعنيهم عليه واكفهم مؤنة أعدائهم وأدر عليهم الارزاق

وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق إنك على كل شيء قدير فأمن الناس على دعائه فكثرت الخيرات وظهرت بها البركات فبلغ وسق القمح في أيامهم درهمين ووسق الشعير درهما والقطنية لا تباع ولا تشتري والكبش بدرهم ونصف والبقرة بأربعة دراهم والعسل خمسة وعشرون رطلا بدرهم واحد والفاكهة لا تباع ولا تشتري لكثرتها دام ذلك بها خمسين سنة وتقدم أنه قال للناس من أنشأ موصعا وغرسه قبل تمام السور فهو له هبة ابتغاء وجه الله تعالى فبنى الناس الدور وغرسوا الشمار وكثرت العمارة والخطوة فكان الرجل يخطط موضع منزله وبستانه ثم يقطع منه الخشب فيبنى به ولا يحتاج الى خشب غيره وغرس الناس جانب الوادي من اصله الذي يخرج منه بفحص أسايس إلى مهصبة ينهر سبوا بالشجر والكرم والزيتون وضروب الثمار فعمرت الارض بالغراسة والحراثة وأينعت الثمار وأطعمت الكروم والاشجار من سنتها ببركة مولانا إدريس وسلفه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ورحمته وبركاته وبنيته الصالحة وطيب المنزلة وعذوبة المياه واعتدال الهواء فظهرت البركات وتوالت الخيرات وزادت العمارة وقصدها الناس من جميع البلاد والجهات وأتاهم من رغب في جوار السلالة الكريمة الطاهرة أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم اه. ومن فضائل هذه المدينة دخول ماء نهرها وعيونها لمنازلها ودورها فينتفع بذلك أهلها ثم يخرج بالفضلات والقذورات فنبقى المدينة نقية طيبة الهواء والرائحة قال في الانيس وماء نهر مدينة فاس أفضل أنهر الارض وأعذبها وأخفها يخرج من عيون من أعلاها في بسيط من الارض على الكرافس والسعداء من دنيه حتى ينحدر عن المدينة في مروج خضراء لا تزال كذلك صيفا وشتاء حتى يدخل البلد وينقسم في داخلها على جداول كثيرة ومن فضائل هذا النهر أنه يفتت الخصاص ويذهب الصنان لمن اغتسل به ويلين البشرة ويسرع المضم ويشرب على الريق فلا يضر وذلك لاجل جريانه على الكرافس والسعداء فهو في نهاية الخفة والعذوبة ومن فضائله ما ذكره ابن حنون المتطبب أنه ينبه شهوة الجماع إذا شرب على الريق ومن فضائله أنه يغسل به الثياب بغير صابون فيبيضها ويكسوها رونقا ورائحة طيبة والسعداء من جنس الديس يعلمون من الارض نحو الذراعين في أعلاه سنبله

وأصله مستطيل منعقد مشتبك بعضه ببعض يدب تحت الأرض اسود عميل
الى الحمرة طيب الرائحة طعمه كطعم عروق الزنجبيل، وبين محل ومحل التجنيس الناقص
وبين أمر ويمر التجنيس المضارع وقد انشد الفقيه الصالح الزاهد ابو الفضل
ابن النحوى فى مدح مدينة فاس واوصافها ما نصه

يا فاس منك جميع الحسن مسترق * والساكينوك اهنهم لقد رزقوا
هذا نسيمك أم راح لراحتنا * وماؤك السلسيل الصافى أم ورق
أرض تخللها الانهار داخلها * حتى المجالس والاسواق والطرق
قال فى الانيس وكان الفقيه أبو الفضل ابن النحوى هذا من أهل العلم
والدين والورع والفضل والصلاح ذكره صاحب الشفوف من اكابر رجال
أهل المغرب ه وهو صاحب الحكاية المعروفة وذلك أنه لما أراد أن يسافر قال
له أهله ما تركت لنا فكتب لهم رقعة وقال ان رجلا ياتيكم فادفعوا له الرقعة
فانه يقوم بما يحتاجون اليه الى أن اقدم وكان الذى كتبه فى الرقعة ان الذى
وجهت وجهى اليه هو الذى خلفت فى اهلى لم يخف عنه حالهم ساعة وفضله
أوسع من فضلى فلما كانت عشية النهار الذى سافر فيه اتاهم آت فقرع الباب
وقال هاتوا البطاقة فاخرجوها اليه وكان ياتيهم كل يوم بما يحتاجون اليه الى
أن قدم الشيخ رضى الله عنه فاخبروه فحمد الله واخبرهم بما كتب وكان رضى
الله عنه من أهل الغيبة فى الصلاة فكان اذا كان فى غير الصلاة لا يستطيع أحد
من أهله ان يتكلم كأن على رؤسهم الطير فاذا دخل فى صلاته ارتفعت
الاصوات وكثر اللفظ وهو لا يشعر بذلك وانشد الفقيه البارع الورع
أبو عبد الله المخيسى فى وصف فاس متشوقا اليه حين ولى القضاء بمدينة أزمور

يا فاس حيا الله أرضك من ثرى * وسقاك من صوب الغمام المسيل
ياجنة الدنيا التى أربت على * حمص لمنظرها البهى الاجمل
غرف على غرف ويجرى تحتها * ماء الذ من الرحيق السلسل
وبساتر من سندس قد زخرفت * بجداول كالإيم أو كالفيضل
وبجامع القروى شرف ذكره * انسى بذكره بهيج يملن
وبصحنه من الصيف محاسن * فوق العشى الغرب منه استقبل
واجلس ازاء الخصة الحسنات * واكرع بها عنى فديتك وانهل

واحسن ما وجهت به تسميتها بفاس أن الامام ادريس لما عزم على بنائها
 ووقف موضعها مربها شيخ كبير راهب من رهبان النصارى قد زاد على مائة وخمسين
 سنة كان مترها في صومعة قريبة من تلك الجهة فوقف على مولانا ادريس
 وسلم عليه ثم قال أيها الامير ما تريد أن تصنع بين هذين الجبلين قال اريد أن
 اختط مدينة هنا يعبد الله تعالى بها ويتلى بها كتابه وتقام بها حدوده قال أيها
 الامير إن لك عندى بشرى قال وماهى أيها الراهب قال انه اخبرنى راهب كان
 قبل فى هذا الدير له منذ توفى مائة سنة أنه وجد فى كتاب علمه أنه كان بهذا
 الموضع مدينة تسمى سافا خربت منذ الف سنة وانه يحددها ويحى آثارها
 ويقم دارسها رجل من آل بيت النبوة يسمى ادريس ويكون له شأن عظيم
 وقدر جسيم لا يزال دين الاسلام قائما بها الى يوم القيامة فقال مولانا ادريس
 الحمد لله انا ادريس وانا من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا بانها
 ان شاء الله تعالى فلما بناها قيل له كيف تسميها قال باسم المدينة التى كانت
 قبلها ساف ولكن اقلب اسمها الاول ونسميها بقلبه وسماها فاسا وكان تأسيس
 سيدنا ومولانا ادريس رضى الله عنه لمدينة فاس على ما ذكره المؤرخون سنة
 اثنين وتسعين ومائة وأسس عدوة الاندلس منها وادار بها السور وبعدها بسنة
 أسس عدوة القرويين وذلك فى غرة ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة ولما
 فرغ من بناء المدينة وانتقل اليها بمجملته واستوطنها واتخذها دار ملكه أقام بها
 الى سنة سبع وتسعين ومائة فخرج الى غزو نفيس وبلاد المصامدة ورجع الى فاس
 فاقام بها الى شهر المحرم من سنة تسع وتسعين ومائة فخرج منها برسم غزو قبائل
 نفزة فمار حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان فنظر فى أحوالها واصلاح سورها
 وجامعها وصنع بها منبرا كتب عليه هذا ما أمر به ادريس بن ادريس بن عبد
 الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضى الله عنهم فى شهر محرم سنة تسع وتسعين
 ومائة فاقام ادريس بمدينة تلمسان واحوازها ثلاث سنين ثم رجع الى مدينة فاس
 فلم يزل بها الى أن توفى رحمة الله عليه ورضوانه فى سنة عشرة ومايتين وهو ابن
 ثلاث وثلاثين سنة ودفن بمسجده بازاء الحائط الشرقى منها هكذا فى بعض نسخ
 الانيس وفى بعضها وهو ابن ست وثلاثين سنة وهو الصواب لما مر أنه ولد سنة
 سبع وسبعين ومائة فأعوام ملكه ستة وعشرون عاما وأما قول البرشتى توفى

ادريس بن ادريس بمدينة ويلي من بلد زرهون في الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومايتين وسنه يومئذ ثمانية وثلاثون عاما ودفن الى جانب قبر أبيه برابطة ويلي اه فهو غير صحيح أما أولا فلا تفاقم على أنه ولد سنة سبع وسبعين فلا يصح أن يكون عمره ثمانية وثلاثين وأما ثانيا فلما ذكره العلامة الحافظ سيدى عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى من اتفاق أرباب البصائر والاذواق وإطباق العامة والخاصة على أنه بفاس كما لهجت به الالسنه وطارت به الرفاق فى الآفاق واذعنت به قلوب أهل الايمان لم يقع فيه اختلاف ولا شقاق فما يعرف لهم قط تنازع فى ذلك فمن قال بخلافه يجوز الوعيد بمقتضى قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين الى قوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وهى مما تمسك به الشافعى رضى الله عنه فى ثبوت الاجماع وصحته والتواريخ والاخبار متفقة على أن الخاصة والعامة يتعبدون بزياره ضريح مولانا ادريس بن ادريس بفاس وأبيه بزرهون ويتوسلون الى الله عند ضريحهم وقط ما وقع نزاع بينهم ولا مغير لذلك عليهم ولا مكذب به وذلك من أمر الدين فاتفاق الامة اجماع والامة لا تجتمع على ضلالة ونظير هذا القول الباطل قول السهيلي فى الروض الانف ان ادريس بن عبد الله توفى بأفريقية فهو ايضا خلاف الاجماع وخلاف القطع باطل على كل حال ولا يعتد به على ظاهره لاحتمال أن يكون دس عليه بشهادة أن كتابه غير مروي ولا مقروء عليه بل ولا طالعه لفقده بصره قبل أن يؤلفه من قيده عنه فهو مطرح الالتفات اليه لا يقام فيه بمخاصمة الجميع ومنازعتهم واستخراج ما بأيديهم من المتحقق عندهم كيف وقد نقل أهل كل زمان عن فيهم أنه توفى بفاس وأبوه بزرهون ودفنا هناك هذا مع قيام آثاره ومدينته الشهيرة شرقا وغربا لا ينكر نسبتها اليه أحد وتعدد الاجناس على ضريحه بتوالى السنين مكتوب اسمه فى رسوما منسوب اليه الضريح فى كل زمان وظهور البركات الكثيرة والاستنفاع بضريحه واجابة الدعاء عنده وظهور جسده المقدس هنالك وكذا جسده أبيه بزرهون كما يأتى وما أحسن قول القائل

منازل أهل الله آل رسوله * فاحب بهم أهلا واحب بها مغنى
مدينة ادريس بن ادريس التى * بها قبره آثاره قبر مبنى (كذا)

روجد بخط الامام القصار رحمه الله مما أنشده بعض الادباء
ادريس نام بفاس كالعروس له * قلب اذا نامت العينان لم يتم
احل بآرته في حرز حرمة * كالليث حل مع الاشبال في اجم
يرد عنهم يد المؤذى بصولته * رد الغيور يد الجاني عن الحرم
قال العلامة ابن زكري وقد ذكر بعض أهل العلم أن مما يستدفع به الاذى
عن أهل بلد فاس بقاء أثر شجاعته ونصرته لدين الله وقهره للاعداء بها وهو
سيفه الذي بمنارة القرويين فقد تضمن وضعه هنالك اشارة جليلة الى الدفع عن
أهلها ورد من رماها بسوء وفي هذا المعنى قال الفقيه الامام الرباني أبو عبد الله
محمد بن سعيد الحياك رضى الله عنه

شجرة المشرفى فوق المنار * عزة للورى ودين النبى
سيف ادريس محمد للاعداى * وانتصار الملوك بالمشرفى
وأما الحياك هذا فمن أشياخ ابن غازى الذين أخذ عنهم واثنى عليهم الشاء الجميل
وقصد بهذين البيتين رضى الله عنه رد قول مسعود بن أبى القاسم بن أبى طلاق
قالوا بجامع فاس سيف ادريس . وكلهم قائل زورا وتليسا
ما جعله غير طلسم لساكنيها . لى ينال بها الاحزان والبوسا
وانه لحقيق بالرد وخلق بالتزييف والابطال نعم ما تضمنه كلامه من ترادف
الاحزان والبؤس على ساكن فاس له أصل وأساس وهو كثرة التوسعات
الدنيوية بها فى الاطعمة والاشربة واللباس والابنية والمياه وغير ذلك مما لا يوجد
فى غيرها من البلدان وبقدر ذلك يكون الغم وترادف الاحزان كما قال سيدى
ابن عطاء الله فى الحكم ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه فان مفهومه أن بقدر
ما يفرح به الانسان يكون حزنه وبه قرره شراحه وهو هذا معنى قول القائل
فاس لعمري هى الدنيا بأجمعها . لو لم يك القلب فيها ضيقا حرجا
من حل ساحتها لم ينبج من كدر . كأنما همها بماها مزجا
وكأن زيف ذلك القول الامام الحياك زيفه الشيخ أبو زيد المكودى قال
قدم سيف المنار بفاس (?) . هو طلسم ذلة وهوان
اخطأوا ليس ذاك الا لعز . بهرت منه سائر البلدان
وكذا رده أيضا الشيخ الفقيه الاستاذ النحوى المقرئ أبو المكارم منديل

ابن آجروم رحمه الله تعالى في قوله

شاموا بفاس سيف ادريسهم . فوق منار لا لامر مخوف
بل أشعروا بقول خير الوري . جتكم تحت ظلال السيوف

وكذا الشيخ الفقيه الامام عبد الغفار ابو خلفي بقوله

ذكرت ولم أكن للذكر ناس . عجائب سيف ادريس بفاس
فلم يك بالمنار سدى ولكن . ليدفع عن حماها كل باس

وكذا الشيخ المتفنن الفقيه النحوي أبو عبد الله محمد بن موسى بن ابراهيم
الحاجري بقوله

يقولون زجراً ان فاسا قضى لها . بذلتها سيف المنار المشيد

لقد أخطأوا في زجرهم ضل سعيهم . هل الغز إلا تحت ظل المهند

وما أحسن قول الفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف

بالبريب

سر فاس لأهل فاس بدا في . وضع ادريس بالمنار حسامه

فهم الغر للنداء فاوري . ناره معلما وشال علامه

يشير الى اظهار العلام والفتنار اللذين أحدثهما أمير المؤمنين المتوكل أبو

عنان فارس المدني ونحو قول ابن آجروم قول الفقيه أحمد بن يحيى بن عبد المنان

انكر السيف بالمنار بفاس . قائل ان ذاك داعي اغتنام

لا يرعك الحسام سل عليها . جنة الخلد تحت ظل الحسام

وقال الشيخ الفقيه ادريس بن راشد الفهري رحمه الله تعالى

سل ادريس بالمنار حساما . منبثا ذاك عن شديد العقاب

داعياً للصلاة ان لم تجيبوا . فحقيق الجزاء ضرب الرقاب

ونحو هذا قول الفقيه أبي الفضل محمد بن باشر التسولي

وليس ارتفاع في المنار لكربة . ولكنه كي يعلم الحق جاهله

احض على الخمس التي فاز أهلها . ومن حاد عن عرفانها أنا قاتله

وقال أيضاً رحمه الله ورضي عنه

قل لمن أنكر الحسام بفاس . ودعى الغم قول ذي تجريح

سيف ادريس بالمنار شهير . شهرة الدين بالاذان الفصيح

وقال الأديب أبو عثمان سعيد السراقي شهر بشهبون رحمه الله تعالى
لادريس سيف أظهر الدين والهدى • بأفق منار للاذان تقيدا
فمن ظن أن الذل أورثنا به • فهل ذل الاظالم ضل واعتدى
ذكر هذه الاشعار في كتاب فرائد الجمان الاديب أبو الوليد اسماعيل بن
الاحمر رضى الله عنه وزاد عليها لكن ما اقتصرنا عليه هو زيادة ما ذكره. وسبب
وضعه في أعلى المنار أن الأمير أحمد بن أبي بكر الزناني كان رجلا فاضلا
صالحا من أهل الدين والورع اختصم اليه بعض حفدة الامام مولانا إدريس
في السيف المذكور وطلب كل واحد منهم أن يحوز السيف لنفسه وطال نزاعهم
فيه فقال لهم الأمير أحمد بن أبي بكر هل لكم أن تبيعوه مني وتتركوا
النزاع فيه قالوا له وما تصنع به أيها الأمير قال أجعله في أعلى هذه الصومعة
التي بنيت تبركا به فقالوا أيها الأمير إن كنت تفعل هذا فنحن نهبه لك بطيب
نفوسنا فوهبوه له فجعله في أعلى المنار وكان ذلك سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

الدولة الثانية الغمارية

والها أشار ابن خلدون في العبر بقوله الخبر عن دولة الادارسة

في غمارة وتصاريف احوالهم

كان عمر بن إدريس عند قاسم بن محمد بن إدريس من أعمال المغرب بين
إخوته برأى جدته كنيزة أم إدريس اختص منها بتجساس ونزعة وبلاد صنهاجة
وغمارة واختص القاسم بطنجة وسبته والبصرة وما إلى ذلك من بلاد غمارة ثم
طلب عمر عليها عند ما تنكر له أخوه محمد واستضافها إلى عمله كما ذكرنا في أخبارهم
ثم تراجع بنو محمد بن القاسم من بعد ذلك إلى عملهم الأول فملكوه واختص
منهم محمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بقلعة حجر النسر الداقية وجعل سبته
معقلا لهم وثغرا لعملهم وبقية الإدارة بفاس وأعمال المغرب في ولد محمد بن
إدريس ثم ادالوا منهم به لد عمر بن إدريس وكان أخوهم يحيى بن إدريس بن
عمر وهو الذي بايع لعبد الله الشيباني على يد مصالة بن حبوس قائده وعقد له
على فاس ثم نكبه سنة تسع وخرج عليها سنة ثلاث وعشرين في بني القاسم
الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس وتلقب الحجاج لطفه في المحاجم وكان

مقداما شجاعا وثار اهل فاس برحان وملكوا للحسن وزحفوا اليه موسى فقتله
ومات واستولى ابن أبي العافية على فاس وأعمال المغرب وأجلى الادارسة وأخذ
منهم حصنهم حجر النسر وانحرف الى جبال غمارة وبلاد الريف وكان لغمارة في
التمسك بدعوتهم أباد ومقامات واستحدثوا بتلك الناحية ملكا فوزعوه قطعا
كان أعظمها لبني محمد هؤلاء ولبنى عمر بتكسان ونكور وبلاد الريف ثم سما
الناصر بن عبد الرحمن الى ملك العدو ومراجعة الشيعة فنزل له بنو محمد عن
سببة سنة تسع وتناولها من بر الريف الرضى بن عاصم رئيس محكمة كان يقيم فيها
دعوة الادارسة فأفرجوا له عنها ودانوا بطاعته واخذها من يده ولما غزا أبو
القاسم ميسور الى المغرب لمحاربة ابن أبي العافية نقض طاعتهم ودعا للروانية
ووجد بنو محمد السبيل الى الانتقام منه بمظاهرة ميسور عليه ووالى على ذلك
بنو عمر صاحب نكور ولما اشتغل ابن أبي العافية نكسته ورجع الى الصحراء
سنة خمس وعشرين منصرف ميسور من المغرب نازل بنى محمد وبني عمر وهلك
بعد ذلك وأجاز الناصر بن محمد بن طماس سنة ثلاث وثلاثين وكتب الى ملوك
مقراوه محمد بن ادريس بن همر المعروف بابن شالة يدعوه الى الطاعة وأوفد
رسله الى الناصر فعقد له الامان وأوفد ابنه محمد بن أبي العيش مؤكدا للطاعة
فاحتفل لقدمه وأكد له العقد ونهل سائر الادارسة من بنى محمد وسألوا
مثل سؤلهم فعقد لجميع بنى محمد أيضا وكان بنو ادريس يرجعون في رياستهم
الى بنى محمد هؤلاء منذ استبدها وآخرهم الحسن بن محمد الملقب بالحجاج في
ثورته على ابن أبي العافية فقدموا على أنفسهم القاسم بن محمد الملقب بكنون
بعد فرار موسى بن أبي العافية وملك بلاد المغرب ما عدا فاس مقيما لدعوة
الشيعة الى أن هلك بقلعة حجر النسر سنة سبع وثلاثين وقام بأمرهم من
بعدهم أبو العيش أحمد بن القاسم كنون وكان فقيها عالما بالايام والاخبار شجاعا
ويعرف بأحمد الفاضل وكان فيه ميل للروانية فدعا للناصر وخطب له على
منبر عمله ونقض طاعة الشيعة وبايعه أهل المغرب كافة الى سجلماسة ولما بايعه
أهل فاس استعمل عليهم محمد بن الحسن ووفد محمد بن أبي العرش بن ادريس
ابن عمر بن شالة على الناصر عن أبيه سنة ثمان وثلاثين فاتصل به وفاة أبيه
وهو بالحضرة فعقد له الناصر على عمله وسرحه وهم عيسى بن عمر بن أبي

العيش أحمد بن القاسم كنون على عمله بتكاهن في غيبة محمد فليصكها واحتوى على مال ابن شالة ولما أقبل محمد من الحضرة زحف برايرة غمارة إلى عيسى المذكور ابن كنون ففطحوها به وأثنىوه جراحة وقتلوا أصحابه ببلاد غمارة وأجاز الناصر قواده إلى المغرب وكان أول من أجاز إلى بني محمد هؤلاء سنة ثمان وثلاثين أحمد بن يعلى من طبقة القواد أجازته في العساكر ودعاهم إلى هدم تطاون فامتنعوا ثم انقادوا وشطوا وأجابوا إلى هدمها ورجع عنهم فانقضوا فسرح إليهم حمير بن صليبي المكناسي في العساكر سنة تسع وثلاثين وزحفوا إليه بوادي راوا فوقع بهم فأذعنوا بعدها وتغلب الناصر ثم تخطت عساكر الناصر إلى بسائط المغرب فأذعن له أهله وأخذ بدعوته فيه أمراء زناته في مقراوة وبني يعرب ومكناسة كما ذكرنا، فضعف أمر بني محمد واستأذنه أميرهم أبو العيش في الجهاد فأذن له وأمر ببناء القصور في كل مرحلة من الجزيرة إلى الثغر فكانت ثلاثين مرحلة فأجاز أبو العيش واستخلف على عمله أخاه الحسن كنون وتلقاه الناصر بالمرّة وأجرى له ألف دينار في كل يوم وهلك شهيداً في مواقف الجهاد سنة ثلاث وأربعين وكان أخذ معه قائدة جوهر ولما قفل من المغرب راجع الحسن الطاعة للناصر إلى أن هلك سنة خمسین واستجد الحكم عزمه في سد ثغور المغرب واحكام دعوتهم وشمر لها عزائم أموالهم من ملوك زناته فكان بينهم وبين زيري وبلكين ما ذكرناه ثم أغزى معه بلكين بن زيري المغرب سنة اثنتين وستين أولى غزواته فأثنى في زناته وأوغل في ديار المغرب وقام الحسن بن كنون بدعوة الشيعة ونقض طاعة المروانية فلما انصرف بلكين أجاز الحاكم إلى العدو مع وزيره محمد بن قاسم بن طلمس وخلف كثيراً من عسكره وأولياؤه ودخل قلبهم إلى سبته واستصرخوا بالحكم فبعث غالباً مولاه البعيد الصيت المعروف بالشهامة وأمر له بما يعينه على ذلك من الأموال والجنود وأمره باعتزال الإدارة وإجازتهم إليه وقال له سر يا غالب مسير من لا اذن له في الرجوع إلا حياً منصوراً أو ميتاً بعزوزاً واتصل خبره بالحسن بن كنون فأفرج عن مدينة البصرة واحتمل منها أمواله وحرمه وذخيرته إلى حبر النسر معقلهم القريب من سبته ونزل غالب ببعض مصمودة فاتصلت الحرب بينهم أياماً ثم بحث غالب المال في رؤساء البربر من غمارة ومن معه من الجنود وفروا

واسلموا فأنحجر بقلعة جبل النسر ونازل به غالباً وأمره الحاكم بعرب الدولة
ورجال الثغور وأجازهم مع وزيره صاحب الثغر الأعلى يحيى بن محمد بن إبراهيم
الحسنى فمن معه من أهل بيته وحشمه سنة ثلاث وستين فاجتمع مع غالب على
القلعة واشتد الحصار على الحسن وطلب من خالد الأمان فعقد له واستلم
الحصن من يده ثم عطف على من بقي من الادارسة في بلاد الريف فأعجزهم
وسيرهم مسيرة أسوة واستنزل جميع الادارسة من معاقلمهم وسار الى فاس فملكها
واستعمل محمد بن علي بن قشوس في عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعنية
الخزامى في عدوة الاندلس وانصرف غالب الى قرطبة ومعه الحسن بن كنون
وسائر ملوك الادارسة وقد مهد المغرب وحاله ومهد الشيعة وذلك سنة اربع
وستين وتلقاهم الحاكم وركب الناس للقائهم وكان يوم دخولهم الى قرطبة أجمل
أيام الدولة وعفا عن الحسن بن كنون ووفى له بالعهد وأجزل له ولرجال العطاء
والخلع والجعلان وأوسع عليهم الجراية وأسنى لهم الارزاق ورتب من حاشيتهم
في الدوان سبعمائة من انجاد المغاربة وتجنى عليه بعد ثلاث سنين بسؤاله من
الحسن قطعة عنبر عظيمة تادت عليه من بعض سواحل عمله بالمغرب أيام ملكه
فأخذ منها أريكة يرتفقها ويتوسدها فسأله حملها إليه على أن يحكمه في رخاء فأبى
عليه مع سعاية بني عمه فيه عند الخليفة وسوء خلق الحسن ، فنكبه واستقصى
ماله من قطعة العنبر وسواها واستقام المغرب وتضافر أمراؤه على مراجعة
بلكين وعقد لوزير جعفر على المغرب واسترجع يحيى بن محمد بن
هاشم وغرب الحسين بن كنون مع الادارسة جميعا الى المشرق استقلالاً لنفقاتهم وشرط
عليهم أن لا يعودوا وقصدوا البحر من المدينة سنة خمس وستين ونزلوا في جوار
العزیز معه بالقاهرة خير نزل وبالغ في الكرامة ووعد بالنصرة والمبرة ثم بعث
الحسن بن كنون الى المغرب وكتب له الى آل زيرى بن مناد بالقيروان بالمظاهرة
فلحق بالمغرب ودعا لنفسه وبعث المنصور بن أبي عامر العساكر لمدافعته فغلبوه
وقبضوا عليه واستحضره الى الاندلس فقتل في طريقه سنة ٣٣٠ كما ذكرناه
في اخبارهم وأنقرض ملك الادارسة من المغرب أجمع الى أن كان رجوع
الامر لبني حمود منهم ببلاد غارة وسبته كما تذكره

الدولة الثالثة السبئية

واليها أشار ابن خلدون في العبر بقوله الخبير عن دولة بني حمود من الادارسة ومواليهم بسببة وطنجة وتصاريف أحوالهم وأحوال غمارة من بعدهم كان الادارسة لما اجلاهم الحكم عن العدو الى المشرق وسائر بلاد المغرب واستقامت غمارة على طاعة المروانية واذعنوا لجند الاولين ورجع الحسن ابن كنون لطلب أمرهم فهلك على يد المنصور بن عامر فانقرض أمرهم واُفترق الادارسة في القبائل ولاذوا بالاختفاء الى ان خلعوا اشارة النسب واستحالت صفتهم منه الى البداوة ولحق بالاندلس في جملة البرابرة من ولد عمر ابن ادريس رجلا ن منهم وهما علي والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس فصار لهما ذكر في الشجاعة والاقدام ، ولما كانت الفتنة البربرية بالاندلس بعد انقرض الدولة الغمارية ونصب البرابرة سليمان ابن الحكم ولقبوه المستعين اختص ابنى حمود هذين فاحسنا الغناء في ولايته حتى اذا استولى على ملكه بقرطبة وعقد للمغاربة الولايات عقد لعل بن حمود هذا على طنجة واعمال غمارة فنزلها وراجع عهده معهم فيها ثم انقرض ودعا لنفسه وجاز الى الاندلس وولى الخلافة بقرطبة كما ذكرنا فعقد على عمله بطنجة لابنه يحيى ثم اجاز يحيى الى الاندلس بعد ملك ابيه على منازعا لعنه القاسم واشتغل أخوه ادريس من بعده بولاية طنجة وسائر أعمال ابيه بل بالعدوة من مواطن غمارة ثم اجاز بعد ملك أخيه يحيى بمالقة فاستدعى رجال دولتهم وعقد لحسن ابن أخيه يحيى على عملهم بسببة وطنجة وانفذ نجا الخادم معه ليكون تحت نظره واسترشاده ولما هلك ادريس واعتزم ابن بقية على الاستبداد بمالقه اجاز نجا الخادم لحسن بن يحيى من طنجة فملك مالقة ورتب أمره في خلافته ورجع الى سبته وعقد لحسن على عملهم في مواطن غمارة حتى اذا هلك حسن اجاز نجا الى الاندلس يروم الاستبداد واستخلف على العمل من وثق به من الموالى الصقبية فلم يزل على نظرهم واحدا بعد آخر الى ان استقل بسببة وطنجة من موالى بني حمود هؤلاء الحاجب سكون البرغواطى وكان عبدا للشيخ من موالىهم اشتراه من سى برغواطه في بعض ايام جهله ثم صار الى علي بن حمود فاخذت النجاة

بضبعه الى ان أُستقل بامرهم واقتعد كرسى عملهم بطنجة وسبته واطاعته قبائل غمارة
واتصلت أيامه الى ان كانت دولة المرابطين وتغلب ابن تاشفين سنة احدى وسبعين
ودعا الحاجب سكون الى مظاهرتة على مزواة بفلس ونجا الى بلاد الرملة من اخر
بسيط المغرب مما يلي بلاد غمارة ونازلهم يوسف بن تاشفين من أهل الدمنة
وأوقع بهم وافتتح حصن علودان من حصون غمارة من ورائه فانقاد المغرب
لحربه ثم صرف وجهه الى سكون فجهز اليه العساكر وعقد عليها للقائد صالح
ابن عمران من رجال المعونة فتباشرت الرعايا بمقدمهم واثالوا عليهم وبلغ
الخبر الى الحاجب سكون فاقسم ان لا يسمع أحدا من رعيته هدير طبولهم
ولحق هو بمدينة طنجة ثغر عمله وقد كان عليه من قبله ابنه منبأ الدولة المعز
وبرز للقائهم فالتقى الجمعان بظاهر طنجة وانكشفت عساكر سكون وطحنته
رحى المرابطين وسالت نفسه ضياءهم ودخلوا طنجة واستولوا عليها ولحق ضياء
الدولة بسبته ولما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس وبعث ابن عباد صريخه
الى أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين مستنجزا وعده في جهاد الطاغية والذب
عن المسلمين وكان أهل الاندلس كافة يستحثونه على الجهاد وبعث ابنه المعز سنة
ست وسبعين في عسكر المرابطين الى سبته فرمته المجاز فنازلها وأحاطت بها
أساطيل ابن عباد واقتحموها عنوة وقبض على ضياء الدولة وفير بن المعز
فطالبه بالمال بانجائه فاسا فقتله لوقته وعثر على ذخائره وفيها خاتم يحيى بن علي
ابن حمود وكتب الى أبيه بالفتح وانقرضت دولة بني حمود وانمحي آثارهم
وسلطانهم من بلاد غمارة وأقاموا في طاعته لتوقت سائر أيامهم ولما نجم المهدي
بالمغرب واستفحل أمر الموحدين بعد مهلة تنقل خليفة عبد المؤمن في بلادهم في
غزوته الكبرى لفتح المغرب سنة سبع وثلاثين وما قبلها كما قيل قبل استيلائه على
مراكش كما نذكره في أخبارهم واتبعوا أثره ونزلوا بسبته في عساكره وامتنعت
عليهم وتولى كبر امتناعها قائدها عياض الطائر الذكر رئيسهم لذلك العهد لدينه
وأبوته وعلمه ونصيحته ثم أصبحت بعد فتح مراكش سنة احدى وأربعين (ياض)
لما فشل أمر بني عبد المؤمن وذهب ريحه وكثر الشوار بالقاصية ثار
فيهم محمد بن محمد الأتامي سنة خمس وعشرين كان أبوه من قصر كتامة مقبضا
على الناس وكان ينتحل السيميا ولعله عن أبيه محمدا وكان يلقب أبا الطواجن

فارتحل الى باب سبتة ونزل على بنى سعيد وادعى صناعة الكيمياء فاتبعته
 الغوغاء ثم ادعى النبوة وشرع شرائع واطهر انواعا من الشعيرة فكثير تابعوه
 ثم اطلعوا على خبثه فنبذوا اليه عهده وزحمت اليه تساكير سبتة فقرعها
 وقتله بعض البرابرة غيلة ثم غاب بنو مرين على بساط المغرب وأدصاره
 سنة أربعين وستماية واستولوا على كرسي الامر بمراكش سنة ثمان وستين
 فامتنع قبائل غمارة من طاعتهم واستعصوا عليهم وأقادوا بمنجاة من
 الطاعة وعلى شبح من الخلاف وامتنعت سبتة من ورائهم على ملوك بنى مرين
 بسبب امتناعهم وصار أمرها الى الشورى واستبد بها الفقيه أبو القاسم القرطبي
 من مشيختها. سنده ذكر ذلك كله الى أن وقع بين قبائل غمارة ورؤسائهم فتن
 وحروب ونزعت احدى الطائفتين الى طاعة السلطان بالمغرب من بنى مرين
 فأتوها طراعية ودخل الآخرون في طاعة ملوكهم طوعا أو كرها فلما كان بنو مرين
 أمرهم واستعملوا عليهم وتخطوا الى سبتة ورائهم فملكوا من الفريقين سنة
 سبع وعشرين وسبعماية على ما نذكره بعد عند ذكر دولتهم وهم الآن على أحسن
 أحوالهم من الاعتزاز والكثرة يأتون طاعتهم وجبايتهم عند استقلال الدولة
 ويمرضون فيها عند التياها بقتل وشغب فتحضر البعوث اليهم من الحضرة حتى
 يستقيموا بوعورة جبالهم عز ومنعة وجوار لمن لحق بهم من عياض الملك
 الخوارج الى هذا العهد وذلك لاشراف جبلهم على سائرها وسمو قلاعهم الى
 مجار السحب دونها وتوعر مسالكهم بهبوب الرياح فيها وهذا الجبل مطل على
 سبتة من غريبها وصاحب أمره يوسف بن عمر ولهم فيه عزة قد اتخذوا به
 المصانع والغروس وفرض لهم السلطان بديوان سبتة العطاء واقطعهم في بسيط
 طنجة الضياع استئلافا لهم وحسبا لخلافهم والله الخالق والامر بيده ملكوت
 السموات والارض

الدولة الرابعة الاندلسية

فاعلم أن سبب ملك الادارسة لها هو أنه قام قائم على هاشم آخر ملك
 من ملوك بنى أمية بها وادعى ذلك القائم انه المهدي وصارت فتنة عظيمة ثم
 قولى سليمان بن الحكم بالاندلس على قبائل البربر الذين قطعوا الجزيرة مع موسى

ابن نصير في بداية الامر واستوطنوا البلاد وحاصروا هاشما في قرطبة ثم ارسل هاشم لصاحب سبته وأحوازها وكان فيها وتملكها على بن حمود من الارارسة فقطع اليه من سبته في جموع من البربر وأغاثته، وهر على بن حمود بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عامر بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي، فقطع البحر لاغاثته وتبعه بعض أهل الجزيرة مع قوته ونزل على سليمان وهو محاصر لهاشم في قرطبة فقبضه وقتله وقتل جموعه فادعى لنفسه على بن حمود وولى البيعة بالاندلس وكان فظا غليظا شجاعا شديد البأس وكانت له أخبار بالجزيرة ووقائع واختصرنا من حديث أخبار وقته الى أن انقضى أجله وسمته مملوكة من السقلب فأت في ثمان واربعماية وولى الامر بعده أخوه القاسم ثم نازعه على بن يحيى بن حمود وتملك قرطبة ثم قام المرتضى مع العامري اناحية شرق الاندلس وتحركوا ونزلوا على غرناطة وكثر الهرج في أخبار يطول ذكرها واختل أمر المسلمين وكان آخر الدولة المرتضى كان ممتعا في قصر البنات فرجع اليه الامر في آخر عمره وهو شيخ فبايعه أهل قرطبة وجلس على سرير الملك وبعد ذلك خلعوه وذلك في سنة عشرين واربعماية والبقاء لله الواحد القهار ولندكر شيئا من محاسن قرطبة اذ كانت عروس ملك الدولة الاموية والادريسية قال في المغرب كان في الزمن القديم في عهد سليمان عليه وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام نزل بها ليلة مع عساكره وكانت أرضها مروجا تنبع بالماء فقال لهم سليمان قرطبوها بالخجارة وانزلوا في هذه البقعة سيكون لها شأن عظيم في آخر الزمان تخرج منها كلوم كثيرة فعند ذلك سميت قرطبة والجبل الذي عليها يسمى بالتاج ويندقق منه ماء معين فسميت قرطبة عروسة الاندلس والتاج عليها وبقرها معدن الزئبق ولا يوجد في معمور الارض الا هناك وينجلب منها الى كل أرض ونذكر مسجدها الاكبر الذي بناه بنو أمية ولا استوفى بالبناء الا بعد خمس وعشرين سنة وقد بنى فيه اثنا عشر خليفة من بنى أمية زاد فيه مجلس المنتصر بالله الحاكم لذكر الله وآخر بنائه محمد بن عامر وكان عدد بلاطاته ثمانية عشر وعدد سواريه ألف سارية واربعماية وعدد ثرياته ثمانين ثريا ومصابيح الف مصباح ويسلم في الجامع أربعون ألف مصل دون الصحن والصحن قدره ثلث الجامع وفيه منبر لم ير في مشارق الارض ومغارها مثله وله تسعة أدرج ونفق فيه من الاموال ثمانية عشر

ألف دينار دون الحديد والعاج والصندل والبقام والرنج واليابنون وغير ذلك
ومساميره مفضضة ومذهبة وعدد الفقهاء وأهل الكراسي والأشياخ والمؤذنين
والمدرسين ما ينيف على المائة والعشرين رجلا ومن أراد أن يطلع على حقيقة
هذا المسجد وعلى ما يوجد فيه من الزيت وماله من الإحباس ومن الأرض للحرث
وما ذا يكفيه من الحصور وكيف هي الصومعة وعمودها وماله من الدرج
من جهة أبواب القبلة وكيف هو المجلس وما فيه من الذهب والفضة والعاج
والزجاج والمدارق فليطلب حقيقة أمر هذا المسجد في كتاب الجغرافية وتري
لقرطبة أخبارا يبكي عليها كل مسلم

الدولة الخامسة المهدية

واليها أشار ابن خلدون في العبر بقوله الخبر عن مبدأ أمر المهدي وما كان
للموحدين القائمين بها على يدى بنى عبد المؤمن من السلطان والدولة بالعدوتين
وأفريقية وبداية ذلك وتصاريفه لم يزل أمر هؤلاء المصامدة بجبال وزن عظمها
وجماعتهم موفورة وبأسهم قويا وفي أخبار الفتح من حروبهم مع عقبة بن نافع
وموسى بن نصير حتى استقاموا على الإسلام ما هو معروف مذكور إلى أن
ظلتهم دولة لمنونة فكان أمرهم فيه مستعجلا وشأنهم على أهل السلطان والدولة
مهما حتى لقد اختطوا مدينة مراکش. وقد نجم في تلك الدولة على عهد
على بن يوسف إمامهم العالم الشهير محمد بن تومرت صاحب دولة
الموحدين المشتهر بالمهدي أصله من هرعة من بطون المصامدة الذين عدناهم
يسمى أبوه عبد الله وتومرت وكان يلقب في صغره أيضا أمغار وزعم كثير من
المؤرخين أن نسبه في أهل البيت وأنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن
خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن عمرو بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن ولد
سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبي طالب أخى إدريس الأكبر الواقع
نسب الكثير منهم في المصامدة وأهل الواس فكذا ذكر ابن خلدون في سلبان هذا وأنه
الحق بالمغرب ابن أخيه إدريس ونزل تلمسان وافترق ولده في المغرب قال فبن ولده
كل طائفي بالسوس وقيل بل هو من قرابة إدريس اللاحقين به إلى المغرب وأن رباحا الذى

في عمود هذا النسب انما هو ابن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن. وعلى الامر من
فان نسبة الطالب وقع في هرعة من قبائل المصامدة ورسخت عروقه فيهم والتحم
بعصيتهم فلبس جللتهم وانتسب بنسبتهم وصار في عددهم وكان اهل بيته اهل
نسك ورباح وشب محمد هذا محبا للعلم وكان يسمى اسافو ومعناه الضياء
لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد للملازمتها وارتحل في طلب العلم الى
المشرق على رأس المائة الخامسة ومر بالاندلس ودخل قرطبة وهي اذ ذاك
دار علم ثم أجاز الى الاسكندرية وحج ودخل العراق ولقي جملة من العلماء يومئذ
من فحول النظائر وأفاد علما نافعا وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده
لما كان الكهان يتحينونه من ظهور دولة يومئذ بالمغرب ولقي فيما زعموا أبا
حامد الغزالي وفاوضه بذات صدره بذلك فأزاده عليه لما كان فيه الاسلام يومئذ
بأقطار الارض من اختلال الدولة وتقويض أركان السلطان الجامع للامة
المقيم لليلة بعد ان سأله عن له من العصابة والقبائل التي يكون بها الاعتزاز
والمنعة ونشأ بها أمر الله في درك هذه البقعة وظهور الدعوة وانطوى هذا الامام
راجعا الى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين وكان قد لقي
بالمشرق أئمة الاشعرية من اهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار
للعقائد الفلسفية والذب عنها بالحجج العقلية الدامغة في صدر اهل البدعة وذهب
الى رأيهم في تأويل المتشابه من الاي والاحاديث بعد أنه كان اهل المغرب
بمعزل عن اتباعهم في التأويل والاخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل
واقرار المتشابهات كما جاءت فمنع اهل المغرب من ذلك وحملهم على القول بالتأويل
والاخذ بمذاهب الاشعرية في كافة العقائد وأعلن بأمامتهم ووجوه تقليدهم والف
العقائد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد وكان من رأيه القول بعصمة الامام على
رأي الامامية من الشيعة وألف في ذلك كتابه في الامامة الذي افتتحه بقوله أعز ما
يطلب وصار هذا المفتتح لقبا على ذلك الكتاب وأحل بطرابلس أول بلاد المغرب
نصا بمذهبه ذلك مظهر التكبر على علماء المغرب في عدوهم عنه وأخذ نفسه
بتدريس العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع حتى لقي بسبب
ذلك أذيات في نفسه احتسبها من صالح عمله ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز
ابن المنصور بن الناصر بن عثاس بن حماد من أمراء صنهاجة وكان من المقترفين

فاغلق له الاشاعة في النكير وتعرض يوما لتغيير بعض المنكرات في الطرق
فرقت بسببها هبة أنكرها السلطان والخاصة واثمروا به فخرج منها خائفا
ولحق بملاة على فرسخ منها وبها يومئذ بنو ورتلكل من قبائل صنهاجة وكان
لهم اعتزاز ومنعة فأووه واجاروه وطلبهم السلطان صاحب بجاية بإسلامهم
إليه فأبوا وسخطوه وأقام بينهم يدرس العلم أياما وكان يجلس اذا فرغ
على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملاة وهي لهذا العهد
معروفة وهناك لقيه كبير صحابته عبد المؤمن بن علي حاجا مع عمر
فأعجب بعمله وانتهى عزمه عن وجه ذلك واختص به وشمر للأخذ عنه
وارتحل المهدى إلى المغرب وهو في جملة أصحابه فبلغ تلمسان وقد تسامع الناس
بخبره فأحضره القاضي بها ابن صاحب الصلاة ووبخه على منتحله ذلك وخلافه
لأهل قطره وظن أن من العدل نزعه عن ذلك فصم عن قبوله واستمر على طريقه
إلى فاس ثم إلى مكناسة ونهى بها عن بعض المناكير فأوقع به الشر من الغوغاء
فأوجعوه ضربا ولحق بمراكش وأقام بها آخذا في شأنه ولقي علي بن يوسف
بالمسجد الجامع في صلاة الجمعة فوعظه واغلق له القول ولقي ذات يوم الصورة
أخت علي بن يوسف حاضرة قناعها على عادة قومها الملتزمين في ذي نسائهم
فوبخها ودخلت على أخيها بأكية لما نالها من تقيعه ففاوض الفقهاء في شأنه
مما وصل إليه من شهرته وكانوا ملثوا منه حسدا وحفيظة لما كان ينتحل مذهب
الاشعرية في تأويل المتشابه وينكر عليهم جهودهم على مذهب السلف على
اقراره كما جاء ويرى أن الجمهور لقنوه تجسسا ويذهب إلى تكفيرهم وهو أحد
قولي الاشعرية في التكفير بالرأي فأغروا الأمير به واحضروه للمناظرة معهم
فكان له الفتح والظهور عليهم وخرج من مجلسه وانذر بالشر منهم فلحق من
يوم باغلمات وغير المناكير على عادته وأغرى به أهلها علي بن يوسف وطبخوا
إليه بخبره فخرج منها هو وتلاميذه الذين كانوا في صحابته ودعا اسماعيل بن
ابكك من أصحابه وخرج به إلى صناعات من جبال المصامدة لحق أولا بشيخه
ثم بهشاشة ولقب من أشياخهم عمر بن يحيى بن محمد وأنود بن علي وهو أبو حفص
ويعرف بيته في هشاشة بيت فاصكات يقول نسابتهم أن فاصكات موجد وأنود بن

المشاة بلسانهم ينتهي فلذلك كان يعرف عمر وسياتي الكلام على تحقيق نسبة
عند ذكر دولتهم ثم رحل المهدي عنهم الى أبكبلن من بلاد هرعة فنزل على
قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة وبني رباطا للعبادة واجتمعت اليه
الطلبة والقبائل فعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري وشاع أمره في صحبه
واستدرك العلم والفقه بمجلس الامير علي بن يوسف وهو مالك بن وهيب
فاغراه به وكان حزاء ينظر في النجوم وكان الكهان يتحدثون بأن ملكا ياتي
بالمغرب لانه من المغرب ويتغير فيه شكل السمكة لقران بين الكوكبين
الطويين والسيارة يقتضي ذلك في احكامهم وكان الامير يتوقعها فقال احتفظوا
بالدولة من هذا الرجل فانه صاحب القران والدرهم المربع في كلام سفساق
بمسجع سوقي يتناقل الناس نصه وهو أجعل على رجله كيلا لثلا يسعه طبلا
وأظنه صاحب الدرهم المربع فطلبه علي بن يوسف ففقده وسرح الخيالة في طلبه
فقاتلهم ودخل عامل السوس وهو أبو محمد للمتوني بعض سرعة في قتله ونذر بهم
اخوانهم فنقلوا إلى معقل اشياهم وقتلوا من داخل في أمرهم ودعوا
المصامدة الى بيعته على التوحيد وقتال المسلمين دونه سنة خمس عشرة وخمسمائة
فتقدم اليها رجالا منهم من العشيرة وغيرهم وكان فيهم من هشاشة أبو حفص عمر
ابن يحيى وأبو يحيى بن يكتب ويونس بن واندن وأبي يعمر ومن تملل أبو
حفص عمر بن علي أصناك ومحمد بن سليمان وعمر بن تافراكين وعبد الله بن
ملويان وأوهب قبيلة هرعة فدخلوا في أمره كلهم ثم دخل معهم كيدموية
وكنفيسة ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الامام وكان يسمى
أصحابه الطلبة أهل دعوته الموحدين ولما تم له خمسون من أصحابه سماهم آية
الحسين فزحف اليهم عامل السوس أبو بكر بن محمد للمتوني مكانهم من هرعة
فاستجاشوا باخوانهم من هشاشة فاجتمعوا اليهم وأوقعوا بعسكر لمتونة
فكانت هزيمة الفتح وكان الامام يعدم بذلك فاستبصروا في أمره وتسابقوا فقتلهم
الى الدخول في دعوته وترددت عساكر لمتونة اليه مرة بعد أخرى ففضوهم
وانتقل لثلاث سنين من بيعته الى جبل تملل فاوطنه وبنا داره ومسجده
بينهم وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا فقاتل
أولاد هزواجه وأوقع بهم مرارا وأجابوا بالطاعة ثم قاتل هسكورة ومعهم

أبولوقه للمتوفى فغلبهم وقفل فاتبعه بنو يزكيت فافزع بهم الموحدون وأثنخوا بهم قتلا وأسرا ثم غزا بلد عجرامة وكان قد افتتحه وترك فيه الشيخ أبا محمد عطية من أصحابه فغدروا به وقتلوه فغزاهم واستباحهم ورجع الى تململ وأقام بها الى أن كان شأن الشير وميز الموحد من المنافق وكانوا يسمون لمتونه الحشم فاعتزم على غزوهم وجمع كافة أهل دعوته من المصامدة وزحف اليهم فلقوه بسلكب وهزمهم الموحدون واتبعوه الى أغمات وهناك زحوف لمتونة مع بكر بن علي بن يوسف وابراهيم بن علي بانمات فهزمهم الموحدون وقتل ابراهيم واتبعوه الى مراكش فنزلوا البحيرة في زهاء أربعين الفا كلهم رجال الا أربع مائة فارس واحتفل على ابن يوسف الاحشاد وبرز اليهم الاربعين من نزولهم وخرج عليهم من باب ابلق فهزمهم وأثنخ فيهم قتلا وسبيا وفقد العشير من أصحابه واستمر القتال في هيلانة وأبلى عبد المؤمن في ذلك اليوم البلاء وكانت وفاة المهدي لاربعة أشهر بعدها وكان يسمى أصحابه بالموحدين تعريضا لمتونه في أخذهم بالعدول عن التأويل وحبهم الى التجسم وكان حصورا لا يأتي النساء وكان يلبس العباءة المرقعة وله قدم في التقشف والعبادة ولم يحفظ عنه فلة في البدعة الا ما كان من وفاقية الامامية من الشيعة في القول بالامام المعصوم اه ما في العبر وقال ابن خلد كان في وفيات الاعيان مانصه هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدي صاحب دعوة بني عبد المؤمن بن علي بالمغرب تقدم في ترجمة عبد المؤمن طرف من خبره وكان ينسب الى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من جبل السوس من أقصى بلاد المغرب ونشأ بها ثم رحل الى المشرق في شببته طالبا للعلم فأتته الى العراق واجتمع بأبي حامد الغزالي والسكيا المراسي والطراطوشي وغيرهم وحج وأقام بمكة مدة مديدة وحصل طرفا صالحا من علوم الشريعة والحديث النبوي وأصل الفقه والدين وكان ورعا ناسكا متقشفا مخلوقا كثير الاطراب بساما في وجوه الناس مقبلا على البادة لا يصحب من متاع الدنيا الا عصا وركوة وكان شجاعا فصيحاً في اللسان العربي والمغربي شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع في أمر الله بغير اظهره وكان مطبوعاً على الاشتداد بذلك متحملاً للأذى من الناس بسببه وناله بمكة شيء من المكروه لأبطل ذلك فخرج منها الى مصر

وبالغ في الانكار فزاد في إبهائه وطردته الدولة وكان إذا خاف من البطش وإيقاع القتل به خلط في كلامه فينسب إلى الجنون فخرج من مصر إلى الاسكندرية وركب البحر متوجهاً إلى بلاده وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد الشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين فلما ركب في السفينة شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة وألزمهم بأقامة الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن ولم يزل على ذلك حتى انتهى إلى المهديّة إحدى مدائن إفريقية وكان ملكها يومئذ الأمير يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي وذلك سنة خمس وخمسمائة هكذا وجدته في تاريخ القيروان ولما تقدم في ترجمة الأمير تميم والد يحيى المذكور أن محمداً المذكور جاز في أيام ولايته بإفريقية عند عوده من المشرق وكنت وجدته أيضاً والله أعلم بالصواب ولم يدخل المشرق من حين يحمل ذلك على دفعتين فإن كان عدوه في سنة خمس كما ذكرناه فهو في ولاية الأمير يحيى لأن الأمير تميم توفي في سنة إحدى وخمسمائة كما تقدم في ترجمته وإنما نهت عليه لثلاث يتوهم الواقف عليه أنه فأتى ذلك وهو متناقض فرأيت في تاريخ الأكرين الغبلى (?) وزير حلب وهو مرتب على السنين ماضوته في هذه السنة وكان في آخر سنة إحدى عشرة وخمس مائة خرج محمد بن تومرت من مصر بعد الطلب بها وبغيرها ووصل إلى بجاية والله أعلم بالصواب. وها وصل إلى المهديّة نزل في مسجد معلق وهو على الطريق ونزل في طارق شارع إلى المحجة ينظر إلى المارة فلا يرى منكراً من الملاحى وأوانى الخمر إلا نزل إليها وكسرها فتسامع الناس به في البلاد فجاءوا إليه وقرأوا عليه كتاباً من أصول الدين وبلغ خبره الأمير يحيى فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء فقال له أصلحك الله لرعيك وإم يقيم بعد ذلك بالمهديّة إلا أياماً يسيرة ثم انتقل إلى بجاية فأقام بها مدة وهو على حاله بالانكار فأخرج منها إلى بعض قراها واشمها سلا فوجد بها عبد المؤمن بن علي القيسي المقدم ذكره ورأيت في كتاب المغرب في سيرة ملوك المغرب أن محمداً بن تومرت كان قد اطلع على كتاب علوم تسمى الجسر وأنه رأى فيه صفة رجل يظن بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس وهو من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى إلى الله يكون مقامه ودينته بموضع من المغرب يسمى باسم

هجاء حروفه تى زمل ورأى فيه أيضاً أن استقامة ذلك الأمر واستيلاءه
وتمكنه يكون على يد رجل من اصحابه هجاء اسمه عبد مومنان وبجاء وقته المائة
الخامسة للهجرة فأوقع الله في نفسه أنه القائم بأول الأمر وأن أوانه قد أوفى
بما كان محمد يمر بموضع الا سأل عنه ولا رأى أحداً الا أخذ اسمه وتفقد
حليته وكانت حليته عبد المؤمن معه فيينا هو في الطريق رأى شاباً
قد بلغ أشده على الصفة التي معه فقال له محمد بن تومرت وقد تجاوزته
فا اسمك فقال عبد المؤمن فرجع اليه وقال الله أكبر انت بعيتي فنظر في حليته
فوافقت ما عنده فقال له من اين أنت فقال له من كومية فقال أين مقصودك قال الشرق
فقال ما تبغى قال أطلب علماً وشرفاً قال وجدت علماً وشرفاً وذكرنا اصحبني تنله فوافقه
على ذلك فالتقى اليه بحملة أمره وأودعه سره وكان محمد بن تومرت قد صحب
رجلاً يسمى عبد الله الوشرى فقاوضه فيما عزم عليه من القيام فوافقه على
ذلك ثم موافقة وكان الوشرى ممن تهذب وقرأ على الفقهاء وكان جميلاً فصيحاً
في لغة الغرب وأهل المغرب فتحدثا يوماً في كيفية الوصول الى الامر المطلوب
فقال محمد بن تومرت لعبد الله أن تسر ما أنت عليه من العلم والفصاحة عن
الناس وتظهر الدجى واللكن والحصر والبعد عن الفضائل مما تشتهر به عند الناس
لتتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك
مقام المعجزة عند حاجتنا اليه فنصدق بما تقوله ففعل عبد الله ذلك ثم إن
محمداً تخلص من أهل المغرب أجلاً في القرى السمانية اغماراً وكان أميل الى
الاغمار من أولى الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة سوى عبد الله ثم إنه
دخل الى أقصى المغرب واجتمع بعبد المؤمن بعد ذلك وتوجهوا الى مراکش
وملكها يومئذ ابو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين وقد سبق ذكر والده
في ترجمة والد المعتمد بن عباد وكان ملكاً عظيماً حليماً ورعاً عادلاً متواضعاً وكان
يحضرته رجل يقال له ملك بن وهب الاندلسي فشرع ابن تومرت في الانكار
على جرى عادته حتى أنكر على ابيه الملك وله في ذلك قصة يطول شرحها فبلغ
خبره الملك وأنه يحدث في تغيير الدولة فتحدث مالك بن وهب وقال بخاف
من باب يعسر علينا سده والرأى أن نحضر هذا الشخص واصحابه لنسمع
كلامهم بحضور جماعة من علماء الادب فاجاب الملك الى ذلك وكان ابن تومرت

وأصحابه مقيمين بمسجد خراب خارج البلد فطلبهم فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده سلوا هذا الرجل ما يبتغى منا فانتدب اليه قاضي المدينة واسمه محمد بن أسود فقال ما هذا الذي يذكر عنك من الأقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد إلى الحق المؤثر طاعة الله على هواه فقال له ابن تومرت أما ما نقل عنى فقد قلته ولى من ورائه أقوال وأما قولك انه يؤثر طاعة الله على هواه وينقاد إلى الحق فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه ليعلم بتعبر (كذا) يدعى هذه الصفة أنه مغرور بما يقولون له وتضررونه به مع علمكم أن الحجة عليه متوجهة فهل بلغك يا قاضي أن الخمر تباع جهارا ويمشى الخنازير بين المسلمين وتؤخذ أموال اليتامى وعدد من ذلك شيئا كثيرا فلما سمع الملك ذلك ذرفت عيناه واطرق حياء ففهم الحاضرون من مجرى كلامه أنه طامع في المملكة ولما راوا سكوت الملك وانخداعه لكلامه لم يتكلم أحد منهم فقال مالك بن وهب وكان كثير الاجترار على الملك إن عندى لنصيحة إن فعلتها حمدت عاقبتها فقال الملك وماهى قال إني خائف عليك من هذا الرجل وأرى أن تعتقله وأصحابه ويتفق عليه كل يوم ديناراً لتكفى شره وإن لم تفعل لينفقن عليك خزائنك ثم لا ينفعك ذلك فوافقهم الملك على ذلك فقال له وزيره يقبح عليك أن تبكى من موعظة هذا الرجل ثم تسىء اليه في مجلس واحد وأن يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه فلما سمع الملك كلامه اخذته عزة النفس واستهون أمره وصرفه وسأله الدعاء. وحكى صاحب المغرب في أخبار أهل المغرب أنه لما خرج من عند الملك لم يزل وجهه تلقاء وجهه إلى أن فارقه فقبل له نراك قد تأدبت مع الملك إذا لم توله ظهرك فقال إني لا يفارق وجهى الباطل حتى اغيره اه كلامه فلما خرج ابن تومرت وأصحابه من عند الملك قال لهم لا مقام لنا معكم كش مع وجود مالك بن وهب فما نأمن أن يعاود الملك في أمرنا فينالنا منه مكروه وإن لنا بمدينة اغمات أخا في الله فنقصد المرور به فلا نعدم منه رأيا ودعاء صالحا واسم هذا الشخص عبد الحق بن إبراهيم وهو من فقهاء المصائدة فخرجوا إليه ونزلوا عليه وأخبره ابن تومرت خبرهم وأطلعوه على مقصدهم وما جرى لهم مع الملك فقال عبد الحق هذا الموضع لا يحميكم وإن احصن المواضع المجاورة لهذا البلد فينمل وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل فأنقطعوا فيه

برهة ريثما يتناسى ذكركم فلما سمع ابن تومرت هذا الاسم تجدد له ذكر اسم
الموضع الذي رآه في كتاب الجفر فقصدته مع اصحابه ولما أتوه رأهم أهله على
تلك الصورة فعلموا انهم من طلاب العلم فقاموا إليهم وأكرمواهم وتلقوهم
بالترحاب وانزلوهم في أكرم منازلهم وسأل الملك عنهم بعد خروجهم فقبل
له إنهم سافروا فسرهم ذلك وقال تخلصنا من الأثم بحبسهم ثم ان أهل الجبل
تسامعوا بوصول ابن تومرت إليهم وكان قد سار فيهم ذلك فجاءوا من كل
فج عميق وتبركوا بزيارته وكان كل من استداناه عرض عليه ما في
نفسه من الخروج على الملك فان أجابه أضافه الى خواصه وان خالفه
أعرض عنه وكان يستميل الاحداث وذوى الغرة وكان ذوو الحكم والعقل
من اهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك
فانه لا يتم له مع ذلك حال وطالت المدة وخاف ابن تومرت من مفاجأة الاجل
قبل بلوغ الامل وخاف أن يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم
الى تسليمه اليه والتخلي عنه فشرع في إعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا
على الملك بسببه فرأى بعض أولاد القوم شقرا زرقا والوان آبائهم السمرة
والكحل فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فالزمهم بالاجابة فقالوا نحن من رعية
هذا الملك وله علينا خراج في كل سنة يصعد مالكة اليه ينزلون بيوتنا
ويخرجوننا عنها ويختلون بمن فيها من النساء فتأتى الاولاد على هذه الصفة
ومالنا قدرة على دفع ذلك عنا فقال ابن تومرت والله ان الموت خير من هذه
الحياة وكيف رضىتم وأنتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعنهم بالحرية فقالوا بالرغم
لا بالرضا فقال أرايتم لو أن ناصرا نصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون قالوا
كنا نقدم أنفسنا بين يديه للموت قالوا من هو قال ضيفكم يعنى نفسه فأخذ عليهم
العهود والمواثيق واطمأن قلبه ثم قال لهم استعدوا لحضور هؤلاء بالسلح فاذا
جاؤوكم فأجروهم على عاداتهم وخلوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمر فاذا
سكروا فأتوني بهم فلما حضر المالكة وفعل بهم أهل الجبل ما شاء به ابن تومرت
وكان ليلا فأعلموه فأمر بقتلهم بأسرهم فلم ينهض من الليل سوى ساعة حتى أتوا
على آخرهم فلم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له فسمع
التكبير عليهم والوقوع بهم فهرب من غير الطريق حتى خلص من الجبل ولحق

بمراكش وأخبر الملك بما جرى فقدم على فوات ابن تومرت من يده وعلم أن الحزم كان مع مالك بن وهيب فيما أشار به فجهز من وقته خيلاً بمقدار ما يسمع وادى تينمل فإنه ضيق المسلك وعلم ابن تومرت أن لا بد من عسكر يصل اليهم فأمر أهل الجبل بالعودة على أنقاب الهادي ومراصده واستنجد لهم بعض المجاورين فلما وصلت الخيل اليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي مثل المطر وكان ذلك من أول النهار إلى آخره وحال بينهم الليل فرجع العسكر إلى الملك وأخبروه بما تم لهم فعلم أن لا طاقة لهم بأهل الجبل. وعند ذلك استدعى الونشريشي وقال هذا أو أن إظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعجزة لتستميل قلوب من ليس يدخل تحت الطاعة ثم اتفقا على أنه يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العجمة واللكنة تلك المدة التي رأيت البارحة في منامي أنه قد نزل ملكان من السماء وشقا فؤادي وغسلاه وحشياه علماً وحكمة وقرأنا فلما أصبح فعل ذلك وهو فصل يطول شرحه وانقاد له صعب القياد وعجبوا من حاله وحفظه القرآن في النوم فقال له ابن تومرت عجل لنا البشري في أنفسنا وعرفنا أسعداء أم أشقياء فقال له أما أنت فأنك المهدي القائم بأمر الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ثم قال اعرض على أصحابك حتى أميز لهم أهل الجنة من أهل النار وعمل في ذلك حيلة قتل بها من خالف ابن تومرت وأبقى من أطاعه وشرح ذلك بطول وكان غرضه أن لا يبقى في الجبل مخالف لابن تومرت فلما قتل من قتل علم ابن تومرت أن في الباقيين من له أهل واقارب قتلوا فرأى أن يطيب قلوبهم فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك مراكش اليهم واغتنام أموالهم فسرهم ذلك وسلاهم عن أهلهم وبالجملة فإن تفصيل هذه الواقعة طویل ولنا بصدد ذلك وخلاصة الأمر أن ابن تومرت لم يزل حتى جهز جيشاً عدد رجاله ما بين عشرة آلاف فارس ورجل وفيهم عبدالمؤمن والونشريشي وأصحابه كلهم واقام هو بالجبل فنزل القوم لحصار مراكش واقاموا عليها شهراً ولسروا كسرة شنيعة وهرب من سلم من القتل وكان فيهم سالماً عبدالمؤمن رقت الونشريشي وبلغ ابن تومرت الخبر وهو بالجبل وحضرته الوفاة قبل عود أصحابه إليه فأوحى من حضر أن يبلغ الغائبين أن النصر لهم وأن العاقبة حميدة فلا يضجروا وليتعاودوا القتال وإن الله تعالى سيفتح على أيديهم والحرب

سجال وأنكم ستقوون وتعلون وتكثرون وأنتم في مبدأ أمركم وفي آخره ومثل هذه الوصايا وأشباهاها وهي قصة طويلة ثم انه توفي الى رحمة الله تعالى في سنة أربع وعشرين وخمسائة ودفن في الجبل وقبره مشهور يزار وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين واربعمائة وأول ظهوره ودعائه الى هذا الامر في سنة أربع عشرة وخمسائة قال صاحب كتاب المغرب في اخبار أهل المغرب في حقه

آثاره تنبيك عن اخباره • حتى كأنك بالعيان تراه
له قدم في الثرى وهمة في الثريا ونفس ترى اراقة ماء الحياة دون ماء الحيا
اغفل المرابطون حاه وربطه حتى دب ديب الفلق في الغسق وترك في الدنيا
دويا وأنشأ دولة لو شاهدها أبو مسلم لكان ليعتريه فيها غير مسلم وكان قوته
من غزل اخت كل يوم رغيفا بقليل سمن أو زيت ولم يشغل عن هذا حين
كثرت عليه الدنيا ورأى اصحابه يوما قد مالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه
فامر بذلك جميعه واحرقه وقال من كان يبتغي الدنيا فماله عندي الا مارأى ومن
تبعنى على الآخرة فجزاؤه على الله تعالى وكان على نخول زيه وبسطة وجهه مهيبا
سبح الحجاب الا عند مظلمة وله رجل مختص بخدمته والاذن عليه وكان له
شعر فمن ذلك قوله

اخذت باعضادهم اذناؤا • وخلفه القوم اذ ودعوا
فكم انت تنهى ولا تنتهى • وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر الشحذ حتى متى • تسن الحديد ولا تقطع
وكان كثيرا ما ينشد

تجرد من الدنيا فانك انما • خرجت الى الدنيا وانت مجرد
وكان يتمثل أيضا بقول أبي الطيب المتنبي
ومن عرف الايام مجرقتي بها • وبالناس رد ربحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به • ولا في الردى الجارى عليهم بأثم

وبقوله

اذا غامرت في شرف مروم • فلا تقنع بما دون النهرم
فطعم الموت في أمر حقير • كطعم الموت في أمر عظيم

وبقوله

وما انا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
ولم يفتح شيئا من البلاد وانما قدر القواعد ومهدا ورتبها ووحدها
وكانت الفتوحات على يد عبد المؤمن كما تقدم ذكره في ترجمته والهرغى بفتح
الهاء والراء وبعدها غين معجمة هذه النسبة الى هرغة وهي قبيلة كبيرة من
المصامدة في جبل السوس في أقصى المغرب تنسب الى الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهما يقال انها نزلت في ذلك المكان عند ما فتحت المسلمون البلاد
على يد موسى بن نصير الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وتومرت بضم التاء المثناة من
فوق وسكون الواو وفتح الميم وبعدها تاء مثناة من فوق وهي اسم بربري
والونشريشي بفتح الواو وسكون النون وفتح الشين المعجمة وكسر الراء
وسكون الياء المثناة من تحت وبعدها شين معجمة هذه النسبة الى ونشريش
وهي بليدة بافريقية من اعمال بجاية اه ما ذكره ابن خلد كان ثم اعلم أنه لما
كان عبد المؤمن بن علي هو عضد دولة المهدي وقيم امره وولي عهده في حياته
وبعد موته ناسب ان تذكر ترجمته بأثره وبيان ما انتهى اليه امره ما كان في نفس
استاذة بما عمده عليه فاقول هو ابو محمد بن عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي
الذي قام بأمره محمد بن تومرت المعروف بالمهدي كان والده وسطا في قومه
وكان صانعا في عمل الطين يعمل منه الآنية فيبيعها وكان عاقلا من الرجال وقورا
ويحكى أن عبد المؤمن في صباه كان نائما وابوه مشغل بعمله في الطين
فسمع ابوه دويأ من السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل فذهوت
مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعة على عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم
يظهر من تحتها ولا استيقظ فرأته أمه على تلك الحال فصاحت خوفا
على ولدها فسكتها أبوه فقالت أخاف عليه فقال لا بأس عليه بل اني متعجب بما
يدل عليه ذلك ثم غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينظر ما يكون من
أمر النحل فطار عنه بأجمعه فاستيقظ الصبي ومابه من ألم فتفقدت أمه جسده
فلم تر به أثرا ولم يشك اليها ألما وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر
ففضى أبوه اليه فأخبره بما رآه بالنحل مع ولده فقال الزاجر لا يوشك أن يكون له
شأن يجتمع على طاعته أهل المغرب فكان من أمره ما اشتهر ورايت في

بعض توارىخ أهل المغرب ان ابن تومرت كان قد ظفر بكتاب يقال له الجفر وفيه ما يكون على يده وقصة عبد المؤمن وحليته واسمه وان ابن تومرت أقام مدة يطلبه حتى وجده وصحبه وهو اذ ذاك غلام وكان يكرمه ويقدمه على أصحابه وأفضى اليه بسرّه وانتهى به الى مرا كش وصاحبها يومئذ أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ملك المثلثين وجرى له معه فصول يطول ذكرها وأخرجه منها فتوجه الى الجبال وحشد اثقات المصامدة وبالجملة فانه لم يملك شيئاً من البلاد بل عبد المؤمن ملك بعد وفاته بالجيوش التي جهزها ابن تومرت والترتيب الذي رتبّه وكان أبداً يشعر فيه التجلّة وينشد اذا أبصره

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها فكلنا بك مسرور ومفتبط
السن ضاحكة والكف مانحة والنفس واسعة والوجه منبسط
وكان يقول لأصحابه صاحبكم هذا غلاب الدول ولم يصح عنه أنه استخلف به بل راعى أصحابه في تقديمه ما اشار به فتم له الامر وكمل وأول ما أخذ من البلاد وهران ثم تلمسان ثم فاس ثم سلا ثم سبتة ثم انتقل بعد ذلك الى مرا كش وحاصرها أحد عشر شهراً ثم ملكها وكان أخذه لها في أوائل سنة اثنين وأربعين وخمسمائة واستوسق له الامر فامتد ملكه الى المغرب الاقصى والادنى وبلاد افريقية وكثير من بلاد الاندلس وتسمى أمير المؤمنين وقصدته الشعراء وامتدحته بأحسن المدائح وذكّر العباد الاصبهانى في كتاب الخريدة أن الفقيه أباعبد الله محمد أبى العباس السمانى لما أنشده

ما هن عطفه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي
اشار اليه بأن يقتصر على هذا البيت وأمر له بألف دينار ولما تمهدت له القواعد وانتهت أيامه خرج من مرا كش الى مدينة سلا فأصابه بها مرض شديد وتوفى في العشر الاخير من جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكانت مدة ولايته ثلاثاً وثلاثين سنة واشهرأ وكان عند موته شيخاً نقى البياض ونقلنا من تاريخ فهد سيرته وحليته فقال مؤلفه رأيت شيخاً معتدل القامة عظيم الهامة أشهل العينين كث اللحية شتى الكعبين لمويل القعدة واضح بياض الاسنان في فخذه الأيمن خال رحمه الله تعالى والكومى بضم الكاف وسكون الواو بعدها ميم هذه النسبة الى كومة وهى قبيلة صغيرة نازلة بساحل

البحر من أعمال تلمسان ومولده بقرية هناك يقال لها باجرة .
وقد علم أن مشاهير ملوكهم ثلاثة كل منهم اسم عبد القوى اثنان شريفان
أحدهما حسيني موسوي والثاني حسني ادريسي زياتي والثالث راشدي توجاني
فأما الحسيني الموسوي فهو عبد القوى بن عبد الرحمن بن ادريس بن موسى بن
اسماعيل بن موسى الكاظم رضى الله عنه المتوفى في حدود الثلاثمائة أو ما في
حكمها . وأما الحسيني الادريسي الزياتي فهو عبد القوى بن محمد بن عبد الرحمن بن
يوسف بن زيان القصبي التالوتي الخ المتوفى في حدود التسعمائة أو ما يقرب
منها وأما التوجاني المتوفى في حدود سبعة واربعين وستمائة فلنفرد كل واحد من
الثلاثة بفصل مخصوص مقدماً الشريفين ومؤخراً الراشدي التوجاني لكونه
لم يكن له ملك حقيقى على تلك المدينة المذكورة وإنما كانت ولايته محاربة كما
سيأتى في فصله .

الفصل الاول

في ذكر الشريف عبد القوى الحسيني الموسوي
فاعلم أن الشريف عبد القوى هذا وهذه المدينة كانت لأسلافه قبله وبها
قبورهم وآثارهم فانه كان أبوه الشريف عبد الرحمن بها ملكاً وبعد وفاته ولى
بها ولده المذكور وأقام مدة مديدة وسنين عديدة وكانت سيرته حميدة كسيرة
والده وجدته قبله و كان فقيهاً متبحراً في جميع العلوم فارساً شديداً بالبأس لا يقاومه
أحد في الحروب مع شدة فيض كرمه وحسن شيمته سريع الغضب قريب
الرضى فانه لما مات والده الشريف عبد الرحمن المذكور خلف أربعة أولاد
احمد وعبد القوى ومحمد الشراط وزيان . فأما احمد فأولاده بمكة . وأما محمد
الشراط فأقام في مدينة تاهرت . وأما زيان فأقام في مدينة تيارت . وأما الشريف
عبد القوى فأقام في الملك بعد موت أبيه بقطرتا قدمت كما مر ومن هؤلاء
الاربعة تناسل الشرف الحسيني في تلك النواحي من بعض نواحي الصحراء
والسواحل والريف وتلمسان وتونس وغيرها فان مولاي عبد القوى لما مات
ترك سبعة أو ثمانية أولاد محمد الكبير وعلي راحم وعبد السلام وعبد الرزاق
وزيان ومحمد الثاني وعبد القوى الصغير وهم صرحة واحدة ثم إن أولاد مولاي
عبد القوى المذكورين تفرقوا . فأما السيد محمد الكبير فأقام في الملك بعد موت

أبيه ومنه انقطع ملك بني مولاي عبد الرحمن بن ادريس بتاقدمت وهو ولي سنة ٦٩٨ وتوفي سنة ٧٢١ وأما علي فقد انتقل بازاء شلق وأما احمد وزيان فقد انتقلا بازاء تونس وأما محمد الثاني وعبد السلام وعبد الرزاق فقد انتقلوا الى مدينة فاس فشاع خبرهم بها حتى سمع بهم أميرها موسى بن أبي العافية البربري فبعث اليهم قائداً من قواده فقبض محمداً الثاني وقتله بالغدر والخديعة وقد خلف ولداً ابن عشرين يوماً فخرجت به جارية له في كمها ؛ اسمها حمامة ، فيقال لها الخادم ما عندك أيتها الجارية فقالت ما عندي شيء الا خبزة برقوق نحى بها الناس التي حرم الله وفرت به الى بطيوة وأقامت به بازاء جبل الحديد وأما أولاد عبد الرزاق وعبد السلام ومحمد الثاني أولاد مولاي عبد القوي المذكور فهم أهل جبل الحديد وأهل الريف ويقال لجميعهم أولاد حمامة والمذكور هاهنا بعض عقب اسماعيل بن موسى الكاظم انما هو من ولده موسى وجدته وفيه كما يسمونه بعد ، قال فمنهم أولاد جعفر بن موسى الكاظميون وهم بمصر ومنهم بنو السقاء وبنو أبي العساف وبنو مقيم الدولة وبنو الوراق وهم بمصر والشام الآن وأولاد موسى الكاظم فرق مديده في أماكن عديدة فمنهم فرقة في مكة ومنهم فرقة في الشام ومنهم فرقة في نواحي وادي شلق ومنهم في فاس ومنهم فرقة في تونس ومنهم فرقة في الثركان ومنهم فرقة في العراق وهم صرحه واحدة ومنهم غير ذلك فاما أهل مكة فجدهم اسمه علي بن احمد بن عبد الرحمن بن ادريس بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن أهل تلمسان فرقة يقال لهم أولاد الطاهر السقلي صاحب تلمسان وانتقلت ذريته الى فاس فهم المعروفون بالسقليين ومنهم فرقة في قبائل بني مطهر فجدهم جميعاً الشريف طاهر السقلي ابن علي الفقيه ابن يحيى بن علي بن الحسن بن محمد قاضي الجماعة ابن اسماعيل بن الطاهر بن موسى بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أهل نواحي وادي شلق فمنهم أولاد السيد محمد بن عبد القوي المتولي الملك بعد أبيه ومنهم أولاد سيدي علي بن يحيى المتولي المشهور والنور الماثور وقد خلف اثني عشر ولداً سيدي خليفة والازرق وعبد العزيز ومحمد واحمد ويحيى وعبد الرحمن وابو القاسم وعيسى وعبد الله وعمر

وعمران بن الجارية وهم صرحة واحدة فجدهم اسمه علي بن يحيى بن راشد بن
فرقان بن حسان بن سليمان بن أبي بكر بن مؤمن بن محمد بن عبد القوى بن عبد
الرحمن بن ادريس بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق
ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي وفاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعليه فيكون السيد علي المذكور من أهل المائة السابعة
على قياس ما سبق وقسم هذه الجدود على ثلاثة فأما سيدي عمران و سيدي خليفة
فانتقلا الى جبل العمود وخلف سيدي خليفة اربعة أولاد سيدي عبد العزيز
وسيدي احمد وسيدي عليا وخلف سيدي احمد بن خليفة بن علي بن يحيى الخ
وخلف سيدي هلال عشرة أولاد سيدي محمد وسيدي احمد وسيدي ادريس
وسيدي عالم وسيدي احمد الصغير وسيدي علي أبو حربة وسيدي هلال بن
هلال وسيدي موسى وسيدي عبد الله وهم أهل مساكن بازاء القيروان بعائلة
افريقية فجدهم اسمه محمد بن هلال بن محمد بن محمد بن خليفة بن علي بن يحيى بن
راشد بن فرقان بن حسان بن سليمان بن أبي بكر بن موسى بن محمد بن عبد
القوى بن عبد الرحمن بن ادريس بن اسماعيل بن سليمان بن موسى الكاظم
ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي
وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدي يحيى والد سيدي علي
المذكور هو ابن سيدي راشد صاحب جبل بني وليد فتقطب اثنتي عشرة سنة
وهو صاحب درجة رفيعة وكان يقرأ في مصر ويصلي الظهر في مكة وروح لبي
وليد ثم توفي رحمه الله عليه وخلف اربعة أولاد وبنتاً: سيدي يحيى وسيدي
يعقوب وسيدي عبد الجبار وسيدي علي وسيدي فاطمة . فأما سيدي يحيى
فانتقل بازاء وادي شلق وهناك تفرعت أولاده المذكورون وأما سيدي
يعقوب فبازاء جبل نزاره وأما سيدي فاطمة فتزوجت سيدي محمد الفقيه في
بني وليد فجدهم جميعاً اسمه راشد بن فرقان بن حسان بن سليمان بن أبي بكر
ابن موسى بن محمد بن عبد القوى بن عبد الرحمن بن ادريس بن اسماعيل بن
موسى بن عبد الله بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن
الحسين السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عبد الله
الملقب بابن سفانة المستقر في رأس العين عند أولاد داوود الحميري ثم الحسني
في قبائل بني مطهر فهو من ذرية سيدي علي بن يحيى بن راشد ويلحق بهم بعضهم

من يجتمع معهم في محمد بن عبد القوي فمنهم أولاد سيدي موسى بن احمد بن
البريشي أصله في تقادمت المعروف بقبائل بني عامر فاسمه محمد بن علي بن محمد
ابن علي بن احمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن محمد
بن احمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن ادريس بن اسماعيل بن سليمان بن
موسى بن عبد الله بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين
السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم أولاد سيدي
محمد بن هلال ابن سيدي محمد المكي خلف ستة أولاد اولهم سيدي هلال بن محمد بن
هلال وسيدي علي بن محمد بن هلال وسيدي هلال بن محمد بن هلال وسيدي علي بن محمد
ابن هلال واما سيدي احمد بن هلال فانتقل بازاء فرجان من ناحية المشرق واما
سيدي هلال بن محمد بن هلال فانتقل الى الصحراء ثم انتقل الى المغرب بازاء انجاد
في قبائل شجيع واما سيدي ابن هلال فانتقل الى المغرب الاقصى واما سيدي محمد بن
هلال وسيدي عبد الله بن هلال وسيدي علي بن هلال فهم اهل مدينة القيروان فخدم
اسمه محمد بن هلال بن ادريس بن غالب بن محمد المكي بن اسماعيل بن محمد بن ابي
القاسم بن علي بن محمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن ادريس بن اسماعيل بن
سليمان بن موسى بن عبد الله بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين
ابن الحسين السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه شجرة
اصلهم: علي بن يحيى بن راشد بن فرقان بن حساين بن سليمان بن ابي بكر بن موسى
ابن محمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن ادريس بن موسى بن اسماعيل بن موسى
الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط
ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

الفصل الثاني

في ذكر الشريف عبد القوي الحسن الادريسي الزياتي القصبي التالوتي احد ملوك
اقليم مدينة بافدمت قاعدة المغرب الاوسط المذكورة قبل وهو آخر ماؤها وهذه
البلدة كان لها شأن عظيم وذكر جسم في السابق لما اشتملت عليه من المحاسن
في اقليمه وما بها من الرياض والقصور والمساكن وقد ذكر لها المؤرخون
أخبارا طريفة وحكايات جزيلة يطول ذكرها وما اشتمل عليه صحتها وقد استوفى

غالب مالها قدما وحديثا بحسب وقته الامام الهمام المازوني صاحب الدرر
المكنونة في كتاب له في ذلك والشريف الزباني المذكور كان لاسلافه وأجداده
في محله الآتي ذكره من القدر العظيم والجاه الجسيم والمهابة والوقار والمكانة
والاستكبار ما يقصر عنه اللسان ويعجز عن تفصيله رسم البنان قبل ملكهم تلمسان
وبعده أما محل أسلافه وقرار أوائله فهم أهل القصبة قصبة تالوت باقليم الصحراء
بأعلى أواسطها بنواحي وادي سسليم ونهر واصل وما يلي ذينك من أطراف اقليم
تلك النواحي فهي مقر اسلافهم وأوائلهم بعد انتقالهم من محل أسلافهم الاول
مولاي عمران بن ادريس وبنيه الذي هو الريف وباديس حصته مع اخوته
العشرة حيث قسمها بينهم أخوه الامير مولاي محمد بن ادريس بأمر جدتهم
وسأني اشارة لشيء من ذلك وأما سبب نقلتهم وحلولهم باقليم تلك المدينة الآتي
ذكرها فهو أنهم لما انقضى ملكهم بتلمسان ومما حصل لهم بها مما يأتي ذكره
رجعوا الى محلهم المذكور وكان الراجع اليه جد الشريف المذكورة وهو السيد
يوسف بن زيان وكانت له أولاد بعد ذلك ولم يبق منهم الا الشريف عبد
الرحمن بن يوسف المذكور فهو الذي انتقل الى تاقدمت المذكور وولى إمارتها
وولد له الشريف عبد القوى المذكور فنشأ بها صالحا خيرا مباركا شجاعا كريما
عالما بعلوم جمّة كتابا وسنة وفقها مع علوم شتى تقصر عنها أطول يد لغيره
فيها وله من الذكاء والفطنة وحسن السيرة ما ليس لغيره من أهل وقته قاطبة وهو
الذي أقامها واستفحل ملكه بها وبقي بها مدة مديدة في سنين عديدة في سعود
واقبال وأمن وافضال وقد أعاد لها من احسانها ما قد وهى واندثر مما خربه
طوائف اجلاف العرب وقبائل البربر ثم إنه لما تم بها أمره انقضى أجله بعد أن
خلف ولدين محمدا ومنداسا أما منداس فسيأتي خبره وأما محمد فقد أقام بها على
ما كان أبوه وجده ومنه انقطع ملك بني عبد الرحمن بها وتفرقت أولادهم عنها
هذا اجماله وأما تفصيله فهو ما ذكره الامام الهمام أبو المكارم محمد بن عبد الله
ابن خلدون التلمساني فيما أبداه في تحقيق الاصول كما في شرح سلاسل
الفصول قائلا ما خلاصة معناه أن الشريف المذكور أصله من شرفاء بني زيان
أهل القصبة قصبة تالوت بأعلى الصحراء بنواحي وادي سسليم ونهر واصل وما يلي
ذينك من تلك النواحي وهي مقر اسلافهم وأوائلهم ولهم بها قدر عظيم وجاه

جسيم ولبعضهم بعض اقامات بمدينة تلسان سها حيث صار لهم بها ملك عظيم
وسلطان جسيم مما يزيد بقرب مائة سنة ومع ذلك ما رفضوا مقارهم المذكورة
ومنازلهم المشهورة قال ثم ان الشريف زيان القصبي التالوتي الذي هو مرجع
نسب تلك القبيلة وأصلها وبه سميت فهو الشريف زيان بن زين العابدين بن
يوسف بن ادريس الآتي تمام نسبه وكان أسلاف الشريف زيان المذكور المسمى
به بنوه انما يعرفون بشرفاء تالوت وتارة بأشراف قصبة تالوت وتالوت هذا اسم
بلد عظيم ومواضع ومحال أقوام به وأحواله قصور وقرى ومدارس كانت معمورة
بأهلها وأما قصبتها فهي خاصة بأشراف أوائل الشريف زيان المذكور
وانما حدثت لهم النسبة الزيانية بسببه وسائر بلد تالوت كان به علماء وصلاحاء
وأفاضل وأشراف لا يحصون كثرة منهم الفقيه الحافظ العلامة الهمام القدوة
الامام أبو الحسن علي بن محمد التالوتي الانصارى أحد شيوخ الشيخ سيدى محمد
السنوسى صاحب العقائد وأخوه لأمه ومنهم الفقيه العلامة الهمام العابد الملازم
الصيام والقيام أبو العباس احمد بن عمر التالوتي الانصارى وأخوه الناسك
الابر أبو الحسن علي بن عمر الانصارى والثلاثة المذكورون من أصحاب
سيدى محمد الهوارى دفين وهران رضى الله عنه ولهم معه أخبار طويلة في
كرامات جزيلة وكانت وفاته سنة ٨٤٣ هـ وبعضهم أخ للشيخ السنوسى وقد توفى
سنة (؟) وداوق خراب بلد تالوت وقصبتها الا بعد ذلك المذكور ومنهم غيرهم
تركنا ذكرهم خوف الاطالة ولم نزل بعد معمورة وإليها ينسبون وغالب أهلها
أنصار وأشراف الى اختلال نظام الملك بها بسبب ملك الأشراف بتاقدمت كما مر
وتغلب الأعراب عليها ونواحيها بعد التاريخ المذكور في حدود العاشرة وما
يقاربها وأما الآن فهي مدائر بلاقع واطلال رسوم شواسع أسرارها واقعة
عليها ومراسم ديار لا أنيس بها غيرت أسماء سكانها الفاضلة القديمة بأسماء
أقوام سالفة ذميمة شأنهم الغارات ونقض الذمم وخفر اليهود ودناءة الهمم
ليس لهم مبالاة بالدين ولا اعتبار لهم بين سيد المرسلين بعد أن كانت
بها وياض العلوم زاهرة وإفنانها يانعة مشمرة القرآن بها رواياته محررة أى تحرير
والاحاديث مضبوطة أصولها وفروعها مقررة أى تقرير وكتب أصول المذهب
القديم لا يتخاطبها تبديل ولا تغيير وقد مر بتلك الديار وغالب الظن أنها تقدمت

رجل صالح عالم بالحديث والتفسير والفقه حافظ لكتاب الله محقق لرواياته السبعة بل العشرة وكان ذلك الرجل لا يفتر لسانه عن ذكر الله وتلاوة كتابه فبات تلك الليلة بالمحل المذكور فقام يتعبد يصلي ويتلو وكان مبيتة بقرب المقبرة فكشف له عن قبور الصالحين بها بأنوار ساطعة تخطف الابصار باقية قبورهم عديدة فناده انسان من قبره قائلاً له يا هذا جازاك الله خيراً ذكرتنا بشيء طال العهد بمن كان يذكرنا به فقال ذلك الرجل الصالح هل فيكم من يحفظ القرآن فأجيب بأن غالب من حوالياك من القبور من المهرة به رجالاً ونساء وأقرب ما اليه بسبعماية جارية من يحفظ بجميع رواياته العشرة ويحفظن المدونة عن ظهر قلب وأما الاحرار من الرجال والنساء فلا يحصون كثرة وكان سبب ملكهم لتلسان أن الشريف المذكور كان له سطوة عظيمة وطول يد عزيمة مع شدة شكيمة في الدين واقامات دعائه مع تمام الشفقة والرافة بالمسلمين وكان له أربعة أولاد على نهجه وسبيله وتضلع بكتاب الله وسنة رسوله الشريف احمد والشريف يوسف والشريف عبد الله والشريف زيان وكان لهم أيضاً مع ذلك من الشهرة وشدة الشكيمة في الدين والقيام بوظائفه والوقوف على حدوده في أنفسهم وتابعيهم والسطوة التامة والقوة العامة في قطرهم المذكور الموروث لهم عن اسلافهم ثم انه جرت أمور عظام وأسباب اقتضت طلب أهل تلسان من الاشراف المذكورين تولية أحد منهم عليهم في بلادهم لاقامة الدين وحقن الدماء وحفظ أموال المسلمين لعلمهم باستحقاقهم ذلك دون غيرهم فأجابوهم بعد الاباية وعقد الشروط المنعقدة بينهم واستكمال شرائط البيعة فكان أول من تولى منهم سلطنة تلمسان ومكث ثلاثين سنة في أقوم حال وأتمه وأنعم عيش وأرغده هو الشريف احمد بن زيان المذكور وتخلف ابنه يوسف من بعده عشرين سنة كذلك ثم انه جرت خطوب بينه وبين بني مرين فتغلبوا عليه وهجموا عليه فقتلوه وهدموا القصبة المعدة لهم بها وفر عنه زيان لذلك فرجع إلى بلاده المذكورة وقد خلف الشريف يوسف بن احمد المقتول أولاداً منهم محمد وحمزة واحمد مع أمهم فبقيت أمهم مع عيونهم في البلد وهم فروا بأنفسهم لبلادهم في الصحراء ومكثوا فيها حتى تراجع أمرهم وتناسبت احوالهم واشتدت شوكتهم واجتمع عليهم حشدهم ونصرتهم طوائف البربر وقبائل العرب وراموا اقتسكاك ملكهم وقوى

اهتمامهم بأخذ ثأرهم من عدوهم ولم تزل أمهم وعيونهم تحشم على ذلك وتراسلهم
 المرة بعد المرة ليغنموا الفرصة بالرجوع الى ملكهم اما بقهر القوارع المزعجات
 الدافعة أو بما يمكن من أنواع الاحتمالات النافعة واعدائهم في غيايب عنهم
 غازون ولا نقراض من كان يناوئهم بمحلمهم آمنون مع طول زمان الوقائع الكائنة
 من أسلافهم وأمهم وعيونهم لهم اشراف واطلاع على اختلال أحوال أعدائهم
 وانهم ان امتثلوا لهم نالوا مرادهم قامتلوا الامر وساروا اليهم من محلمهم باموالهم
 وعددهم ومن أمكن من حشمهم وخلفائهم حتى انتهوا قريباً من المدينة على
 صفة الاعراب المنتجعين الطالبين رعى مواشيهم في سوائح البلد وصحاريهم
 فتسامع الناس بهم على الوصف المذكور وخرج لهم خلاص احبابهم للقائهم
 والسلام عليهم حتى بعض عطاء بني مرين خرجوا اليهم ولقوهم بقرية يسدر
 وضيفوهم بعظيم الاطعمة وكرائم الطرف وأنواع الاشربة وجلال التحف
 ثلاثة أيام ثم رجع الناس كلهم بنو مرين وغيرهم فاجتمعوا مع خلاص عيونهم
 وأمهم ومن معها خفية وأصحاب تديرهم فتشاوروا كيف السبيل إلى حصول
 مرادهم فاقتضى رأيهم أنهم يهجمون على عدوهم كما هجم عليهم فهجموا على أعدائهم
 وهم غازون فدخلوا البلد واستولوا عليها فحمدوا الله وهم له شاكرون فغنموا من ذلك
 ما غنموا وقتلوا ما قتلوا وعتقوا ما عتقوا وفر بنو مرين وحزبهم منهزمين الى مدينة فاس
 ثم إن أولاد الشريف يوسف بن احمد بن زيان المذكور عقدوا البيعة
 لآخيه الشريف احمد المذكور ومكث بها ملكاً نحو ثلاث سنين ثم لما
 اطمأنوا واستكانوا بهشوا إلى عمهم الشريف زيان المذكور ليقدم عليهم
 فصار جاز السير اليهم مع الصحراء فقطع من وادي سلم الى تلمسان في أربعة
 أيام وترك أولاده في حوز تالوت القصبة مع النساء والصبيان فاجتمع معهم
 فجعلوا لذلك مهر جانا عظيماً واستلحقوا من شاءوا من أهلهم وأولادهم وجعلوا
 مهر جانا آخر ومكثوا على ذلك مدة مديدة في أيام سعيدة ثم دارت الدوائر
 وانقلبت العشائر وثار الفتن ونشر بيت المحن في أسباب يطول شرحها فآل
 أمرها إلى موت السلطان احمد بن السلطان يوسف بن السلطان احمد بن زيان
 المذكور وامة واخوانه وأولاده في جم غفير منهم وأنصارهم ثم إن أهل
 تلمسان بعد ذلك جعلوا أحد موالى زيان بن زيان المذكور سلطاناً فبقي سلطاناً

نحواً من أربعين سنة ثم استغلظ أمر بني مرين وكادوا أن يحيطوا بالمدينة وصاروا يتأهبون لقتالهم ويفسدون عليهم أنصارهم بالرشا يرأسلون ويعشون بذلك للعرب والبربر قبيلة قبيلة حتى أتت اليهم جميع العرب بنجدة وقوة واحاطوا بهم وحاصروهم نحواً من أربع سنين فانهكت تلمسان وهاكت وضاعوا بالجوع فالتقى الجمعان فانهمز جمعهم وانقلبوا مدبرين ودخل بنو مرين على من هناك من بني زيان القصيين التالوتين وقتلوا السلطان مولاي زيان واخاه الشريف عبد الله وهرب السيد يوسف أخوهم الى بلادهم المذكورة سالماً فتمكن بنو مرين منهم أي تمكن وغنموا ما عندهم وهدموا القصبة واستقر أمر بني مرين في مملكتهم بتلمسان والظاهر أن بني مرين هؤلاء هم بنو وطاس منهم لان بني مرين الاول اعنى بني عبد الحق ومن في معناهم كان أعظم ملكهم للثمانية والمائة التاسعة والخمسون بعدها لبني وطاس منهم فالجملة تسعمائة وخمسون وما كان لبني زيان المذكورين ولاية على تلمسان إلا بعد انقضاء أمر بني عبد الوادي بها وكان انقضاؤه في أواخر الثامنة كني مرين الاول فتبين أن أمر بني زيان القصيين إنما كان مع بني وطاس منهم أو مع الطرفين والله أعلم وسيأتى لذلك مزيد بيان ثم ان السيد يوسف المذكور لما بلغ مأمنه بوصوله لموضع أسلافه موضع أبيه وجده أبي زيان بن زين العابدين مكث فيه وتزوج أربع عشرة امرأة ولم يولد منهم سوى ياقوته بنت عبد الله بن جعفر فولدت له عشرة أولاد وثلاث بنات فبقى منهم عبد الرحمن ومات الباقيون فانتقل عبد الرحمن الى تاقدمت ونزل في عين الطوغ وحصل له بها من التعظيم والجاه الجسيم ما هو معروف لهم في أسلافهم السابقين فتزوج حسنة بنت عامر القرشي فولدت له عبد القوي وجعفر وأحمد ومن هؤلاء الثلاثة تفرعت فروع شرفاء بني زيان وتفرعت أولاده الثلاثة فأما السيد جعفر بن عبد الرحمن فسار قاصدا ناحية المشرق حتى نزل وادي الذهب في المكان المعروف بوادي عام وأمر ببناء قصر الذهب فمن بناه السيد محمد بن عبد الله المعروف ويقال لذريته المقارنة وأما السيد أحمد بن عبد الرحمن فسار ونزل ببلاد القبائل المقربين من مدينة الجزائر الحاليين ببعض شوامخ جبالها واستقر بها وله بها أولاد ويقال لذريته البراكنة منهم

الولي الصالح سيدى أحمد بركان فخدم السيد أحمد البركاني بازاء مليانة فاسم جد
كل من المقارنة والبراكنة السيد عبد الرحمن بن يوسف بن زيان ابن زين
العابدين بن يوسف بن حسن بن ادريس بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله
بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن ادريس
ابن ادريس بن عبدالله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي وفاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الشريف عبد القوي فاقام يعنى سلطانا
في مدينة تاقدمت ثلاثين سنة ومات وترك اثنين من أولاده محمدا ومنداسا
فاما محمد فتولى السلطنة بتاقدمت من بعد أبيه مدة مديدة ومات
بها وبقيت ذريته بازاء تاقدمت ونواحيها، ومنه انقطعت السلطنة بها
لبنى زيان القصبيين واما منداس فدخل العباداة في بلده تلك على عادته
من دوام النسك والانقطاع الى الله تعالى ومات بها وترك ولدين احمد الملقب بالمرابط
وأخاه يوسف فأما الشريف يوسف فذهب وسار من بلاده الى بلاد بنى ماحون
بنواحي البحر وتزوج فيها ومات ولم تبق له ذرية وأما الشريف مرابط فكأنه
انتقل هو وبنوه الى نواحي وادي شلق بنحو منازل قبائل السويد وترك
السيد راشدا هناك وبها تو في وقبره مشهور مزور بسوائح ظهر الملح منها
والسيد راشد المذكور خلف ثلاثة أولاد السيد يحيى وعبدالله ويوسف فعبدالله
ويوسف لم يبق لهما ذرية وأما السيد يحيى فخلف ولده السيد علي المشهور
المكنى بأبي العسل وقبره مشهور مزور لقصة لهم في ذلك والسيد علي خلف
ولده الشريف خطابا العلامة الهمام القدوة الامام جد آل خطاب قاطبة
وقبره مشهور مزور هنالك بملتقى وادي شلق ووادي مينة وهو ولد الشريف
الابر القطب الاكبر السيد عبد الله النقابي المذكور المتولى القطبانية وهو دفين
ثغر بلد مستغانيم الكائنة بساحل البحر المعروف بالمطمر منها وما عمر تلك البلد
الا بعد حلوله بها وانما كان ذلك البلد قبل محلا لرباط المجاهدين في سبيل الله
وثغرا من ثغور المحتسبين لرباط الله وكان السيد المذكور نزوله واقامته بها لذلك
وحصل له في ذلك المحل وقبلة من الكرامات ما لا يحويه كتاب وبذلك الثغرتوفي
وقبره مشهور مزور وله قبر آخر كذلك بقرية عيذب بساحل تلك البلد شرقيا
اتمصة عندهم مشهورة له في ذلك وقد خلف خمسة أولاد بتلك النواحي لكل

منهم كرامات شهيرة ومناقب أثرية يعلمها الخاص والعام من أهل وطنهم متواترة عندهم والخمسة الأولاد المذكورون كل منهم نال من الولاية العظمى حظا وافرا وقد دعا الله تعالى والدمهم ان لا ينقطع عدد مراتب الخمسة الأولاد من بينهم وبني بنهم الى قيام الساعة فاستجيب له ولم تزل بركة ذلك مشاهدة فيهم عند الخاص والعام واسم جدهم جميعا اعني الخطايين هو السيد عبد الله بن خطاب ابن علي بن يحيى بن راشد بن احمد المرباط ابن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن ادريس بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن ادريس بن ادريس ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - اهـ محصل كلام ابن خلدون التلمساني

قال بعضهم بعد ما ذكر من أول النسب الى آخره ما نصه وقد كنا نسمع من أعيان محل أولئك الاشراف ان سلسلتهم هذه تسمى عندهم بسلسلة النسب وقد تواتر عندهم ان هذه السلسلة الخطائية العمرانية من أصح السلاسل وأتقنها من ابتدائها الى انتهائها اذ لها طرفان وواسطة فالطرف الاول وهو من أحمد بن محمد الى علي وفاطمة وهم ستة عشر فهذا لا ريب فيه لاحد لكون عمران هو ابن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي وفاطمة رضي الله عنهما هو النسب المحقق الذي لا ريب فيه حسبما رتبته المؤرخون كابن خلدون ولكون عمران أيضا أعطى من بين اخوته أرض الريف وبادس وانتقل هو اليه وتناسلت أولاده هناك بهما فقد ذكروا كما مر ولما في كتاب رفع التدليس عن بني ادريس ان الامام محمد بن ادريس لما قسم البلاد على اخوانه وعين لكل منهم محله المخصوص به واستوطن وترك ذريته به وعليه فيكون ان الامام عمران ولد عليا هناك او قبله وهو ولد حمزة وحمزة ولد داود وهو ولد يعقوب وهو ولد سعيد وسعيد ولد ادريس وادريس ولد الحسن والحسن ولد يوسف ويوسف ولد زين العابدين وزين العابدين ولد زيان المذكور ههنا النسبة الزبانية كما مر ثم ان المتنقل من محله الاصل المذكور لجدهم انما هو فيما بين يعقوب والحسن الى الديار القصية التالوتية من هذا الطرف والله أعلم والطرف الثاني من عبد الله بن الخطاب الى ادريس بن عبد الله وهي خمسة

عشر وهي يقينية أيضا بتقلاتها ومقارها وأضرحتها بمواضعها المعروفة بها وأما
الواسطة فهي ما بين ادريس وداود بن حمزة بن علي بن عمران وهم عشرة وهؤلاء هم
المنتقلون أو بعضهم عن محالهم وهحل أيهم المذكور إلى نواحي الصحراء إذ
كانت معمورة بملوكها وأعرابها الخيرين الصالحين بها فقالوا بها من الأمن والراحة
على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم من الهناء والدعة التي يقصر عنها الوصف
والمنتقلون إلى ما ذكر منهم من محال أيهم وتصاريف أمورهم وسيرهم المذكورة
في مختصر الدر النفيس في أحوال الائمة الاثني عشر من بني ادريس فليراجع
قال بعضهم وهذه الخمسة المذكورة هي من التحقيق بمكان بحسب أصلها غير أنه
وقع فيه اختلاف نسخ بالتقديم والتأخير منه ما تحرر لدينا اعتمادا على الاصول
التي بأيدينا والله المعين بمنه وكرمه آمين وسوف نذكر ترجمة مولانا الشريف
عمران بن ادريس الامام رضى الله عنهما من أول أمره إلى منتهاه وتبعم أولاده
ونقلاتهم في سائر امكنتهم وأسباب ذلك لينكشف الغيب ويزاح الريب كسائر
تراجم بني ادريس الاثني عشر رضى الله عنهم وتبعم بنينهم وبني بنينهم إلى وقتنا
من علمناه منهم وبتماهم يتم الكتاب والله الموفق للصواب بمنه وكرمه آمين
وهذه شجرة آل خطاب منهم حسبا أثبتة ابن خلدون التلمساني وغيره هكذا
عبد الله بن خطاب بن علي بن يحيى بن راشد بن مرابط بن منداس بن عبد القوي بن
عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن ادريس
ابن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داود
ابن حمزة بن علي بن عمران بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن
المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وفاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تمة

اعلم ان لفظة بني زيان تطلق على قبائل عديدة وأنساب عديدة منهم شرفاء
وعرب وبربر والمذكور في المحل اثنان
الاول « بنو زيان » ملوك تلمسان وهم بنو عبد الوادي نسبة إلى زيان بن
يوسف بن محمد بن زكرياء الآتي ذكره وهم من زناته وليس لهم حظ في الشرف

على ما قال المقرئ في قلائد العقيان في انساب عرب الزمان ونصه : ومن زناة
بنو عبد الوادى ملوك تلمسان القائمون بها الآن وهم بنو عبد الوادى
ابن بار بن محمد بن بنى رحيك بن واسير بن مسلمين بن سترين بن اكيان بن
ادد بن جانا وهو زناة وأول من ملك منهم تلمسان جابر بن يوسف بن محمد
بن زكرياء بن بندركش ابن طاع الله بن على بن القاسم بن عبد الوادى ولم تزل
في اعقابهم وربما غلبهم عليها بنو مرين ملوك فاس التى صارت بيد سعد بن
أبى حمو موسى بن غمراسن بن زيان بن يوسف بن محمد بن زكرياء المتقدم
فالنسبة الزيانية انما طرأت عليهم من زيان بن يوسف المذكور واما قبله فانما
يعرفون بنى عبد الوادى أصل نسبهم المشهور وهم أقدم زمانا وأكثر ذكرا عند
المؤرخين وربما التبست النسبتان حتى غلط في ذلك كثير فقد نسب العلامة
التنيسى الشرف لبنى عبد الوادى وقد علمت أنهم بربر ليس لهم في العربية أصل
فضلا عن الشرف ومثله ما قاله ابن خلدون في العبر وفي مرآة المحاسن ما نصه
أول ملوك بنى عبد الوادى بتلمسان يغمراسن أول المائة السابعة وفي آخرها آخر
ملوكهم الامير أحمد بن الامير عبد الله سنة ٩٥٣ وقال في التعريف بالشيخ الامام
أبى الطيب الحسن بن يوسف بن يحيى بن مهدى بن محمد بن يوسف بن مهدى
العبد الوادى قال أصله من بنى عبد الوادى احدى قبائل زناة المشهورة وهى التى
كان لها الملك والسلطنة في تلمسان وما اليها من ولد يغمراسن بن زيان
مقيم الدولة في أوائل المائة السابعة ومهدا لبنيه بعده الى أن تغلب الترك عليها
وانتزعوها من أحمد بن عبد الله من أعقاب يغمراسن قال وقال العلامة الونشريشى
ومن خطه نقلت مانصه قدم حسن بن خير الدين التركى واستولى على تلمسان
أواسط شعبان سنة اثنين وخمسين وتسعمائة وأخرج منها الاسير أحمد بن الامير
عبد الله ووزيره منصور بن أبى غانم ولحقا دبذو ومن انضاف اليها من امراء
تلمسان وكبرائها فغدرهم محمد بن يحيى يعنى المريئى صاحب دبذو وأخذ أموالهم
وأعتقهم وسرح منصور بن أبى محرم فى سنة ثلاث وخمسين ولا حاجة في ذكر
ما بعد ذلك من الأحداث التى لم تستقر كدخول الشرفاء ملوك المغرب اياها فان
الأمير استقر بها للترك إلى هذا التاريخ وهو سنة ست وأربعين و الف اه فكان
جميع ملكهم بتلمسان احدى وخمسين وثلاثمائة

النسبة الثانية

نسبة بنى زيان لاشراف الادارسة القصبيين من جمع اسلافهم بين ملك تلمسان وملك الصحراء على التعاقب اذ هم من بعض ملوك الصحراء مدينة تاقدمت قاعدة صحراء المغرب الاوسط آخر ملوكها المذكورون في الفصل الثانى وقد علمت نسبهم وما آل اليه امرهم فيما نص عليه ابن خلدون التلمسانى ولم يكن لبنى زيان الادارسة ملك وسلطنة بتلمسان إلا بعد انقراض بنى زيان العبددين وانقراض بنى مرين اعنى بنى عبد الحق انما كانت حروبهم مع بنى مرين الوطاسيين فانهم كان لهم المائة التاسعة والخمسون بعدها دل على ذلك ماسياى وما وجد مكتوبا في رخامة سقطت من جسر الرسييف في الوادى عام تسعة والى ونصه

جسر الرسييف أبو العباس جده * فخر السلاطين من بنى وطاس
قد جاء في غاية الاتقان والمنا * لمن يمر به من عدوة فاس
وقد تكامل بنيانه عام عنا * من هجرة المجتبي المبعوث للناس

كما في القرطاس والمغرب وفي المرآة مانصه آخر ملوك بنى مرين الوطاسيين وما اليها أبو العباس احمد بن أبى عبد الله محمد الشيخ الوطاسى المرسى حيث أسر أخوه في وقعة وادى درنا للشرفاء على بنى وطاس في رجب سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ومات في تلك الايام القرية هما وغما رحمه الله وتقدم بعض ذلك فاعلمه وقد قال فيها أيضا وقد التقى الجمعان على مشرع أبى عقبة من وادى العسر مقاتلة فاس وسلطانهم احمد بن محمد الوطاسى ومقاتلة مراکش وسلطانهم أبو العباس احمد بن محمد الشريف المعروف بالاعرج ومعه أخوه السلطان بعده أبو عبد الله محمد الشيخ سنة ثلاث واربعين وتسعمائة فانهم السلطان احمد الوطاسى وتفرقت جموعه وتبعته الخيل فكادوا يبيضونه فحضره هنالك رجل على فرس يحول بينه وبينهم ويقول له سر يا احمد ولم نزل معه الى أن نجا وقال فيها وكان السلطان أبو المعلى زيدان صاحب مراکش ابن السلطان أبى العباس احمد المنصور التقى مع ولد أخيه صاحب فاس السلطان محمد الشيخ برؤس الشعرب يوم الخميس السابع والعشرين

من شوال عام سبعة عشر وألف فانهزم السلطان عبدالله وفر الى محلة أليه
على العرايش ثم رجع الى جهة فاس وانتهى الى دار ابن مشعل من بلاد بني
يزناس واستولى عمه على محله وسار إلى فاس فدخلها وأقام إلى أوائل
سنة ثمان عشرة ورجع إلى مراکش واستخلف بفاس العليج مصطفى باشا
ثم ان السلطان عبد الله زحف الى فاس فخيم مصطفى بظاهرها من ناحية
باب الفتوح وعرض لصاحب الترجمة عارض من الامور العامة جاء فيه وتردد
الى المحلة فركب اليها يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الثاني سنة ثمان عشرة
والف فالتقى الجمعان بين الظهرين يومئذ فأجلى الحرب على قتل مصطفى وفقد
صاحب الترجمة رضى الله عنه وقد تقدم بعض ذلك. فاعلمه وقد ذكر في العبران
كلام بني عبد الوادي وبني مرين من زناتة أما بنو عبد الوادي فقد تقدم
نسبهم وأما بنو مرين فقال المقرئ أيضا في الجمان قبل ذلك ما نصه من زناتة
بنو مرين بفتح الميم وكسر الراء المهمة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر
وهم بنو مرين بن ورتاجي بن ماخوخ بن فاتى بن بدر بابن بحت بن عبد الله بن
درفيص بن المعز بن ابرهيم بن رحيك بن واشق بن القاين بن سر بن زكريا
دريك بن اربدت بن جانا وهو زناتة ومن بني مرين بنو عبد الحق ملوك المغرب
الاقصى الآن المستقرون بمدينة فاس وهم بنو عبد الحق بن يحيى بن أبى بكر بن
خالد بن محمد بن روصيص بن فكرس بن كونان طريق ابن بدر المتقدم ذكره
وأول من ملك منهم السلطان أبو سعيد بن عثمان بن عبد الحق استولى على
بعض نواحي الغرب ثم قتل في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وملك بعده مدينة
فاس أخوه محمد بن عبد الحق ثم تداولتهم أعقابهم الى أن كان منهم السلطان
أبو الحسن المريني في حدود أيام الناصر محمد بن قلاوون فعظم سلطانه واتسعت
ملكته ولم يزل يتنقل في أعقابهم الى أن صار الامر فيهم الى السلطان أبى سعيد
عثمان بن أبى العباس احمد بن السلطان أبى الحسن بن السلطان أبى سعيد عثمان
ابن أبى العباس احمد بن السلطان أبى سالم بن السلطان أبى الحسن بن السلطان
أبى سعيد عثمان بن أبى يعقوب بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق انتهى

الفصل الثالث

في أخبار عبد القوى بن العباس الراشدي التوجاني الزناني ثالث الثلاثة
المذكورة

وملكه مجازي بالنسبة لتلك البلد المذكورة، وذلك انه لم يكن له ملك حقيقي على
مدينة تاقدمت المذكورة بحيث كان له الحل والعقد بها والاقامة بها في حال قيامها بأسوارها
وقصبتها خلال أسواقها ومساجدها وأربطتها المعدة لذخائرها، لجندها وعساكرها،
وانما كان متغلبا على أوطانها وسوائحها في حال دثورها وانحلال أمرها فصار
ملكه بها مجازيا على سبيل التغلب لأعرابها وقراها ومن انزوى اليها وانما كان
ملكه بدويا لم يفارق فيه سكنى الخيام ولا ابعاد النجمة ولا ائتلاف الرحلتين
يتنابون في مشاتهم الى مزاب والزاب ونحوهما وينزلون في المصائف بلادهم
هذه من التل والتي تغلبوا عليها وانشر يش ومنداس وتافركيت وما حوالى ذلك
مثل الجيبات وتاو عزوت وغيرها ولم يكن له في جميع ذلك قرية مخصوصة وانما
كان لما غلب مغراوة على جبل وانشر يش اختط حصن مرات بعد أن كان منديل
المغراوي شرع في اختطاطه فبنى منه القصبه فأكمله واده محمد بن عبد القوى من
بلاده وسياحي جميع ذلك مفصلا في كلام ابن خلدون فانه ذكر في كتابه العبر
ترجمة عبد القوى المذكور ونسبه وقومه بنى توجين بأثم بيان وأوضح تبيان
وله في كل من الطبقات الثلاث الآتية اخبار ونقلات له ولقومه ذكرنا جميعها
كذلك

ونص كلام ابن خلدون في ذلك مبتدئا بالاول الخبر عن بنى توجين
من شعوب بنى بادين من اهل هذه الطبقة الثالثة من زناتة وما كان لهم من الدولة
والسلطان بالمغرب الاوسط وأولية ذلك ومصائره كان هذا الحى من أعظم
أحياء بنى بادين وأوعرهم عدوا وكانت موطنهم خفافير وادى شلق قبلة جبل ونشر يش
من ارض السرسو وهو المسمى هذا العهد نهر واصل وكان بأرض السرسو
بجهة المغرب منه بطون من لواتة وغلهم عليها بنو وجدخى ومطاطة ثم صار
أرض السرسو لى توجين هؤلاء واستضافوها الى موطنهم الاول وهارت
موطنهم اباين موطن بنى راشد وجبل نراك في جانب القبلة وكانت فيهم الرئاسة

أيام صنهاجة لعطية بن دافلن وابن عمه لقمان بن المعتز كما ذكره ابن الرقيق ولما كانت فتنة حماد بن بلكين مع عمه باديس ونهض اليه باديس من القيروان حتى احتل بوادي شلق تحيز بنو توجين هؤلاء وكان لهم في حروب حماد آثار منذ كورة وكان لقمان بن المعتز أظهر من عطية بن دافلن وكان قومه يومئذ زهاء ثلاثة آلاف وأوفد لقمان ابنه بدر على باديس قبل اللقاء طاعة له وانحياشا فلما انهزم حماد ادعى لهم باديس انحياشهم اليه وسوغ لهم ما غنموه وعقد للقمان على قومه ومواطنه وعلى ما يفتح من البلاد ودعوته ثم انفرد برياستهم بعد حين بنو دافلن ويقال ان دافلن ابن أبي بكر بن الغلب وكانت رياستهم لعهد الموحد بن لعطية بن مناد بن العباس بن دافلن وكان يلقب عطية الحيو وكانت بينهم لعده وبين عبد الوادي حروب كان متولى كبرها من بني عبد الوادي شيخهم لذلك العهد ابن القاسم فلم تزل تلك الفتنة بينهم الى أن غلبهم بنو عبد الوادي آخرأ على مواطنهم كما نذكره ولما هلك عطية الحيو قام بأمرهم ابنه أبو العباس وكانت له آثار في الاجلاب على ضواحي المغرب الاوسط ونقض طاعة الموحد بن إلى أن هلك سنة سبع وستماية وقد عامل تلمسان يومئذ أبو يزيد بن لوخان من اغتاله فقتله وقام بأمرهم من بعده ابنه عبد القوي فانفرد برياستهم وتوارثها عقبه من بعده كما نذكره وكان من أشهر بطون بني توجين هؤلاء يومئذ بنو يدلاتن وبنو قري وبنو مادون وبنو زنداد وبنو قاضي وبنو مامت ويجتمع هؤلاء الستة بنو مرت ثم بنو تبعرين وبنو يز ناتن وبنو منكوش ويجتمع هؤلاء الثلاثة بنو سرغين ونسب بني زنداد دخیل فيهم وانما هم من بطون مفراوه وبنو منكوش هؤلاء منهم عبد القوي بن العباس بن عطية بن الحيو؛ هكذا رأيت نسبة لبعض مؤرخي زناتة المنكوشي . وكانت رياسة بني توجين جميعا عند انقراض امر بني عبد المؤمن لعبد القوي بن العباس بن عطية الحيو وأحيائهم جميعا تلك المجالات القبلة فلما وهى أمر بني عبد المؤمن وتغلب مفراوه على بسائط متيجة ثم على جبل ونشريس نازعهم عبد القوي هذا وقومه أمر ونشريس وغالبوهم إلى أن غلبهم عليه واستقر في ملكهم وأوطنه بنو تبعرين وبنو منكوش من أحيائهم ثم تنلبوا على منداس وأوطنها احياء بني مدن جميعا وكان الظهور منهم لبني يدلاتن ورياسة بني يدلاتن لبني سلامة وبقى بنو يز ناتن من بطونهم بمواطنهم الاولى قبلة ونشريس

وكان من أخلاف بني عطية الحيو بنو تبعرين منهم خاصة وأولاد عزيز بن يعقوب ويعرفون جميعا بالوزراء ولما تغلبوا على الاوطان والتلول وأزاحوا مفراوة عن المدينة ووافرش وتافرليت واستأثروا بملكها وملك الاوطان عن غريبها مثل منداس والجعبان وتاو غزت ورأسهم لذلك العهد عبد القوى بن العباس والكل لا مره فصار له ملك بدوى لم يفارق فيه سكنى الخيام ولا ابعاد النجعة ولا ائتلاف الرحلين ينثالون في مشائهم الى مصاب الزاب وينزلون في المصائف بلادهم هذه من التل، ولم يزل هذا شأن عبد القوى وابنه محمد الى أن تنازع بنوه الامر من بعده وقتل بعضهم بعضا وتغلب بنو عبد الوادى على عامة أوطانهم وأحيائهم واستبد عليهم بنو زناتن وبنو يدلاتن فصاروا الى بنى عبد الوادى وبقي اعقابهم بجبل ونشر يش الى أن انقرضوا على ما ذكره بعد. وكان عبد القوى لما غلب مفراوة على جبل ونشر يش اختط حصن مرات بعدان كان منديل المفراوى شرع في اختطاطه فبنى منه القصبه ولم يكمله فأكمله محمد بن عبد القوى من بعده ولما استبد بنو أبى حفص بامر افريقية وصار خلافة الموحد بن نهض الامير أبو زكريا إلى المغرب الاوسط ودخلت في طاعته قبائل صنهاجة وفرت زناتة أمامه يردد اليهم الغزو فأصاب منهم وقبض في بعض غزواته على عبد القوى ابن العباس أمير بنى توجين فاعتقله بالحضرة ثم من عليه وأطلقه على أن يستأنف له قومه فصاروا شيعة له ولقومه آخر الدهر ونهض الامير أبو زكريا بعده الى تلمسان فكان عبد القوى وقومه في جملة حتى اذا ملك تلمسان ورجع الى الحضرة عقد لعبد القوى هذا على قومه ووطنه وأذن له في اتخاذ الادلة فكانت أول مراسم الملك لبنى توجين هؤلاء وكانت حالهم مع بنى عبد الوادى تختلف في السلم والحروب ولما هلك السعيد على يد يغمراسن وقومه كما ذكرناه استنفر يغمراسن سائر أحياء زناتة فنقروا الى المغرب ومسابقة بنى مرين اليه فبقى معه عبد القوى في قومه سنة سبع وأربعين وانتهوا الى تازى واعترضهم أبو يحيى بن عبد الحق أمير بنى مرين في قومه فنكصوا واتبعهم الى أى مكان فكان اللقاء وانكشفت جموع بنى يادين وكانت الهزيمة التي ذكرناها في أخبار بنى عبد الوادى وهلك عبد القوى مرجعه منها بالوضع المذكور فأحرق من مواطنهم ونصدي للقيام بعده بأمرهم ابنه يوسف فمكث في تلك الامارة أسبوعا ثم قتله على جدث

أبيه أخوه محمد بن عبد القوى وولى عهد أبيه سابع مواراته وفر ابنه صالح بن يوسف الى بلاد صنهاجة بجبال لمدينة فأقام بها هو وبنوه واستقل محمد برياسة بني توجين واستغلاظ ملكه وكان الفحل الذي لا يقرح أنفه ونازعه يغمراسن أمره ونهض الى حربه سنة تسع وأربعين وعمد الى حصن تافر كينت فنازله بها يومئذ حافده علي بن زيان بن محمد في عصابة من قومه فحاصره أياما وامتنعت عليه فرحل عنها ثم تواضعوا أوزار الحرب ودعاه يغمراسن الى مثل ما دعا اليه أباه من غزو بني مرين في بلادهم فأجاب ونهضوا سنة سبع وخمسين ومعهم نفراوة فاتهموا الى كلومان ما بين لازي وأرض الريف ولقيهم يعقوب بن عبد الحق في جموعه فانسكشفوا ورجعوا منهزمين الى بلادهم كما ذكرناه وكانت بينه وبين يغمراسن بعد ذلك فتن وحروب فنازله فيها بجبل وانشرش مرات وجاس خلال وطنه ولم يبق بينهما مراجعة لاستبداد يغمراسن بالملك وسموه الى التغلب على زناته أجمع وبلادهم وكانوا جميعا منحاشين الى الدولة الخفصية وكان محمد بن عبد القوى كثير السلطان المنتصر ولما نزل النصاري الافرنجة بساحل تونس سنة ثمان وستين وطمعوا في تلك الحضرة بعث المنتصر الى ملوك زناته بالصريح فصرفوا وجوههم اليه وخف من بينهم محمد بن عبد القوى في قومه ومن احتشد من أهل وطنه ونزل على السلطان بتونس وأبلى في جهاد العدو أحسن البلاء وكانت له في أيامه معهم مقامات مذكورة ومواقف مشهورة وعند الله محتسبه ولما ارتحل العدو عن الحضرة وأخذ محمد بن عبد القوى في الانصراف الى وطنه أسنى السلطان جائزته وعم بالاحسان وجوه عساكره وأقطعه بلاد نفراوة وأوماش من وطن الزاب وأحسن منقلبه ولم يزل بذلك متعلقاً بطاعته ومستظراً على عدوه بالانحياش اليه . ولما استغلاظ بنو مرين على يغمراسن بعد استيلائهم على أمصار المغرب واستمرارهم بملكه وصل محمد بهم في الاستظهار على يغمراسن وأوجد ابنه زيان بن محمد عليهم ولما نهض يعقوب بن عبد الحق الى تلمسان سنة سبعين وأوقع يغمراسن في الواقعة التي هلك فيها ابنه فارس نهض محمد بن عبد القوى للقاءه ومر في طريقه بالبطحاء وهي يومئذ تغرلا عمال يغمراسن فهدمها وبقي يعقوب بن عبد الحق متلوما عليها الى أن يلحق محمد وقومه ببلادهم حذراً عليهم من غائلة يغمراسن ففعل وملاً حقابهم باتحافه وعين هم غاية من

الجياذ العتاق بالمراب الثقيلة واراخ عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالصلات
والخلم الفاخرة واستكثروا لهم من السلاح والغازات والاخبية والعملات وارتحلوا
ولحق محمد بن عبد القوي بمكانه من جبل وانشر يش واتصلت حروبه مع
يغمراسن وكثر اجلابه على وطنه وعينه في بلاده وهو مع ذلك مقيم على موالاته
يعقوب واتحافه بالعتاق من الخيل والمستجاد من الطرف حتى ان يعقوب
اشترط على يغمراسن في مهاداته أن يجعل سلمهم من سلمه وحربهم من حربه كان
نهوض يعقوب ابن عبد الحق سببا لما اشترط عليه ذلك وحج في قبوله فنهض
اليه وادفع به بخرزورة ثم أناخ عليه بتلمسان ووافاه هناك محمد بن عبد القوي
فلقبه بالقصاب وعاثوا في نواحي تلمسان نهبا وتخريبا ثم اذن يعقوب لمحمد
وقومه في الانطلاق الى بلادهم وتلوم هو بمكانه من نواحي تلمسان مدة منجاتهم
الى مكانهم من وانشر يش حذرا عليهم من اعتراض يغمراسن ولم يزل شأنهما
ذلك الى أن هلك يغمراسن في سدلوته من بلاد مفراوه خاتمة احدى وثمانين
وفي خلال ذلك استغلظ بنو مرين على بني عبد الوادي واستوسق لمحمد هذا
ملكه فتغلب على بلاد صنهاجة بجبال المهدية وأخرج الشعالة من جبل ينطري
بعد أن غدر بمشيعتهم وقتلهم فانزاحوا عنه الى سباط متيجة واوطنوها واستولى
محمد على حصن لميدية وهو المسمى بأهل لميدية بفتح اللام والميم وكسر الدال
وتشديد الياء بعسدها ويا النسب في آخرها وهم بطن من بطون صنهاجة وكان
المختط لها بركين بن زيري ولما تولى محمد عليها وعلى نواحيها أنزل اولاد عزيز
ابن يعقوب من حشمه بها وجعلها لهم موطنًا وولاية وفر بنو صالح ابن أخيه
يوسف بن عبد القوي من مكانهم بين صنهاجة منذ قتل أبوه يوسف كما ذكرناه
ولحقوا ببلاد الموحدين بافريقية فلقوهم مبرة وتكريمًا وقطعوا لهم بضواحي
قسنطينة في إيالة الملوك من آل أبي حفص يعسكرون معهم في غزواتهم يملون
في حروبهم ويقومون بوظائف خدمتهم وكان الموالي من أولاد عزيز على لميدية
وموطنهم الاول ذا خنون وكان بين يديه يدلاتن ايضا من بني توجين قد استولوا
على حصن الجعبات وقلعة تاوغزرت ونزل القلعة كبيرهم سلامة بن علي مقبلا
على طاعة محمد بن عبد القوي وقومه فانصل ملك محمد بن عبد القوي في نواحي
المغرب الاوسط ما بين موطن بني راب إلى جبال صنهاجة بنواحي لميدية وما

في قبة ذلك من بلاد السرسو وحماله الى أرض الزاب وكان يبعد الرحلة في مشته
 فينزل الروسن ومفراوه والمسيلة ولم يزل دأبه ذلك ولما هلك يغمراسن سنة ٨١
 كما ذكرناه استجدت الفتنة بين عثمان ابنه وبين عبد القوى على أثر ذلك سنة
 ٨٤ وولى من بعده ابنه سيد الناس فلم تطل مدة ملكه وقتله أخوه موسى
 من بعد مهلك أبيه وأقام موسى بن محمد في أماره بنى توجين نحواً من
 عامين وكان من أهل مرات من أشد أهل وطنه شركة وأقواهم غائلة فحدثته
 نفسه ان يستلحم مشيختهم ويريح نفسه من محاذرتهم فاجمع لذلك ونزلها ونذروا
 بشأنه ورأيه فيهم فاستماتوا جميعاً فثاروا به فقاتلهم ثم انهزم مشيختنا بالجراحة والجوع
 الى مهاوى الحصن فتردى فيها وملك من بعده عمرا بن أخيه اسماعيل بن محمد مدة
 أربعة أعوام ثم غدر به أولاد عمه زيان بن محمد فقتلوه وولوا كبيرهم ابراهيم بن زيان وكان
 حسن الولاية عليهم يقال ما ولى بعد محمد فيهم مثله وفي خلال هذه الولايات استغلظ
 عليهم بنو عبد الوادي واشتدت وطأة عثمان بن يغمراسن عليهم بعد مهلك أبيهم محمد
 فنهض اليهم سنة ست وثمانين وحاصروهم بجبل وانشريس وعاث في أوطانهم ونقل
 زروعها إلى مازونة حين غلب عليها مفراوه ثم نازل حصن تافر كينت وملكها
 بمداخلة القائد بها غالب الحصن مولى سيد الناس بن محمد وقفل إلى تلمسان ثم
 نهض إلى أولاد سلامة بقلعة تاوعزون وامتنعوا عليه مراراً ثم أعطوه اليد على
 الطاعة ومفارقة بنى عبد القوي فنبذوا لهم العهد وصاروا إلى إيالة عثمان بن
 يغمراسن وفرضوا لهم المغارم على بنى يداقي وسلك عثمان بن يغمراسن مسلك
 التخريب بين قبائل بنى توجين وتحريضهم على ابراهيم بن زيان أميرهم فعدا
 عليه زكراز بن أعجمي شيخ بنى مادون وقتله في البطحاء في إحدى غزواته
 أسبعة أشهر من ملكه وولى بعده موسى بن زرارة بن محمد بن عبد القوى بايع
 له تبعين واختلف سائر بنى توجين فاقام بعض سنة وعثمان بن يغمراسن في خلال
 هذا يستألف بنى توجين شعباً شعباً إلى أن نهض إلى جبل وانشريس فملكه وفر
 أمامه موسى بن زرارة إلى نواحي اللمدية وهلك في سفره ذلك ثم نهض عثمان
 إلى اللمدية سنة ثمان وثمانين بعدها فملكها لمداخلته لمدينة في قبائل صهاجه وغدروا
 بأرلاد عزيز فصالحوا عثمان بن يوسف على الاتاة والطاعة كما كانوا مع محمد بن
 عبد القوى وبنيه فملك عثمان بن يغمراسن عامة بلاد توجين بما دهمه من مطالب

بنى برين أيام يوسف بن يعقوب فولى على بنى توجين من بنى محمد بن عبد القوى
أوبكر بن ابرهيم بن محمد مدة عامين أخاف فيها الناس واساء السير ثم هلك
فنصب بنو تبغر بن بعده أخاه عطية المعروف بالأصم وخالفهم أولاد عزيز وجميع
قبائل توجين فبايعوا ليوسف بن زبان بن محمد وزحفوا الى جبال وانشرى
فما صروا به عطية وبنى تبغر بن عامر أو يزيد وكان يحيى بن عطية كبير بنى تبغر بن
هو الذى نولى البيعة لعطية الاصم فلما اشتد بهم الحصار واستفحل ملك يوسف
ابن يعقوب مكانه من حصار تلمسان ورغب فى ملك وانشرى فبعث الجيوش
لتنصر أخاه أبا سرحان ثم أخاه أبا يحيى وكان نهوض أبى يحيى سنة احدى
وسبعمائة فتوغل فى ناحية الشرع ولما رجع محمد الى جبل وانشرى هدم حصونه
وفعل ونهض ثانية الى بلاد بنى توجين فشردهم عنها وأطاعه أهل تافركينت ثم
انتهى الى اللمدية فافتتحها صلحا واختط قصبتها ورجع الى أخيه يوسف بن يعقوب
فانتفض أهل فركينت بعد صدره عنهم ثم راجع بنو عبد القوى بصائرهم فى
التمسك بالطاعة ووفدوا على يوسف بن يعقوب فتقبل طاعتهم واعادهم الى بلادهم
واقطعهم وولى عليهم ابن الناصر بن عبد القوى وجعل وزارته ليحيى بن عطية
فغلبه على دولته واستقام ملكه وهلك خلال ذلك فعقد يوسف بن يعقوب مكانه
لمحمد بن عطية الاصم واستقام على طاعته وقتا ثم انتفض بين يدي ملكه سنة ست وحم
قومه على الخلاف ولما هلك يوسف بن يعقوب وتجا فى بنو مرين من بعده لبنى يغمراسن
عن جميع الامصار ليتملكوها بالمغرب الاوسط فاستمكن بنو يغمراسن منها ودفعوا
المتغلبين عنها ولحق المغل من أولاد عبد القوى ببلاد الموحد بن فجلوا من دولتهم
الى محل الآثار والتركمة وكان للعباس بن محمد بن عبد القوى من الملوك من آل
ابى حفص مدة ام الحلة والفصاحة الى أن هلك وبقي عقبه فى جند السلطان ولما
خلا الجو من هؤلاء المرشحين تغلب على جبل وانشرى من بعدهم كبير بنى تبغر بن
احمد بن محمد بن اعقاب يعلى بن محمد السلطان ببنى يغمراسن فاقام يحيى بن عطية هذا
فى رياستهم أياما ثم هلك وقام بأمره من بعده أخوه عثمان بن عطية ثم هلك
وولى من بعده ابنه عمر بن عثمان واستقل مع قومه بجبل وانشرى واستقر
أولاد عزيز بالمدية ونواحيها ورياستهم ليوسف بن على بن حسن بن يعقوب وكل
فى طاعة أبى حمى سلطان بنى غنى الراى لما غلبهم على أمرهم وانزع الرئاسة

من بني عبد التمرى أمراهم الى أن خرج على السلطان أبي حمو ابن عمه يوسف
ابن يغمراسن ولحق بأولاد عزيز فبايعوه ودخلوا في كناسة عمر بن عثمان
كبير بني تيغرين وصاحب جبل طى وانشرىس فأجابهم وأطلق معهم سائر
الاعشار وبكوسة وبنو يزناقي ورجعوا مع محمد بن يوسف الى السلطان أبي حمو في
معسكره بنهل ففضوه وكان شأن فتنته معهم ما ذكرناه في أخبار بني عبد الوادى
الى أن هلك السلطان أبو حمو وولى ابنه أبو تاشفين فنهب اليهم فى العساكر وكان
عمر بن عثمان قد لحقته الغيرة من مخالطة محمد بن يوسف لأولاد عزيز دون قومه
فدخل السلطان أبا تاشفين فى الانحراف عنه فلما نزل بالجبل ولحق بابى تاشفين
ودله على مكان فى الحصن فدله اليه أبو تاشفين وأخذ بمخنقه وافترق عن محمد بن
يوسف أوليائه وأشياءه فقبض عليه وقيد أسيرا الى السلطان أبي تاشفين فقتل
بين يديه قطعا بالرمح سنة تسع عشرة وبعث برأسه الى تلمسان وصلب شلوه
بالحصن الذى امتنع فيه أيام انتزاعه ورجع امر وانشرىس الى عمر بن عثمان
هذا وحصلت ولايته لآبى تاشفين الى أن هلك بتلمسان فى بعض أيامهم مع بني
مرين أعوام نازلها السلطان أبو الحسن كما ذكرناه فى أخبار الحصار ثم تغلب بنو
مرين على المغرب الاوسط استعمل السلطان أبو الحسن ابنه نصر بن عمر على
الجبل وكان خيرا لابناء بالذمة والطاعة وخلصا فى الولاية وصدقا فى الانحياش
واحسانا للملكة وتوفيرا للجباية ولما كانت نكبة السلطان أبي الحسن بالقروان
وتطاول الاعياض من زناته الى استرجاع ملكهم اتزى بضواحي المدينة من آل
عبد القوى عدى بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوى ونازع الخوارج
فى دعوتهم واشتمل على بني عزيز هؤلاء وبني يزناقي جيرانهم وزحف الى جبل
وانشرىس لينال مع الحشم مديلى أمرهم والمداخلين لعدوهم فى قطع دابرهم وكبيرهم
يومئذ نصر بن عمر بن عثمان وبايع نصر لمسعود ابن أبي زيد بن خالد بن محمد
ابن عبد القوى من أعقابهم ثم خلص اليهم من جملة عدى وقومه فامتنعوا عليه
ودارت بينهم حروب كانت العاقبة فيها والظهران نصر بن عمر وقومه ثم دخل عدى
فى جملة السلطان أبي الحسن لما خلص من تونس الى الجزائر وبقى مسعود بينهم
وملك أبو سعيد بن عبد الرحمن لما ملك تلمسان هو وقومه فلم يزل هنالك الى
الى أن غلبهم السلطان أبو عنان فسار فى جيشه بعد أن فر الى زواره واستنزل منها

ونقله إلى فاس وانقضى ملكهم ودولتهم وانقطع أثر بني محمد بن عبد القوي وأقام نصر بن عمر في ولاية جبل وانشريس وعقد له السلطان أبو عزان على سائر دولته ولم يزل قائما بدعوة بني مرين من بعده إلى أن غلبهم السلطان أبو حمو الآخر وهو ابن موسى بن يوسف على الأمر فاعطاه نصر الطاعة ثم اضطربت نار الفتنة بين العرب وبني عبد الوادي أعوام سبعين وسبعماية وقاموا بدعوة أبي زيان بن السلطان أبي سعيد عم أبي حمو فأنحاش نصر بن عمر اليهم وأخذ بدعوة الأمير أبي زيان حيناً ثم هلك أيام تلك الفتنة وقام بامرهم من بعده أخوه يوسف بن عمر متقبلاً مذاهبه وهو لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين صاحب وانشريس وحاله مع أبي حمو مختلفة في الطاعة والخلاف والله رب الأمور لا مالك غيره

وأشار للطبقة الثانية بقوله الخبر عن بني يزناين إحدى بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم من التغلب والامارة وذكر أوليتهم ومصائرهم كان بنو يزناين هؤلاء آخر قبائل بني توجين وأعزهم جانباً وأكبرهم صيتاً ولما دخل بنو توجين إلى المغرب الأوسط قاموا بمواطنهم الأولى ما بين ماصون ورمته ثم يعودون من القبلة يحولون جانبي نهر واصل من انلي وادي شلق وكانت رياستهم في نصر بن علي بن تميم بن يوسف بن بونوال وكان شيخهم مهيب بن نصر منهم وكان عبد القوي بن العباس وابنه محمد أمير بني توجين يختصونهم بالاثرة والتجلة لمكانهم من قومهم وما يؤنسونه من عظيم غنائهم وكان محمد بن عبد القوي في سلطانه يؤثر عليهم من أولاد عزيز وكان واليهم لعنده وعهد بنيه عبو بن حسن بن عزيز وقد كان اصهر مهيب بن نصر إلى عبد القوي إلى ابنته فانكحه اياها وولدت له نصر بن مهيب فسرت خؤولته لمحمد بن عبد القوي وعلا كعبه في امارته ثم تولى بعده ابنه علي بن نصر وكان له من الولد نصر وعشرة آخرون يعرفون بامهم واسمها تاسر غيت وولي بعده نصر بن علي فطال امد امارته في قومه واختلف بنو عبد القوي وغلب بنو عبد الوادي على ما بأيديهم فصرفت ملوك زناتة وجه العناية اليه فبعد صيته وعرف بسوء من شهرته وكان والداً يقال أنه خلف ثلاثة عشر من البنين مامنهم الا صاحب حرب أو مغنب ومن مشاهيرهم عمر الذي قتله السلطان أبو الحسن بمرات حين

سعى به أنه داخل في اغتياله ففر وأدرك وقتل بمرات ومنهم منديل الذي قتله
بنو تغرين أيام ولوا علي بن نصر وقتلوا معه عيو بن حسن بن عزيز ومنهم عنان
ومات قتلا في حصار تلسان أيام أبي تاشفين ومنهم مسعود ومهيب وسعد
وداود وموسى ويعقوب والعباس ويوسف في آخرين معروفين عندهم هذا
شأن أولاد نصر بن علي بن مهيب وأما ولد عشر أخيه فكان رسيا علي بن أبيه
وكانت إحدى وظائفهم سقطت بدار عثمان بن يغمراسن وادعت الحمل من
سيدها إلى الفتوح وجاءت باخ لعيسى يسمى معروفاً ربي بدارهم واستوزر لابي
حمو وأخيه من بعده وبلغ المبالغ في دولتهم وكان يدعى معروفاً الكبير ولحق به
أيام رياسته وفي دولة أبي حمو الأول أخوه عيسى بن أبي الفتوح مغاضباً لقومه
فسعى له في الولاية علي بن راشد وجباية أوطانهم وأنزله بلدة سعيدة فكانت له
أمانة وكان له من الولد أبو بكر وعيو وطاهر وترماء وعند ما غلب بنو مرين علي
بن عبد الوادي ولاهم السلطان أبو الحسن علي بن يزناتن متوالين وأما ولد
تاسر غنت من بني علي بن نصر بن مهيب فلم يكن لهم ذكر في رئاسة قومهم إلا
أن بعض وظائفهم سقطت أيضاً إلى دار بني تاشفين فولدت غلاماً يعرف
بعطية بن موسى نشأ في دارهم ونسب إلى بني تاسر غنت هؤلاء وتناولته النجاة
في خدمتهم فولوه الأعمال النبهة وهو لهذا العهد عامل أبي حمو الأخير على شلف
وما إليها وقد غلب العرب لهذا علي وطن يزناتن وملكوا عليهم يعود وما حون
وبقيت جبايتهم بجبل ورنيذ وعليهم لهذا العهد سعيد بن عمر من ولد نصر بن علي
ابن نصر بن مهيب يعطون المغرم للسلطان ويصانعون العرب الاتاوة ويبد الله
تصاريف الأمور سبحانه

وأشار للطبقة الأخيرة بقوله الخبر عن بني راشد بن محمد وذكر أوليهم
وتصاريف أحوالهم قال في العبر وإنما قدما ذكرهم قبل استتمام بني
يادين لأنهم لم يزالوا أحلافاً لبني عبد الوادي ومن جملة أمورهم فكانت
أخبارهم من أخبارهم وأما راشد أبوهم فهم أخو يادين واختص بنوه
في قلعة بني عبد الوادي وكانت مواطنهم بالجبل بالصحراء المعروف براسد
اسم أبيهم وأنت مواطن مديونة من قبائل البربر قبيلة تاسل وبنو ورنيذ من
بطون دمر قبيلة تلسان إلى قصر سعيد وثل جبل هواره مواطن لبني يلوثة الذين

كان لهم الملك كما قدمنا ولما اضمحل أمر بني يلومة وذهبت دولتهم زحف بنو راشد هؤلاء من بطونهم بجبل الى بسائط مديونة وبني ورند فشنوا عليهم الغارات وطالت بينهم الحرب الى أن غلبوهم على مواطنهم والجثوهم الى الاوغار فاستوطن ورند الجبل ثم استوطنوا جبلهم المطل على تلمسان واستوطن مديونة جبل تاسالت ومملك بنو راشد بسائطهم ثم استوطنوا جبلهم المعروف بهم لهذا العهد وهو بلد بني يفرن الذين كانوا ملوك تلمسان في أول الاسلام وكان منهم أبو قرّة الصفري كما قدمنا وكان منهم بعد ذلك يعلى بن محمود الامير الذي قتله جوهر العنقلي قائد الشيعة كما ذكرنا في أخبارهم ويعلى هو الذي اختط بهذا الجبل مدينة ايكفان التي هدمها جوهر يوم قتله فلما ملك بنو راشد هذا الجبل استوطنوه وصار حصناتهم ومخلاتهم في ساحة القبله الى أن غلبهم العرب عليها لهذا العهد والجاؤهم الى الجبل وكان غلب بنو راشد على هذه الاوطان بين دخول بني عبد الوادي الى المغرب الاوسط وكان شيعة لهم واحلافاً في فتنهم مع بني توجين وبني مرين وكانت رياستهم في بيت منهم يعرفون ببني عمران وكان القائم بها لأول دخولهم ابراهيم بن عمران واستبد عليه أخوه وترمار وقام بأمرهم الى ان هلك فولى ابنه مقاتل بن وترمار وقتل عمه ابراهيم وافترقت رياسة بني عمران من يومئذ بين بني ابراهيم وبني وترمار الا أن رياسة بني ابراهيم أظهر فولى بعد ابراهيم بن عمران ابنه وترمار ولا ادرى معاقبا القائم أو توسطهما أحد ولما زحف بنو مرين الى تلمسان آخر زحفهم صار بنو راشد هؤلاء الى طاعة السلطان أبي الحسن وشيخهم لذلك العهد أبو يحيى موسى بن عبد الرحمن ابن وترمار بن ابراهيم وانحصر بتلمسان بنو عمه كرجوت بن وترمار وانقرض أمر بني عبد الوادي واشياعهم ونقل بنو مرين رموس زناته اجمع الى المغرب الاقصى فكان بنو وترمار هؤلاء بمن صار الى الغرب وأوطنوه الى ان صار الامر لبني عبد الوادي الكثرة الثالثة على يد أبي حمو الاخير موسى بن يوسف وكان شيخ بني راشد لعده ابن أبي يحيى بن موسى المذكور اقبل اليهم من ايلة بني مرين فاتهمه أبو حمو بمداخلتهم فقبض عليه واعتقله مدة بوهراة وفر من معتقله فلاحق بالمغرب وارحل بين احيائهم مدة ثم رجع الى الطاعة واقضى العهد من السلطان أبي حمو فولاة على قومه ثم قبض عليه واعتقله الى ان قتله

بمحبيه سنة ثمان وستين وسبع مائة وانقرض أمر بني وترمار بعد ما قتل وترمار
واخاه ابا زركن ثم ابنه يوسف ابن أبي زركن ثم آخرين من بعدهم لم تحضر في
اسماؤهم الى ان غلب عليهم بنو وترمار بن ابراهيم وقد ذهبت لهذا العهد رياسة
اولاد عمران جميعا وصار بنو راشد هؤلاء حول السلطان وبقيتهم يحملهم على
الحال التي ذكرناها والله وارث الارض ومن عليها

الخاتمة

في ذكر (١) من ملوك هذه الامة المحمدية صلى الله على صاحبها وسلم وشرف
وكرم مبتدئاً بذكر الخلفاء الاربعة رضى الله عنهم فمن بعدهم من ذوى الملك
العضوض الى آخر المائة الثانية عشرة من الهجرة فاقول: خلافة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه اسمه عبد الله ابن ابي قحافة عثمان بويغ له في ربيع الاول سنة احدى
عشرة واقام سنتين وثلاثة شهور وتسعة أيام وتوفي ليلة الجمعة سابع جمادى
الاخيرة سنة ثلاثة عشرة وسنه ثلاث وستون سنة . وخلافة عمر بن الخطاب هو
أبو حفص رضى الله عنه بويغ له بعد موت أبي بكر رضى الله عنه واقام عشر
سنين وستة أشهر وخمس ليال وتوفي ثالث عشرين في الحجة سنة ثلاث وعشرين
وسنه ثلاث وستون سنة

خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه كنيته أبو عبد الله بويغ له أول المحرم سنة أربع
وعشرين واقام ثلثي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً وتوفي في شوال سنة خمس
وثلاثين وسنه اثنان وثمانون سنة ودفن بالبقيع

خلافة علي بن أبي طالب رضى الله عنه بويغ له بعد وفاة عثمان واقام أربع
سنين وتسعة أشهر وتوفي ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين وسنه ثلاث
وستون سنة ودفن بالكوفة

خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه سبط رسول الله صلى الله عليه
وسلم بويغ له يوم مات أبوه واقام ستة أشهر وخلع نفسه في ربيع الاول سنة احدى
وأربعين وهات سنة خمسين وسنه سبع وأربعون سنة ودفن بالبقيع

وروى سفينة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة

(١) هنا بياض في الاصل ، ولعل الساقط « بعض » أو « جماعة »

بعدي ثلاثون عاما ثم تكون ملكا عضودا وكان آخر ولاية الحسن ثمانين
سنة من خلافة ابي بكر الصديق رضى الله عنهم فقد انقضت الخلافة بآخر خلافة
سيدنا الحسن بن علي تسليما لسيدنا معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه سدا
لباب الفتن وحقنا لدماء المسلمين المشار اليه بقوله عليه السلام في حق الحسن
ان ولدي هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين واما خلفاء
بنى أمية فهم كما في بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء ما نصه : اول الخلفاء بعد عثمان
رضى الله عنه معاوية وهو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان واسمه سفيان
ابن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ويلتقى هو والنبي صلى
الله عليه وسلم في عبد مناف وأولاده عبد الرحمن ويزيد وعبد الله وهند ورملة
وصفية وعائشة ثم ولي الامر يزيد ولده بعده وأولاده معاوية وخالد وهو أبو
سفيان وعبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر وعمر وعبد الرحمن وعتبة الاعور
وزيد ومحمد وهو أبو بكر وحرب والربيع وعبد الله. وفي أيام يزيد قتل الحسين
ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما بكربلا في قصته المعروفة ثم مروان بن الحكم
هو أبو الحكم وقيل أبو عبد الملك وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف وهذا مروان اليه ينسب خلفاء بنى مروان وأولاده عبد
الملك ومعاوية وام عمرو وعبيد الله وابان وعبد الله وداود وعبد العزيز وعبد
الرحمن وام عثمان وبشر ومحمد. عبد الملك بن مروان ولي بعده ابيه وكنيته أبو
الوليد ويقال مروان ولقبه رشع الحجر ابخله ويكنى ابا ذباب لبخره وأولاده
الوليد وسليمان ومروان الأكبر ويزيد ومروان ومعاوية وهشام ويسار والحكم
وعبد الله ومسلمة وعيينة ومحمد وسعيد والحجاج وقبيصة فولى بعده الوليد بن
عبد الملك ويكنى أبا العباس وأولاده أربعة عشر ذكرا سوى البنات، منهم
يزيد وابراهيم وليا الخلافة ومنهم العباس فارس بنى مروان كان يركب
في ستن من صلبه عبد العزيز وسره ثم ولي من بعده سلمان بن عبد الملك وهو
أبو أيوب ويقال أنه كان تكا حاشرها يأكل في كل يوم نحو من مائة رطل وأولاده
أربعة عشر ذكرا. ثم ولي بعده ابنه عمر بن عبد العزيز بن مروان ويكنى أبا حفص
عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ويسمى الاشج لان في وجهه
شجرة من دابة ضربته ، وأولاده كانوا أربعة عشر ذكرا وخمس بنات

من اولاده عبد الملك وكان مات في حياته ومنهم عبد الله وكان شجاعاً ولى
العراقيين لزيد بن الوليد واحتفر نهر أبى عمرو بالبصرة (يزيد بن عبد الملك)
يكنى بابى خالد وأولاده ثمانية ذكوراً وقيل عشرة منهم عبد الله بن يزيد متولد
من سبعة خلفاء أبوه يزيد وجده عبد الملك وجد أبيه مروان وجدته لايه
عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأمه سعدى بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان وأم
عبد الله بن عمرو وهى بنت عمر بن الخطاب ومنهم الوليد بن يزيد وقيل هشام بن
عبد يكنى أبا الوليد ولى الخلافة وأولاده عشرة ذكور وأناث منهم معاوية بن هشام
وهو أبو عبد الرحمن ومنهم سليمان قتله السفاح (الوليد بن يزيد) بن عبد الملك ولى
الخلافة وأولاده ثلاثة عشر ذكراً وبناً (يزيد بن الوليد) بن عبد الملك كان يكنى
أبا خالد ولى الخلافة (ابراهيم بن الوليد) بن عبد الملك كان يكنى أبا اسحاق (مروان)
ابن محمد الجعدى وكان يلقب بحمار الجزيرة لصبره على الحروب وهو أبو عبد
الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أبى أمية بن عبد
شمس بن عبد مناف يلتقى هو والنبي صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف وهو
آخر خلفاء بنى أمية وبانقضاء خلافته انقضت خلافة بنى أمية وأولاده عبد
الله وعبيد الله هربا بعد قتله أما عبيد الله فقتله الحبشة وأما عبد الله فله عقب
ويقال انه أخذ وحبس ولم يزل محبوساً الى أيام الرشيد فأخرج ضريراً ومات
بيغداد قال فى بلغة الظرفاء وجميع خلفاء بنى أمية من لدن معاوية بن أبى
سفيان الى مروان بن محمد الجعدى اربعة عشر خليفة وكانت مدة خلافتهم احدى
وتسعين سنة وتسعة اشهر وخمسة ايام منها فتنة ابن الزبير تسع سنين واثنان
وعشرين يوماً ثم تفرقت بنو أمية فى البلاد هرباً

ومن كتاب الكردبوس فى أخبار المشرق والاندلس: فأول من تأمر فى
الأرض الاندلس وملكها شيئاً بعد شيء عبد الملك بن عبد الرحمن الامى ابن
مروان ثم بعده ولده هاشم ثم حكيم ثم عبد الرحمن ثم ابنه محمد ثم عبد الله ثم
الحسن ثم الناصر ثم بعده الحكم المنتصر ثم هاشم ثم قام عليهم قائم وادعى بأنه المهدي
وبقيت فتنة عظيمة الفتن ثم نولى سليمان بن الحكم بالاندلس على تائل البربر
الذين قطعوا الجزيرة مع موسى بن نصير فى بداية الامر واستوطنوا البلاد
وحاصروا الهاشم فى قرطبة ثم ارسل هاشم لصاحب سبتة واحوازها وكان فيها

وتملكها علي بن حمود من الادارسة فقطع اليه من سبته في جموع من البربر وأغاثه
وهو علي بن حمود بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن ادريس بن عبد
الله بن حسن بن الحسن بن علي فقطع البحر الى اغاثته وتبعه بعض أهل
الجزيرة مع قومه ونزل علي سليمان وهو محاصر لهاشم في قرطبة وقتله وقتل جموعه
فادعى لنفسه علي بن حمود وولى البيعة بالاندلس
قال في الاقنوم ذكر دولة بني أمية

أولهم سيدنا معاوية * ببيع في (ما) بأول مايه
(يه) و(جيم) ثم (كه) ومضى * (نط) (وواو) ثم (يه) إذ قضى
ثم يزيد ابنه (جيم) و(ما) * بعد (حجب) و(يه) انمحي
ثم معاوية ابنه تلا * (قيب) من الايام قد تجللا
ثم مروان وعبد الله * (صج) و(بازاي) لدى التناه
وفي (عج) (وهايا) اندرج * بياض في الاصل
ابن الزبير فبقى بعده * (يب) و(دال) ثم (هاء) عده
ثم ابنه الوليد (طازاي كط) * مدته وموته لما فرط
خمس وتسعون وخمسة شهور * ونصف شهر ثم بعده ظهور
ملك سليمان بن عبد الملك * عاش به مع سبع (وكد) قد حكي
وموته لما مضت ثمانيه * تسعون مع شهر (ويج) تاليه
وعمر العدل وعامين بقي * وخمسة و(يج) مات بعد في
وسنة من الشهور ثم (كو) * ثم ابن عمه يزيد قد حكوا
في خمسة ومائة توفيا * ثم هشام بعده قد وليا
ومات عام خمسة وعشرين * ثم الوليد وتلاه في الحين
ثم ابراهيم فيها مروان * وحينه في مائة ولج حسان
وزال ملكهم عن الشرق الى * اندلس من بعد ذلك اتقلا
ولم يزل بها الى ان ظهرا * بها المرابطون في (نت) يرى

نسب الخلفاء العباسيين

قان في بلغة الظرفاء : اول الخلفاء العباسيين أبو العباس السفاح هو أبو ايوب عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ويلتقى هو والنبي صلى الله عليه وسلم في عبد المطلب وهو اول خليفة من بني العباس وأمه ريطة وقيل رابطة بنت عبد الله بن عبد الله بن المدان الحارثي وأولاده كان له ولد يسمى محمدا مات صغيرا. (أبو جعفر المنصور) وهو أخو السفاح واسمه عبد الله بن محمد وأمه سلامة بنت بشير بن مزنة وأولاده محمد المهدي وجعفر وصالح وسليمان وعيسى ويعقوب والقاسم وعبد العزيز والعباس والغالية تولى منهم بعد أبيه أبو جعفر (محمد المهدي) ويكنى أبا عبد الله وهو محمد بن عبد الله المنصور وأمه أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن شهر بن يزيد الحميري وأولاده هارون الرشيد وموسى الهادي وعلي وعبيد الله ومنصور ويعقوب واسحاق وأبرهيم والغالية والعباسية وسليمة (فموسى الهادي) هو أبو محمد موسى بن محمد المهدي وأمه الخيزران وأولاده ستة ذكور هم عيسى واسحاق وجعفر وعبد الله واسحاق وموسى وكان عيسى أعمى وله بنات منهن أم عيسى تزوجها المأمون. (هارون الرشيد) هو أبو محمد وقيل أبو جعفر هارون بن محمد المهدي وأمه الخيزران وأولاده محمد الأمين وعبد الله المأمون ومحمد المعتصم وصالح ومحمد أبو عيسى والقاسم وعلي واسحاق وأبو العباس وأبو أيوب وأبو أحمد وبنات الواحدة من بناته تعد عشرة خلفاء كلهم لها محرم : هارون أبوها والهادي عمها والمهدي جدها والمنصور جد أبيها والسفاح عم جدها والأمين والمأمون والمعتصم أخواتها والواثق والمتوكل أبناء أخيها (محمد الأمين) هو أبو عبد الله وقيل أبو موسى وقيل أبو العباس محمد بن هارون الرشيد وأمه أم الواحد وقيل أم العزيز بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ولقبها زبيدة وأولاده موسى وعبد الله وأبرهيم (عبد الله المأمون) هو أبو العباس وقيل أبو جعفر عبد الله بن هارون الرشيد وأمه من أبل أم ولد. وأولاده محمد الأصغر وعبد الله وعلي وأحسن وإسماعيل والفضل وموسى وأبرهيم ويعقوب والحسين وسليمان وجعفر واسحاق وأحمد وهارون وعيسى وعدة بنات (المعتصم بالله) هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد وكان قرياً بتال

إن كان يحمل ألف رطل ويمشي بها خطوات في ما ذكر وكان أميا لا يكتب وهو المثنى من اثني عشر: هو الثامن من ولد العباس والثامن من ولد الخلفاء وولى سنة ثمانى عشرة ومائتين وكانت خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر ونوفى وله ثمان واربعون سنة وولد في شعبان وهو الشهر الثامن من السنة وخلف ثمانية ذكور وثمانى بنات وغزا ثمانى غزوات وخلف ثمانية آلاف دينار ومثلها دراهم وأولاده ثمانية ذكور وثمانى بنات، منهم هارون الواثق وجعفر المتوكل ومحمد أبو المستعين وهو الذى امتحن أحمد بن حنبل فى خلق القرآن فامتنع أن يقول ذلك فضربه عدة سياط (الواثق بالله) أبو جعفر هارون بن المعتصم بن الرشيد أمه قراطيس أم ولد وأولاده محمد المهتدى وعبد الله وأحمد وإبراهيم وعائشة (جعفر المتوكل على الله) هو أبو الفضل جعفر ابن المعتصم بن الرشيد وأمّه تركية اسمها شجاع وأولاده محمد المنتصر وقيل المستنصر وكان أحذب والمعتز وإبراهيم والمؤيد وأحمد المعتمد على الله وطلحة الموفق وإسماعيل وجماعة (محمد المنتصر) هو أبو جعفر محمد بن جعفر المتوكل وأمّه رومية تسمى حبشية وأولاده أربعة ذكور (المستعين بالله) هو أحمد بن محمد بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد وأمّه مخارق أم ولد وأولاده تسعة ذكور (المعتز بالله) هو أبو عبد الله محمد وقيل هو الزبير بن جعفر المتوكل وأمّه فتحية وأولاده عبد الله ابن المعتز الشاعر (المهتدى بالله) هو أبو عبد الله محمد بن هرون الواثق ويقال له أبو جعفر وأمّه رومية اسمها قرب وأولاده خمسة عشر ذكراً (المعتمد على الله) هو أبو العباس أحمد وقيل أبو جعفر المتوكل وأمّه فينان أم ولد وأولاده عبد العزيز وجعفر ومحمد وإسحاق (المعتضد بالله) هو أبو العباس أحمد بن طلحة الموفق ابن جعفر المتوكل وأمّه ضرار أم ولد وأولاده المكتفى والمقتدر بالله والقاهر وهارون وأحدى عشرة بنتاً (المكتفى) هو أبو محمد على بن المعتضد بالله وأمّه خاضع أم ولد وأولاده المكتفى بالله وثمانية ذكور (المقتدر بالله) هو أبو الفضل جعفر ابن المعتضد بالله وأمّه شعب أم ولد وأولاده الراضى والمنى وإسحاق والد القادر والمطيع وعبد الواحد وعباس وهارون وعلى وإسحاق وعيسى وموسى وأبو العباس (القاهر بالله) هو أبو المنصور بن المعتضد بالله وأمّه قبول أم ولد وأولاده الفضل وعبد الصمد وأبو القاسم عبد العزيز وهو ولى عهده

(الراضي بالله) هو أبو العباس محمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أمه
 ظلم أم ولد أولاده أبو جعفر أحمد والفضل وعبد الله (المقتفى بالله) هو أبو
 اسحاق بن المقتدر بالله جعفر بن المعتصم بالله وأمهم خلوب (المستكفي بالله) هو
 أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بالله بن المعتضد وأمهم شضي (المطيع بالله)
 هو أبو القاسم وقيل أبو العباس الفضل بن المقتدر بالله بن المعتضد وأمهم مشعلة
 وأولاده أبو بكر الطائع وعبد العزيز وجعفر (الطائع لله) هو أبو بكر عبد الكريم
 بن الفضل المطيع بن المقتدر بالله بن المعتضد وأمهم أم ولد (القادر
 بالله) هو أبو العباس أحمد بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله وأمهم
 ثمين وأولاده أبو جعفر عبد الله ولي عهده (القائم بأمر الله) هو أبو جعفر
 عبد الله بن أحمد القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله وأمهم بدر
 الدجي أم ولد وأولاده أبو العباس محمد ذخيرة الدين وأبو القاسم عبد الله ولد ولده
 ولي بعده (المقتدى بالله) هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله القائم بأمر
 الله ابن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله (المستظهر بالله) هو
 أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المقتدى بالله ابن القائم بأمر الله بن القادر بالله بن
 اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله وأولاده أبو منصور الفضل المسترشد
 بالله وأبو عبد الله محمد المقتفى لأمر الله (المسترشد بالله) هو أبو منصور الفضل
 ابن أبي العباس أحمد المستظهر بالله (الراشد بالله) هو أبو جعفر بن المسترشد بالله
 (المقتفى لأمر الله) هو أبو عبد الله بن أحمد المستظهر بالله وأولاده منهم يوسف
 ولي عهده (المستنجد بالله) هو المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله بن المستظهر
 بالله (المستضيء بنور الله) أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله تمت أخبار بني العباس
 رضي الله عنه من لدن قيام أبي العباس السفاح إلى عام سبع وستين وخمسمائة
 أحمد (الناصر لدين الله) بن المستضيء بنور الله خطب له بجامع الاسكندرية
 مستهل صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة وخلافته سبع وأربعون سنة تمام الدولة
 العباسية من غير بلغة الظرفاء (الظاهر بالله) أبو نصر محمد بويغ له في سنة ثلاث
 وعشرين وستمائة ومات في السنة المذكورة ثم بعده الإمام أبو جعفر (المستنصر بالله)
 أول خلافته سنة أربع وعشرين وستمائة وتوفي في سنة أربعين وستمائة وولي بعده ولده
 الإمام أبو محمد عبد الله (المستعصم بالله) في السنة المذكورة وهو المنصور آخر

خلع ابن العباس وهو الذي خرج عليه التترو قتلوه واخذوا بسداد وذلك في
سفر سنة خمسين وستمائة . قال في الاقنوم ذكر الدولة العباسية

في عام (قاب) منهم قد وليا * سفاحهم وفي (لز) توفيا
وبعده المنصور مات في (خنق) * وبعده المهدي إلى ابنه (طق)
من شره ادريس كان هاربا * بنفسه لما توفى المفريا
ثم ابنه موسى ومات في (عق) * وبعده هارون الرشيد بقي
لعام (فضج) فابنه الامين * أخوه قد خلفه المأمون
ل (فضج) ومات (حسير) * وبعده معتصم ل (كيزر)
وبعده الواثق مات في (رلب) * فالمتوكل ل (رمن) وذهب
وبعده ومات فيها المنتصر * فالمستعين بعد في (رنب) قبر
وبعده المعتز (نهر) المهدي * بعد للعتمد
وقبل موته بدأ القرامطة * بسنة على امور ساقطه
معتضد (حرب) وبعد المكتفي * لعام خمسة وسبعين خفي
وبعده الغالب (رمض) ورجع * من بعده المقتدر الذي خلع
وعام (سين) ثانيا قد خلعا * ثم أخوه القادر الامر دعا
فلم يجب ثم أتوا للمقتدر * به بالانقياد منه يعتذر
ودعا للخلافة المقتدر * ثالثه لعكس معاد القاهر
وسنة ونصفها قد وليا * وفي (لط) في سجنه توفيا
وبعده الرازي وفي (كط) قضا * والمتقي في (لج) ملكه انقضا
وبعده وخلع المكتفي * سنة (لد) وفي (لج) توفى
ثم المطيع نفسه قد خلعا * ملكا سنة (جص) الطائعا
ولده فعل أيه في (أسف) * فعل ثم في (ضح) أردى التلف
وسلم الامر إلى القائد في * سنة كتب أجل العمر في
وبعده القائم أربينسا * ملك مع خمس من السينا
ومات في (جر) و (نفز) للمقتدي * مستظهر (ثيب) والمسترشد
(كط) عام (ثلب) للراشد * والمقتفي (نذ) والمستجد
(خوص) وبعده المستضي * وبعده الناصر في (كنج) فع

وكان مبدأ التتار أولا * العرى في أيامه ساء الملا
وبعده في تسعة من أشهر * حان الممات بعد ملك الظاهر
وضم لمنصور هو المنتصر * معتصم (نه) احمد المنتصر
فقد للستين ثم الحاكم * أول من ملك مصر منهم
ومات في احدى وسبعماية * ثم ابنه أبو الربيع ماقى
لعام (دل) ثم مات عام (ذام) * ثم ابنه الحاكم نحو (يد) غام
ومات في (زتر) و (صبح) للمعتضد * للمتوكل (يو) خلع عهد
والملك في أولاده لصلبه * في خمسة وذاك مختصر به
وبعده المعتصم الذي خلع * عشرو يوما ملكه لكن رجع
والمتوكل أعيد ثانيا * وعام (ذبد) بعد ذاك خليا
والمتوكل أعيد ثالثة * ومات في (خط) وكان وارثه
المستعين أحد البينينا * له ومات في (لج) سنينا
معتضد في (مد) و (نه) مستكفي * وحمزة (نط) و (ما) توفي
ثم أخوه المستنجد * وهو الاخير اذ رماه الامد

اتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه الجميل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم على يد كاتبه العبد الذليل المقر بالقصور وعدم التحصيل محمد بن احمد بن
أبي القاسم التواتي غفر الله له ولوالديه بئنه وكرمه آمين
وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب الجليل بعد مغرب ليلة الجمعة رابع
ذي الحجة سن سنة ثلاث وتسعين بعد المائتين والالف من هجرة من له العز والشرف

بسم الرحمن الرحيم

كلمة بليغة في تقرّظ الكتاب

الحمد لله الذي خص أئمة المسلمين بكونهم من قرّيش ما أمكن إلى ذلك سبيل وإن تعذر ذلك اعتبر كونهم من بني اسمعيل والافبحسب الامكان والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا محمد أشرف بني عدنان وعلى آله واصحابه المجامعين في الله حق جهاده القويم، المستمسكين بمنهاج الشرع الواضح المستقيم. أما بعد. فقد اطلعت على كتاب الدرر السنية، في اخبار السلالة الادريسية، تأليف الامام المحدث الكبير، صاحب الصيت العظيم الشهير، السيد محمد بن علي السنوسي، من اصطفاه الله بفتح القدوس. فاذا هو كتاب جميل نفيس، اشتمل على خلاصة اخبار أئمة ابناء مولانا الامام السيد ادريس. وهو السيد ادريس، ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وابن فاطمة البتول بنت رسول الله. صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وعن جميع ذريتها الطاهرة، ذات المزايا العظيمة الظاهرة

واشتمل هذا الكتاب أيضا على زبدة نافعة من اخبار من ملك المغرب من سائر الاشراف وغيرهم، وعلى أول مافتح من المغرب في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وأول ذلك أول فتح افريقية في خلافة عثمان بن علي بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخى أمير المؤمنين عثمان بن عفان من الرضاة رضي الله عنهما، ثم ذكر فتح عقبة بن نافع وغيره بعد ذلك على نوع الايجاز والاختصار النافع، ثم أشبع الكلام على دولة الادارسة وغيرهم في البلاد المغربية وما جددوه من الدين فيها وذكر سبب موت السيد ادريس الأكبر، وسبب موت نجله ادريس الأزهر، باني مدينة فاس

وقد اجاد في ذلك كله وأفاد وأبان مسائل تاريخية يشرح بتتبع انواعها
الفؤاد ثم جعل لكتابه هذا خاتمة مختصرة ذكر فيها الخلفاء الاربعة ثم خاسمهم
سيدنا الحسن السبط بن علي رضي الله عنهما ، ثم ذكر فيها خلفاء بني امية جميعا
نثرا ونظما ، ثم اتبعهم بخلفاء بني العباس كذلك نثرا ونظما

وبالجملة فهو كتاب تاريخ وكتاب علم نافع جمعه امام بحر علم تتفجر من
صدره ينابيع الحكم والعلوم ومن اعتكف على مصنفاته نال منها كل ما يشتهي
العاقل من جميع ما يروم . نفعنا الله ببركاته وبمؤلفاته ، وجعلنا من خواص من
انتفع بعلمه وأجتنى أطيب ثمراته ، وبالله تعالى التوفيق ، وهو الهادي الى سواء
الطريق .

قاله بلسانه وقيده بينانه خادم نشر العلم بالحرمين الشريفين وبالأزهر
المعمور ، محمد حبيب الله بن الشيخ سيدي عبد الله بن مايابي ، الحكيم نسابا ،
الشنقيطي اقلما ، المدني مهاجرا ، أعاده الله لها على المراد ، بحاجه سيدنا محمد
خير العباد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الى يوم المتناد . انسلاخ
شعبان سنة ١٣٤٩ هـ



الفهرست

الصفحة	
٣	مقدمة الكتاب وفيها الكلام على الانساب
٦	النسبة الادريسية وتنوع أبنائها
٩	فصل يتعلق بفتح المغرب
١٠	فتح انطابلس وهي برقة واعمالها
١٠	فتح اطرابلس
١١	فتح إفريقية
٢٩	فتح موسى بن نصير
٣٧	الدولة الادريسية الزرهونية والعباسية
٤٢	سبب قدوم مولانا ادريس الى المغرب
٤٤	بيعة مولانا ادريس وغزواته
٤٨	وفاة مولانا ادريس رضي الله عنه
٥٠	قصة مقتل الحسين السبط رضي الله عنه
٥٧	ولادة مولانا ادريس بن ادريس ونشأته
٦٧	كلمة عن الامام موسى بن نصير
٦٩	بناء مدينة فاس وسببه
٧٣	توجيه تسميتها بفاس
٧٥	سيف ادريس بن ادريس في فاس وما قيل فيه
٧٧	الدولة الثانية الفهارية
٨١	الدولة الثالثة لفسية
٨٣	الدولة الرابعة الاندلسية
٨٥	الدولة الخامسة المهدوية
٩٨	فصل في ذكر الشريف عبد القوي الحسيني الموسوي

- ١٠١ فصل في ذكر الشريف عبد القوي الحسني
الادريسي الزياتي
- ١٠٩ تنمة فيما تطلق عليه لفظة «زيان»
- ١١١ نسبة بني زيان لاشراف الادارسة
- ١١٣ فصل في أخبار عبد القوي بن العباس الراشدي التوجاني الزياتي
- ١٢٤ خاتمة في ذكر بعض الخلفاء والملوك متبدينا
بالخلفاء الاربعة رضى الله عنهم
- ١٢٨ نسبة الخلفاء العباسيين ودولتهم
- ١٣٣ كلمة بليغة في تقرير الكتاب